

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المنحى الوظيفي

في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور
" سورة البقرة نموذجاً "

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

تخصص: الدراسات اللغوية النظرية

إعداد الطالب:

الطاهر شارف

السنة الجامعية : 2006/2005

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الجزائر
كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

المنحى الوظيفي

في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور
" سورة البقرة نموذجاً "

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية

تخصص: الدراسات اللغوية النظرية

إشراف الأستاذ:

د/ أحمد شامية

إعداد الطالب:

الطاهر شارف

أعضاء لجنة المناقشة :

رئيسا

1- د/ عبد الرزاق عبيد

مقررا

2- أ. د/ أحمد شامية

عضوا

3- د/ أحمد بلحوت

السنة الجامعية : 2006/2005

إهداء

يطيب لي أن أهدي نريدة الأفكار، وثمرة قيام الأسفار إلى كل الذين كانوا لما احتجت ملين:

أستاذي المشرف الدكتور أحمد شامية.

أمي التي حملتني وهنا على وهن، وعانت الكثير لأسعد، ثم رجعت إلى مرها وما تركتني فردا. غفر الله لها وأدخلها فسيح جناته.

أبي صاحب القلب الرحيم الذي تعب وما نزال يتعب من أجل مراحتي. نسأل الله أن يبلغه ما نوى.

أخوي أحمد ومحمد، هذا الأخير الذي تعب في إخراج هذا البحث، ونال من جهده الكثير.

الزوجة الفاضلة التي كانت أكبر من ضحي بجهده وحقه ومراحة باله، وانتظر إخراج هذا البحث بفارغ الصبر. وما أنقص ذلك شيئا من إخلاصه ووفائه.

أخواتي الكريمات اللواتي ما رعينتهن حق رعايتهن. عفا الله عني.

الابن البار أسامة.

إلى كل الأصدقاء الذين عمتهم الحيرة وطال شوقهم لرؤية هذا البحث شيئا مذكورا.

إلى كل غيور على دينه، ولغته، ووطنه.

إلى كل طالب علم أخلص القصد.

الطاهر

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

عملاً بقوله ﷺ: (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) مرواه أحمد إنني أقدم بالشكر والعرفان لكل من أسهم معي في إتمام هذا البحث المتواضع، وأخص بالذكر الأستاذ المشرف الدكتور أحمد شامية الذي اتسع صدره لكل ما كان مني من ثقل، وأنا شاكر له تفهمه ونزاهته واحترامه لأفكار غيره، كما أنعم في ظل البحث العلمي بنصائحه وتوجيهاته التي تنم عن رعايته الخالصة لأبنائه الطلبة ووفائه المنشود للغته. والأستاذ الدكتور مسعود صحراوي الذي تشرف باقتراح هذا الموضوع ومناقشة الخطة الابتدائية التي سطرناها له، ولم يخل علينا بكل ما مرآه مفيداً من مادة علمية وروى فكرة وتشجيعات معنوية، وفتح لنا بيته وقلبه كما لا أنسى أن أنه بتوجيهات الأساتذة: الدكتور محمد الحباس، الدكتور محمد العيد مرتيمة، الدكتورة خولة طالب الإبراهيمي، الدكتور عبد الجبار توامي، الأستاذ جلول بن سالم، الأستاذ مفتاح بن عروس، وجميع الأساتذة الذين نلنا منهم الكثير في جامعتنا العريقة والذين سنتشرف منهم بقراءة هذا البحث لمناقشة أفكاره، وتصويب أخطاء صاحبه . . .

حفظ الله الجميع، وجزاهم خير الجزاء .

مُقَدِّمَةٌ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التجديد ضرورة حضارية، والتغيير جُبلنا عليه وهو فطرة إنسانية. والحادثة ليست نبذ القديم أو إقصاءه؛ فالقديم ليس عيباً، بل كل قديم جديد في زمانه، وقد يكون إبداعاً. وليس من التحضر أو العدل تجاهل تراثنا اللغوي أو النحوي أو طيّ صفحاته ساعين -زعمنا- إلى العصرية أو التبسيط، وفي هذا المضمار يحدّد الدكتور عمارة موقفه من التراث قائلاً: «هكذا، نجد أن السبيل إلى نهضة أمتنا هذا إنما يكمن في مواصلة النهج التجديدي الذي سعى أعلامه إلى بعث الأمة وإنهاضها وتجديد حياتها دون أن تنسلخ هذه الأمة عن تراثها الخلاق وحضارتها المبدعة، ذلك أن هذا الانسلاخ -مثله كمثّل الجمود- عدوّ النهضة الحقيقية، وبهما معا تقر عين الأعداء الذين لا يريدون لهذه الأمة بعثاً ولا تقدماً ولا إحياء». ⁽¹⁾، وقد أنصف كثير من العلماء العرب المعاصرين بأنّ واصلوا إحياء النحو بناءً ونقداً وتصفيّة غير منكرين ما له ولا متناسين ما عليه وأسهموا بما أنجزوا في تطويره واستخراج كنوزه وهذا ما جعل غير العرب من علماء الدنيا يعترفون بذلك؛ فهذا مارتيني (A.Martinet) يصرح ^(*): «وأنا أقول إنّ كثيراً من البحوث العربية ساعدت بل ساهمت في بناء ما يسمّى علم اللسانيات الحديث». ⁽²⁾ وقيمة موروثة اللغوي فرضت على غير المتزمتين من العلماء الاطلاع عليه بل والاستفادة منه وبهذا يعترف بعضهم -رغم عبقريته- بأنه درس النحو العربي واستفاد منه، يقول تشومسكي (N.Chomsky) ^(**): «قبل أن أبدأ بدراسة اللسانيات العامة كنت أشتغل ببعض البحوث المتعلقة باللسانيات السامية، وما زلت أذكر دراستي للأجرومية منذ عدة سنوات خلت أظن أكثر من ثلاثين سنة... وكنت مهتماً بالتراث النحوي العربي والعبري... ولكنني لا أشعر أنّي كفاء للحديث عن البحوث اللسانية التي كان العرب قد أسهموا بها لبناء علم اللسان الحديث» ⁽³⁾.

هذا ونبغي بمحاولتنا هذه ربط الفكر اللغوي العربي بالفكر المعاصر وذلك من خلال قراءتنا لمصدر

(1) عمارة في: جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996، ص163.

(*) وهو يجيب عن أسئلة الوعر في حوار أجراه معه في 20 آب 1978 في كندا.

(2) مارتيني في: مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، سوريا، 1989، ص285.

(**) وهو يجيب عن أسئلة الوعر في لقاء أجراه معه يوم 31 كانون الثاني 1980 في كامبردج.

(3) تشومسكي في: مازن الوعر: النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحليلية والتوليدية: محاولة لسيرها وتطبيقها على النحو العربي، مجلة

اللسانيات، يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد 6، 1982، ص72.

لغوي ثري" تفسير التحرير والتنوير" في ضوء اللسانيات الحديثة (وخصوصا نظرية النحو الوظيفي) وذلك قصد إبراز ما اشتمل عليه من أفكار ورؤى انتبه إليها صاحب هذا السفر الضخم قد تفوق ما اشتهر في أحدث النظريات، ومن خلال هذا الكتاب تبرز نضارة التراث العربي كله، وبيحثنا هذا نسهم في « رفع الضيم الحاصل في مجال تقييم التراث اللغوي وإعادة الاعتبار إلى فكر لغوي عمره أكثر من ألف عام بعد إعطائه ما يستحق من الاهتمام والتقدير على مستوى الفكر اللغوي العالمي »⁽¹⁾، وفي هذا الصدد يرى الدكتور أحمد المتوكل أن المبادئ المنهجية التي اعتمدها اللغويون القدامى تشابه من قريب أو من بعيد المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس اللغوي الوظيفي المعاصر⁽²⁾.

وانطلاقا من اطلاعنا على بعض الدراسات-على ندرتها- في التراث العربي (عبد القاهر الجرجاني، أبو يعقوب السكاكي) والتي تظهر فيها ملامح المنحى الوظيفي، وبقراءتنا بعض أجزاء تفسير الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور " تفسير التحرير والتنوير" لمسنا مدى تأثر الشيخ بالاتجاه الوظيفي في النحو العربي وبخاصة بالأفكار الوظيفية عند الجرجاني و السكاكي، ومدى ظهور مبادئ المدارس الوظيفية مطبقة في تفسيره دون أن يقصد ذلك، وخاصة المبادئ المنهجية لنظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك (Simon Dik) حسب ما نقله إلينا أحمد المتوكل الذي هو من أبرز أتباعها ومنظريها. وقد كان عنوان بحثي هذا :

المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور "سورة البقرة نموذجاً"

ونقصد بالمنحى الوظيفي المنهج الذي يركز في التحليل اللغوي لتراكيب اللغة على وصف وتفسير العبارات اللغوية المعينة في حالة تأدية أغراض بعينها في مقامات محدّدة، بالنظر إلى الوظيفة الأساسية للغة، وهي التواصل، وبمراعاة علاقة البنيات بالوظائف التي تؤديها في الكلام؛ فبحسب المعاني المقصودة والأغراض المرجوة تكون البنيات، و المنحى الوظيفي العربي يتجلى في المزج بين النحو وعلم المعاني. ويقابل المنحى الوظيفي المنحى الشكلي "الصورى" الذي يدرس البنيات اللغوية معزولة عن واقع إنتاجها. وفي بحثنا هذا نحاول إبراز بعض السمات الوظيفية التي تبين أن المنحى اللغوي الذي انتهجه الإمام ابن عاشور في تفسيره هذا كان في عمومه وظيفيا غير شكلي يركز فيه على الوظيفة الإبلابية ومقام الخطاب القرآني وملابساته وحال المخاطبين، وينهل من كل فروع المعرفة العربية دينية أو لغوية (النحو،

(1) ميشال زكريا: بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992، ص7.

(2) انظر: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989، ص84.

البلاغة، علم أصول الفقه، علوم التفسير،...)

والذي حدا بنا إلى اختيار هذا الموضوع هو ميلنا إلى دراسة التراث العربي لإظهار كنوزه، والنظر في مدى مواكبتها للبحث اللغوي الحديث في العالم، و محاولة البحث في موضوع الوظيفية لكونها توجهنا لسانيا حديثا أغرى كثيرا من الباحثين، وسعيا منا إلى الاستفادة من الموروث اللغوي العربي واستثماره في إطار ما توصل إليه علماءنا الأفاضل من نظريات وما وصلت إليه النظريات الغربية الحديثة في ميدان اللسانيات عامة واللسانيات الوظيفية التداولية خاصة، ثم ضرورة معرفة الأدوات اللغوية التي استعملها علماء اللغة والمفسرون في الكشف عن أسرار اللغة ومعانيها ومقاربتها بما توصل إليه الباحثون المعاصرون في مجال التحليل الوظيفي للغة العربية. ومن ثمّ تحديد بعض السمات الوظيفية التي تبين أن الشيخ ابن عاشور كان ينحو منحىً وظيفيا وإن استعان في قليل من تحليله بظواهر شكلية. وكذلك إعجابنا بتفسير التحرير والتنوير لكونه يخدم القرآن الكريم واللغة العربية معا ثم هو في متناول الباحث الناشئ، ولم نعثر على دراسة تتناوله وفق الاتجاه الذي أردنا البحث في إطاره "نظرية النحو الوظيفي". ولا ننكر هنا أن هناك الكثير من تفاسير القرآن الكريم اللغوية التي تحتاج إلى إثراء ودراسة. وقد وقع اختيارنا على سورة البقرة بالذات لكونها عينة مقبولة لدراسة هذا الموضوع، ولا تضطرنا إلى إضافة سور أخرى، بالإضافة إلى ذلك موافقة المجلد الأول من التفسير للجزء الأول من القرآن، وكذلك الثاني والثالث، فلا تطرح إشكالية عدم مطابقة الأجزاء للمجلدات في هذه السورة بالذات. ثم لكون المفسر يركز في بداية التفسير على أشياء قد يضطر إلى تركها مع باقي السور اختصارا رغم أهميتها، وقد يحيل إليها إحالة تُرهق الباحث بعدم دقتها.

وبحثنا هذا يسعى إلى استجلاء الملامح الوظيفية في تفسير التحرير والتنوير معتمدا التمهيد الوظيفي الحديث الذي أصاب الدراسات اللغوية في السنوات الأخيرة ممثلة في الاتجاهين الوظيفيين: البنوي التقليدي المتأثر بدي سوسير (F.de saussure)، والتداولي الحديث المتأثر بسيمون ديك وغيره. والجانب الذي نحن بصدد دراسته هو إبراز السمات التي تبين أن تفسير التحرير والتنوير وظيفي يهتم بالدلالة ولا يركز على بنية الكلمات والعبارات في غير واقع الاستعمال، ثم هو دراسة تطبيقية في مصدر ثري بالظواهر اللغوية بأنواعها يجعل كل من يخوض غمار البحث فيه يتعلم الكثير من أسرار لغته، وتكون نتائج بحثه علامات ترشد على طريق البحث في مثله من المواضيع.

وبمجرد التفكير في هذا الموضوع رأيت أنه يتوجب عليّ الإجابة عن تساؤلات منها: ما هي الخلفية الفكرية للاتجاهين الوظيفي والشكلي؟ ما أسس التفريق بينهما؟ علام يقوم المنهج الوظيفي؟ هل اعتماد

النحو وعلم المعاني في دراسة وتفسير التراكيب اللغوية هو إجراء وظيفي؟ هل الاتجاه الوظيفي هو الأليق بدراسة التراث اللغوي العربي ومصادره أم الاتجاه الشكلي؟ وفي الأخير هل يعتبر تفسير الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور تفسيراً وظيفياً؟ وما هي السمات الوظيفية عند صاحبه؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات سطرنا خطة - عدلت عدة مرات - قسّمتُ على أساسها بحثي بالشكل:

مقدمة:

مدخل: لمحة عن التيارين الأساسيين في اللسانيات المعاصرة: التيار الشكلي، والتيار الوظيفي.

الفصل الأول: "الوظيفية" في الفكر اللساني المعاصر:

- 1- الوظيفية البنوية: أ - الوظيفية عند مارتيني
- ب - النموذج الوظيفي عند رومان جاكوبسون
- ج - الوظيفية عند البنويين العرب "تمام حسان نموذجاً"
- 2 - الوظيفية التداولية (سيمون ديك/أحمد المتوكل)
- 3 - ملامح المنحى الوظيفي في التراث العربي

الفصل الثاني: نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

(التحليل في ضوء المبادئ المنهجية لنظرية النحو الوظيفي)

- 1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل
- 2- تحدّد وظيفة اللغات الطبيعية الخصائص البنوية لهذه اللغات (تبعية البنية للوظيفة)
- 3- السعي إلى تحقيق الكفائتين: التداولية والنفسيّة

الفصل الثالث: السمات الوظيفية عند ابن عاشور

(ملامح المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير)

خاتمة: أهم نتائج البحث.

الدراسة في هذا الموضوع تتطلّب أن نجتمع بين المنهجين الاستقصائي والوصفي؛ فبالاستقصاء نجتمع المادة العلمية التي منها نأخذ شواهدنا على ما نطرح من أفكار وما نناقش من قضايا، وبالوصف والتفسير نحلل معطيات هذه المادة .

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور وتفسيره التحرير والتنوير

الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (1879-1973):

آل عاشور أسرة عرفت بالعلم، نشأت وترعرعت في الأندلس أيام الحكم الإسلامي، وبعد سقوط الحكم

الإسلامي فرّت من الأندلس إلى "سلا" من بلدان المغرب ومنها انتقلت إلى تونس لتستقر بها ⁽¹⁾. ولد الشيخ في قصر جدّه للأُم الوزير محمد العزيز بوعتور بضاحية المرسى في شمال تونس سنة 1879، أبوه الشيخ محمد بن محمد بن الطاهر الأول ^(*) بن محمد بن الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور ⁽²⁾، وأمه فاطمة بنت محمد العزيز بوعتور الوزير في عهد علي باي والرجل العالم الذي نقل عنه ابن عاشور الكثير في تفسيره ⁽³⁾. وله أكبر الأثر في حياته « فقد بلغ من عنايته بحفيده أنه آنس إقبال سبطه على العلم ونبوغه في اللغة وتوفره على الأدب وهب له خزانة كتبه فكانت خير هدية أهديت إليه حيث عكف على مخطوطاتها وأمعن في قراءته لنفائسها ⁽⁴⁾، هذا الجَد هو الذي « كتب له بخطه نسخة من المفتاح للسكاكي ونسخ له متن البخاري في جزء فريد، وجمع له في دفتر كبير نصوصا من عيون الأدب ⁽⁵⁾».

تعلّمه ودراسته :

حفظ القرآن وعمره لا يتجاوز الست سنوات في العام 1302هـ، وفي مسجد أبي حديد بدأ يتلقى دروسا في اللغة العربية ومبادئ الشريعة الإسلامية ⁽⁶⁾، وفي جامع الزيتونة ظهر نبوغه أكثر ⁽⁷⁾، وفيه حصل على شهادة التطويع ⁽⁸⁾. وعن مجال دراسته يقول ابن الخوجة: « درس الشاب محمد الطاهر ابن عاشور النحو فقراً سيدي خالد والقطر والمقدمة والمكودي ولامية الأفعال و الأشموني المغني بشرح الدماميني . ودرس البلاغة فقراً الدمنهوري على السمرقندية والسعد على التلخيص والمطول وفي المنطق قرأ السلم

(1) انظر :حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، (مخطوط رسالة دكتوراه) ، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، إشراف: د.عبد القادر هني، (1995-1996)، ص15.

(*) نشير هنا إلى أن جد الشيخ الذي نترجم له يسمى أيضا محمد الطاهر ابن عاشور (توفي سنة 1868هـ) وهو عالم كذلك.

(2) انظر: هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير"، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1994، ص19.

(3) انظر: حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير و التنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص15.

(4) عبد المنعم خفاجي: مهرجان ابن عاشور، ص3. نقلا عن: (هيا ثامر: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ومنهجه في تفسيره، ص29، 30).

(5) محمد الحبيب ابن الخوجة: جوهر الإسلام، عدد3، 4، ص12. نقلا عن: (هيا ثامر: المرجع نفسه، ص30).

(6)، (7)، (8) انظر: حواس بري: المقاييس البلاغية ، ص15.

والتهذيب. وفي الكلام قرأ الواسطي والعائق والنسفية والمواقف. وفي الفقه درس الدردير وميارة على المرشد والكفاية على الرسالة والتاودي على التحفة وفي الفرائض قرأ كتاب الدرة. وفي فن الأصول درس الخطاب على الورقات والتنقيح للقراقي والمحلى للسبكي وفي الحديث شرح غرامي صحيح وفي السيرة الشفاء بشرح الشهاب الخفاجي»⁽¹⁾، كما أن الشيخ درس الفرنسية وأخذ في تعلمها سنة 1216⁽²⁾.

تعليمه وتدريسه :

قال عنه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي : « عَلم من الأعلام الذين يعدّهم التاريخ الحاضر من ذخائره. فهو إمام متبحر في العلوم الإسلامية، مستقل في الاستدلال، واسع الثراء من كنوزها، فسيح الذرع بتحملها، نافذ البصيرة في معقولاتها، وافر الاطلاع على المنقول منها. أقرأ وأفاد، وتخرجت عليه طبقات ممتازة في التحقيق العلمي.»⁽³⁾، ومما قام بتدريسه: « الشرح المطول للتفتازاني، وكتاب دلائل الإعجاز للجرجاني في البلاغة، وشرح المحلى لجمع الجوامع للسبكي في أصول الفقه، ومقدمة ابن خلدون،... وديوان الحماسة لأبي تمام. ودرّس أيضا في الحديث موطأ الإمام مالك، وأقرأ تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب»⁽⁴⁾.

شيوخه :

من شيوخ ابن عاشور : محمد الصالح الرضوي السمرقندي، وصالح الشريف، إبراهيم المرغني، سالم بوحاجب، وعمر بن الشيخ، محمد النجار، ومحمد بن يوسف، ومحمد النخلي⁽⁵⁾، الشيخ محمد الشيخ، الشيخ صالح الحمودي... يقول صديقه وقرينه الشيخ محمد الخضر حسين: « شب الأستاذ على ذكاء فائق وألمعية وقادة الشاهد، والشيخ أحمد جمال الدين، الشيخ أحمد بن بدر الكافي والأستاذ أحمد وناس فلم يلبث أن ظهر نبوغه بين أهل العلم، ولما كان بيني وبينه من الصداقة النادرة المثال، كنا نحضر دروس

(1) ابن الخوجة: الهداية، عدد3، 4، ص11. نقلا عن: (هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره، ص26).

(2) انظر: عبد الملك ابن عاشور "الابن الثاني لابن عاشور"، رسالة مكتوبة، ص3. نقلا عن: (هيا ثامر: المرجع نفسه، ص27).

(3) محمد الحبيب ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، 2004/1425،

169/1.

(4) المرجع نفسه، 165/1.

(5) انظر: هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره، ص30، 31.

بعض الأساتذة جنبا إلى جنب مثل درس الشيخ سالم أبو حاجب لشرح القسطلاني على البخاري والأستاذ عمر بن الشيخ لتفسير البيضاوي ودرس الشيخ محمد النجار لكتب المواقف وكنت أرى شدة حرصه على العلم ودقة نظره متجليتين في لحظاته وبحوثه»⁽¹⁾.

من تلامذته:

من العلماء الذين تخرجوا عليه الإمام عبد الحميد ابن باديس رائد النهضة الجزائرية و الشيخ البشير الإبراهيمي وابنه الفاضل محمد الفاضل وأعلام كثيرون⁽²⁾.

مؤلفاته :

له مؤلفات كثيرة وفي فنون مختلفة في الشريعة الإسلامية وفي الدراسات اللغوية والأدبية، بالإضافة إلى الشرح والتحقيق والتعليق، منها المطبوع ومنها المخطوط، وأهم هذه المؤلفات وأضخمها شكلا ومضمونا "تفسير التحرير والتنوير" الذي يقع في خمسة عشر مجلدا .

تفسير التحرير والتنوير:

سمى ابن عاشور تفسيره بـ "تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد" ثم اختصر هذا الاسم باسم "التحرير والتنوير من التفسير"⁽³⁾، ومن أهم مصادر هذا التفسير: تفسير الكشاف للزمخشري، والحرر الوجيز لابن عطية، ومفاتيح الغيب للرازي، وتفسير البيضاوي، وتفسير الشهاب الألوسي، وما كتبه الطيبي والقزويني والقطب والتفتازاني على الكشاف، وما كتبه الخفاجي على البيضاوي وتفسير أبي السعود وتفسير القرطبي، والموجود في تفسير الشيخ محمد ابن عرفة التونسي، وتفسير الأحكام، وتفسير الطبري، وكتاب درة التزليل المنسوب لفخر الدين الرازي، وربما نسب للراغب الأصبهاني⁽⁴⁾.

منهجه في التفسير:

يقول ابن الخوجة عن الطريقة التي انتهجها ابن عاشور في تفسيره « يسلك في تفسيره وفي تحريره للمعاني والمقاصد الطريقة التطبيقية التي جرى عليها الزمخشري وابن الأنباري وابن الشجري وأمثالهم. فإذا

(1) محمد الخضر حسين: تونس وجامع الزيتونة، ص125. نقلا عن: (حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص 16).

(2) انظر: حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، ص18.

(3) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، 8/1، 9.

(4) انظر: ابن الخوجة: محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، ص319، 320.

ما قصرت هذه عن الوفاء بما أراد، عاد إلى محفوظه ومروياته من كلام العرب وأشعارها مستشهدا ومستنبطا، معلنا عن ابتكاراته وأفهامه الخاصة بقول "وعندي" وهكذا يضم هذه الطريقة الاستنتاجية التي كان عليها المبرد إلى الطريقة التطبيقية، وهذا الاجتهاد هو ما لا يتسنى لكل أحد، ولا نأنسه بكثرة عن أمثاله من المتقدمين في هذا العلم.⁽¹⁾

كما أننا نجد الشيخ يستفيد مباشرة من علم اللغة والنحو وعلم المعاني وعلم البيان... ويستشهد بأقوال علماء السلف كالزحاشري و السكاكي، «ولعل أبرز ما يمتاز به العلامة الشيخ-ابن عاشور- في هذا المجال بيان معاني مفردات القرآن وأساليب استعمالها بدقة لا نكاد نجد الكثير منها في قواميس اللغة وموسوعاتها، فهو يتوسع في ذلك توسعا يدل على مدى تمكنه من اللغة العربية وتبحره في علومها، وتوقفه في الاستدلال على المعنى المراد وصحة حمل الألفاظ على الاستعمال.»⁽²⁾

العربية في التحرير والتنوير

قام تفسير التحرير والتنوير على أصول ثلاثة هي اللغة والمأثور والرأي. ويجد المتتبع البصير لهذا التفسير أن اللغة هي التي نالت الحظ الأوفر وهذا مرده لخلفيته اللغوية وتمكنه من علومها، بحيث يمكننا اعتبار تفسيره تفسيرا لغويا⁽³⁾. يرى الشيخ ابن عاشور أن العربية استحقت بجدارة أن تكون لغة القرآن لما تتميز به عن سائر اللغات، بكونها: 1- أوفر اللغات مادة. 2- أقلها حروفا. 3- أفصحها لهجة. 4- أكثرها تصريفا في الدلالة على غرض التكلم. 5- أوفرها ألفاظا⁽⁴⁾.

(1) المرجع السابق، ص 320.

(2) التهامي نقرة: بحث بعنوان "عينة من أدلة الترجيح والتعلل في التحرير والتنوير"، ص 1، ضمن مهرجان ابن عاشور. نقلا عن: (هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره، ص 387).

(3) انظر: هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره، ص 385.

(4) انظر: التحرير والتنوير، 98/1.

مدخل ————— لمحّة عن التيارات الشكلية والوظيفية

مدخل¹ : لمحّة عن التيارات الشكلية و الوظيفة

أسهم كل من التراث اللغوي العربي والدراسات المتعلقة به في بعث اللسانيات وجعلها كيانا علميا مثل ما أسهمت الدراسات والنظريات غير العربية في ذلك. والنظريات اللسانية المعاصرة تنقسم انطلاقا من نظرتهما لماهية اللسانيات وموضوعها والمبادئ المنهجية التي حددتها لدراستها للغات الطبيعية إلى تيارين: أولا: نظريات لسانية شكلية "صورية":

وهي النظريات التي تتناول الجانب الصوري أو الشكل الظاهر للبنية اللغوية بغض النظر عن الوظيفة التي وجدت من أجلها اللغة في ذاتها أو الوظيفة التي شكّلت هذه البنيات لتأديتها «وتشمل النظريات اللغوية التي تعتبر أن اللغات الطبيعية أنساق مجردة يمكن دراسة بنياتها بمعزل عن وظيفتها في التواصل داخل المجتمعات»⁽¹⁾، ومن هذه النظريات النظرية البنوية الأوروبية، والنظرية البنوية الأمريكية. نحاول أن نتعرض لبعض ما يهمننا فقط مما تناولته النظريتان بعد أن نحدّد المقصود بالبنية و البنوية. مفهوم البنية: ورد في لسان العرب «البنية و البنية ما بنيته، ... البنية الهيئة التي بُني عليها مثل المشية والرّكبة»⁽²⁾.

وبنية الشيء: ما هو جوهري فيه، و«البنية مفهوم عربي دقيق متقدم على ما هو موجود الآن في اللسانيات البنوية»⁽³⁾ وتعني بنية الشيء ما هو أصيل فيه وثابت لا يتبدل بتبدل الأوضاع والحالات⁽⁴⁾، وهي أنواع: بنية كلمة وبنية جملة وبنية نص، وبنية الكلمة عند نحائنا العرب هي صيغتها أو وزنها أو هيئتها المتمثلة في عدد حروفها المرتبة أصليا وزائدة وحركاتها المعينة وسكونها⁽⁵⁾.

(1) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت)، ص26.

(2) ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1997، 258/1.

(3) عبد الرحمن الحاج صالح: مقارنة بين التحليل البنوي الأوروبي، و التحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

(4) انظر: عمر مهيبيل: البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991، ص16.

(5) انظر: عبد الرحمن الحاج صالح: المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ضمن: تقدّم اللسانيات في الأقطار

العربية، وقائع ندوة جهوية، أفريل، 1987، الرباط، هامش ص373.

مدخل ————— لحظة عن التباين الشكلي والوظيفي

والبنية هي نظام يقوم على قوانين داخلية تتحكم فيه. كما أنها علاقات تربط المكونات بعضها ببعض « دون الرجوع إلى عناصر خارجية، وهي تتميز بما يلي: بالشمولية والتحويل، والتنظيم الذاتي. »⁽¹⁾ ويؤكد هذا المعنى هلمسليف *L.Hjelmslev* (1899-1965)^(*) حيث يقول: « إن البنية كيان مستقل من العلائق بينها تبعية وخضوع داخليين، تماما كهذه البنية التي تعتبر كلا لا يتجزأ، فهي تشكل وحدة مستقلة بين عناصرها المكونة تساند داخلي ولها قوانينها الخاصة ولا يمكن إطلاقا وجود عنصر من البنية قبل وجود الكل سواء على المستوى السيكلولوجي أو الفيزيقي »⁽²⁾.

مفهوم البنية: كلمة بنوية *Structuralisme* مشتقة من كلمة بنية *Structure* وهي بدورها مشتقة من الفعل اللاتيني *Struere*، و البنية توجه فلسفي أساسه الشكل المجرد والصورة الظاهرة و البنية هي نظرية المعرفة... أي أن البنية موجودة في كل المعارف في العلوم والفيزياء....

البنية الأوربية: ظهرت مع سو سير ويعتبر أول منشئ لها مدرسة مستقلة ووضع لها أسسا قائمة بذاتها رافضة مبادئ المدرسة التاريخية والدرس المقارن.

يرى فردينان دي سو سير *F.de saussure* (1857-1913) أن موضوع اللسانيات الوحيد هو اللغة في ذاتها ولذاها واللغة عنده هي شكل تنظم وفقه الأصوات والمتصورات⁽³⁾، والشكلية هنا عند سو سير غير شكلية المنطق الرياضي وتحديداته ورسومه إنما هي مقيدة بالواقع الزماني والمكاني « إلا أنه وقع تأويل هذه الفكرة [شكلانية سو سير] تأويلا مبالغا فيه حاد عما أراده سوسير، وأخلّ بأهم ما وضعه من المبادئ. ويتمثل فساد التأويل في اعتبار اللغة نظاما شكليا على غرار الأنظمة المنطقية الرياضية... والتي لا تُخضع البعدين الزماني والاجتماعي... »⁽⁴⁾، والشكلانية تدرس اللغة كبنية في وضع آني، فسوسير يرى

(1) محمد الحناش: **البنوية في اللسانيات**، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1980/1401، ص101، 102.

(*) هلمسليف هو أحد أتباع المدرسة الألمانية "مدرسة النحاة الجدد" وكان يطمح في بناء نظرية جديدة تعني عن "دروس سو سير ومنوال تروباتسكوي (1890-1939) وأعمال بلومفيلد" انظر: عز الدين مجدوب: **المنوال النحوي العربي**، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998، ص51.

(2) L.Hjelmslev. *Sémantique structurale. Essais* 1951, P100. نقلا عن: (محمد الحناش: **البنوية في اللسانيات**، ص103)

(3) انظر: محمد الشاوش: **سو سير والألسنية**، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990، ص14.

(4) المرجع نفسه، ص22.

مدخل ملحة عن التباين الشكلي والوظيفي

أنّ الفعل اللغوي ينتج عن الجمع بين الأصوات والمعاني وتشكلهما معا لا بالفصل بينهما، وهذا يُحدث شكلا أو بنية هي جوهر اللغة سمي فيما بعد بالمنحى الشكلي وطبع جلّ الدراسات البنوية⁽¹⁾، وكان أساسا لكل المدارس الحديثة ومحل تأثير بشكل أو بآخر، في أوروبا وفي كثير من بلدان العالم خاصة في النصف الأول من القرن العشرين بعد ظهور كتاب "دروس في اللسانيات العامة" لفردينان دي سوسير⁽²⁾، غير أنّ هذا المنحى كان محل انتقاد فيما بعد من طرف كثير من الدارسين وعدّوه خطرا على اللغة وبهذا أصبح حافزا على ظهور مدارس وتيارات مستقلة⁽³⁾ ترى في نفسها القدرة على الإغناء عن البنوية وشكلانياتها وتعسفها في التحليل^(*)، وقد زادت حدة هذه الانتقادات إلى أن صار « بعض اللغويين البنيويين لا يقبل أن يطلق عليه بنيوي أو على الأقل يتردد في ذلك، فهو يقبل أن ينعت بوظيفي بدل بنيوي »⁽⁴⁾.

البنوية الأمريكية : نشأت البنوية الأمريكية في استقلال تام عن البنوية الأوروبية والتفكير السوسيري وجاءت لتحل مشاكل متعلقة بعلم الأجناس وتتمثل « في إيجاد منهج لدراسة لغات القبائل الهندية الأمريكية الرائجة في أمريكا الشمالية »⁽⁵⁾، ويعتبر إدوارد ساپير "E.Sapir" (1884-1939) أحد أبرز روادها ونجده يعطي أهمية كبرى لمفهوم الصورة أو الشكل⁽⁶⁾؛ فهو يرى أن اللغة مجموعة وحدات أو بنيات أو رموز. غير أنه لا يهمل الجانب الوظيفي في اللغة برغم احتفائه بالبنية أكثر من الوظيفة، فنجدّه يصرح بأن الوظيفة الأساسية للغات هي التواصل، يقول: « إن اللغة وسيلة لا غريزية خاصة بالإنسان، يستعملها لإيصال الأفكار والمشاعر والرغبات عبر رموز يؤديها بصورة اختيارية وقصدية »⁽⁷⁾، ومن

(1) انظر: المرجع السابق، ص 15.

(2) انظر: سعدي الزبير: **العلاقات التركيبية في القرآن الكريم**، دراسة وظيفية (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر،

إشراف: محمد بلقايد (1989/1410)، ص 20.

(3) انظر: محمد الشاوش: **سو سير والألسنية**، ص 17.

(*) مثلا عند تقطيع أي كلمة تدل على جمع التكسير يتعسف البنيوي في إيجاد القطعة التي تدل على الجمع. انظر: عبد الرحمن الحاج صالح: **المدرسة**

الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ص 373.

(4) محمد الحناش: **البنيوية في اللسانيات**، ص 102.

(5) عبد القادر المهيري: **اللسانيات الوظيفية**، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط 2، 1990، ص 39.

(6) انظر: طيب دبة: **مبادئ اللسانيات البنوية**، دار القصة، الجزائر، 2001، ص 140، 141.

(7) ساپير في: ميشال زكريا: **بحوث ألسنية عربية**، ص 67.

مدخل لمحة عن التيارات الشكلية والوظيفي

النظريات البنوية الأمريكية التي ذاع صيتها النظرية التوليدية التحويلية، وهي من النظريات التي ترى أنه يمكن دراسة اللغة باعتبارها بنية ومعمل عن وظيفتها⁽¹⁾، فقد جعلت النحو عملية ميكانيكية لها قواعدها التي تحقق العناصر اللغوية بشكل آلي، كما أنها لم تهتم بوظائف البنيات اللغوية عند حدوث عملية التحويل في مراحل توليد الجمل. ثم هي لم تراعى الواقع النفسي للمتكلم ولا سياق الحديث، «واعتبرت اللغة مجرد نشاط عقلي»⁽²⁾ وهذا هو الذي جعلنا نعتبرها نظرية بنوية غير وظيفية. برغم مناهضتها لكثير من الأفكار البنوية السوسيرية؛ فهي تعيب عليها وقوفها عند وصف الصورة (الشكل) وعدم تجاوزها إلى التفسير، كتوضيح أشكال التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية.

الجديد في نظرية تشومسكي هو التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وهو الذي أحدث ثورة لسانية وفي الوقت ذاته كان منطلقاً لانتقاد هذه النظرية، وجعل الكثير يعزف عنها؛ فهذه النظرية تركز على الخطاب أكثر مما تركز على المخاطب والمخاطب والواقع النفسي والاجتماعي لهما وظروف الخطاب وما دعا إليه، وهذا كله هو الانشغال الذي حمله التيار الوظيفي التداولي الذي تجاوز التجريد والبعد عن الواقع اللغوي، ورفض فكرة التحويل وجعل لكل عبارة أو كلام وظيفته وحاله ومقامه مهما تشابهت هذه العبارات، وكل تغيير فيها سواء كان حذفاً أو زيادة أو تقديماً أو تأخيراً... له استقلالته ووظيفته وما يبرره، والاتجاه الوظيفي يصف القدرة اللغوية للمتكلم/المستمع باعتبار هذه القدرة مجموعة قواعد بنوية وظيفية تمكنه أي هذا المتكلم/المستمع المحدد من استعمال عبارات محددة في موقف تواصل محدد لأداء غرض محدد⁽³⁾. و البنوية الأمريكية بقدر ما اعتبرها كثير من الباحثين لا تمت بصلة لأفكار سوسير⁽⁴⁾ يقرّ آخرون بأنها ترتبط بسبب أو بآخر بالفكر السوسيري لكون سوسير المؤسس الحقيقي للبنوية الحديثة⁽⁵⁾ وإليه «يرجع ما أطلق عليه اسم الألسنية البنوية عامة»⁽⁶⁾.

غير أن الدراسات اللسانية لم تبق حبيسة تفكير سوسير بل تطورت على أيدي كثير من الباحثين منهم

(1) انظر: أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 26 .

(2) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر "الألسنية"، تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد 3، 1989، ص 70.

(3) انظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993، ص 10.

(4) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 39.

(5) انظر: عمر مهيب: البنوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 20.

(6) محمد الشاوش: سوسير والألسنية، ص 5.

مدخل ————— لحظة عن التباين الشكلي والوظيفي

العلماء الروس مثل جاكسون وتروبتسكوي وكارشنسكي، والعالم الفرنسي إميل بنفست، والعلماء الأمريكيان مثل بلومفيلد و تشومسكي وسابير، والدانماركي هلمسليف، وغير هؤلاء كثير وقد كانت أعمالهم متفاوتة القيمة العلمية ويمكن تلخيصها إجمالاً فيما يأتي⁽¹⁾:

أ- ظهور مفهوم النسق وعدم عزل الحدود ودراستها مترابطة.

ب- التفريق بين التعاقب والتزامن، وتقديم التزامن على التعاقب خاصة عند المدارس الألسنية اللاحقة بعد سو سير.

ج- « الانتقال من المستوى القصدي للأفراد الناطقين إلى المستوى القصدي الذي تهيمن عليه قوانين النسق، فعقلانية النسق الألسني هي عقلانية غير قصدية ».

د- أسبقية التحليل التزامني (في اللسانيات البنوية) على تحليل التأثيرات الخارجية التي يمكن أن تمرّ بها الظواهر اللغوية.

ولا ننسى هنا أنّ التحو التوليدي التحويلي لتشومسكي أدرج فيما بعد المستوى التداولي بالإضافة إلى المستويات (الصوتية والصرفية والتركيبية)، وذلك كونه يحدّد هذه المستويات ويكون سبباً في وجودها وهي خدم له، وهذا من أهم مبادئ الدراسة الوظيفية. فتشومسكي يقر في أواخر السبعينيات بأنّ للمتكلم قدرتين: قدرة نحوية، وقدرة تداولية⁽²⁾. وهذا الاعتراف قد يكون من تداعيات ظهور الاتجاه الوظيفي الذي بدت معالم وجوده مع مدرسة براغ 1926، وراح يتطور إلى أن اكتسب صبغة التداولية مع سيمون ديك في 1978. وهذا سنتناوله في فقرات لاحقة.

ثانياً: نظريات لسانية وظيفية :

مفهوم الوظيفة:

يقول ابن منظور: « وظف: الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق، أو طعام، أو علف، أو شراب وجمعها الوظائف والوظف. ووظف الشيء على نفسه ووظفه توظيفاً. ألزمها إياه، وقد وظفت له توظيفاً على الصبي كلّ يوم حفظ آيات من كتاب الله عزّ وجل. »⁽³⁾، فالوظيفة عموماً هي الدور،

(1) انظر: عمر مهييل: البنوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ص 21، 22.

(2) انظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 30.

(3) لسان العرب، 6/ 460، 461.

مدخل = ملحة عن التباين الشكلي والوظيفي

وكلمة "وظيفة" في الدراسة اللغوية لها معنيان يهمننا أولهما، وهذان المعنيان هما:

- الوظيفة بمعنى الدور الذي تؤديه اللغة كظاهرة اجتماعية وهو التواصل.

- الوظيفة بمعنى العلاقة التي تقوم بين عناصر الجملة كعلاقة الإسناد في الدراسة الوظيفية للجملة، وكالعلاقات المقترحة في إطار الجهاز الوظيفي المعقد⁽¹⁾ عند سيمون ديك وتعني بدورها الوظائف الثلاث: الوظائف الدلالية (وظيفة المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد..)، والوظائف التركيبية (وظيفة الفاعل ووظيفة المفعول)، والوظائف التداولية (وظيفة المبتدأ، وظيفة المحور، وظيفة البؤرة، وظيفة المنادى، وظيفة الذيل). وكالعلاقات التي تقوم بين العناصر اللغوية في البنية النحوية للتعبير (الفونيم، المورفيم، الكلمة، المركب ... الخ)

نركز في دراستنا هذه على الوظيفة التي تعني الدور المنوط ببنيات اللغة ككل وهو التواصل.

الوظيفية: نسبة إلى الوظيفة، كقولنا مدرسة لغوية نسبة إلى اللغة، وتعني في الاتجاه الوظيفي التداولي ارتباط بنية اللغة بوظيفة التواصل والبيان، ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة وتابعة لها، « وتقوم فرضية الوظيفية على اعتبار الوحدات اللسانية من خلال دورها الذي تلعبه في التواصل »⁽²⁾، ونجد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح يفسر الوظيفة بالعمل أو الدور المؤدى (التبليغ)، والوظيفية عنده نسبة إلى هذا، حيث يقول عن مدرسة براغ: « أخص شيء تمتاز به هذه المدرسة عن غيرها هو اعتمادها الأساسي على العمل (أو الدور) الذي تؤديه العناصر اللغوية في عملية التبليغ ولهذا سميت التزعات المتفرعة عنها (ومنها مدرسة مارتيني الفرنسية) بالوظيفية »⁽³⁾، وإلى هذا المصطلح تنسب مدارس واتجاهات لغوية بدأت تبرز مع ظهور مدرسة براغ وتحاول أن تفسر ظواهر اللغة من كل جوانبها. ومن هذه الاتجاهات الاتجاه الوظيفي الذي أشرنا إليه والذي يعتبره بعضهم نقيضا للاتجاه التحويلي⁽⁴⁾، وذًا موقف نقدي من التيار البنوي الذي انبثق عنه وعُدّ مندرجا فيه⁽⁵⁾.

(1) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، مجلة الدراسات اللغوية، يصدرها مركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية، السعودية، المجلد الخامس، العدد الأول، أبريل/ يونيه، 2003، هامش ص14.

(2) محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص96.

(3) عبد الرحمن الحاج صالح: مدخل إلى علم اللسان الحديث (3)، مجلة اللسانيات، المجلد الثاني، العدد 1، 1972، الجزائر، ص54.

(4) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص70.

(5) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص39.

مدخل = لحة عن التيارين الشكلي والوظيفي

ذكرنا سابقا أن التيار البنوي يعتبر اللغات الطبيعية بنيات مجردة، توصف بغض النظر عن مقاماتها التواصلية وظروف إنجازه، ويقابل هذا التيار التيار الوظيفي (*Functionalism*) الذي يرى أن اللغة وسيلة الإنسان في التبليغ والتواصل وترتبط بمقوماته الاجتماعية والثقافية والحضارية، يقول د. عبد السلام المسدي: «محدد اللغة وظيفيا أنها أداة الإنسان إلى إنجازه العملية الإبلاغية في صلب المجتمع مما يطوع تحويل التعايش الجماعي إلى مؤسسة إنسانية تتحلى بكل المقومات الثقافية والحضارية»⁽¹⁾ ومن أهم مبادئه «اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها (جزئيا على الأقل) ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية وظيفة التواصل»⁽²⁾، ويدخل ضمنه: النظريات التي تأخذ بعين الاعتبار البعد التداولي في وصف اللغة ومنها ما كان يدعى "الدلالة التوليدية" (*Generative semantics*)، والنظرية الوظيفية المقترحة في إطار مدرسة هارفارد الأمريكية، والمدارس الوظيفية الأوربية التي منها المدرسة النسقية (*Systemics*)

ومدرسة براغ (*Functional sentence perspective*) وأخيراً النحو الوظيفي (*Functional Grammar*) لسيمون ديك *1978 Simon Dik*⁽³⁾. ونظرية النحو الوظيفي هي التي نتخذها إطارا نظريا لبحثنا، وهي من أهم وأحدث النظريات اللسانية الوظيفية التي كان لها وقع كبير في ميدان الدراسات اللغوية مما دفع «بأصحاب بعض النظريات اللسانية الأعرق، مثل النظرية التوليدية والتحويلية، إلى إعادة النظر في أسس نظريتهم ومبادئها، أو تركها والتحول عنها إلى التيارات الوظيفية»⁽⁴⁾. ومن الاهتمام بها أن اضطر بعض الباحثين واللغويين إلى إعادة دراسة قواعد لغاتهم «فقد أصدر معهد اللغة الروسية التابع لأكاديمية العلوم السوفيتية عام 1970 كتابا جديدا لقواعد اللغة الروسية المعاصرة انطلاقا من النظرية البنيوية الوظيفية. كما درس الكثير من لغات العالم من مواقع تلك النظرية كالإنكليزية والتشيكية واليابانية... وعقدت مؤتمرات دولية لبحث المسائل المتعلقة بالتقسيم الوظيفي للجملة»⁽⁵⁾، وبهذا يمكن القول بأن المنهج الوظيفي نال شهرة واسعة بين الدراسات اللغوية المعاصرة بل وأصبح محل استقطاب كما أشرنا لكثير من نوابغ الباحثين والدارسين وهذا بعد أن أثبتت الدراسة (1) اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986، ص31.

(2) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص8.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص8. وانظر: المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص26.

(4) روبرت: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص361، 362. نقلا عن: (مسعود صحراوي:

"المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص13).

(5) جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلالات الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980، ص116.

مدخل لمحة عن التباين الشكلي والوظيفي

الوظيفية موضوعيتها العلمية وواقعيتها اللغوية في كثير من مبادئها المنهجية، مما أدّى بالتيارات الأخرى إلى فقد الكثير من مصداقيتها وضعف قدرتها على الجذب وصدّ المناصرين عنها، ومردّ هذا كله ليس هو طريقة تحليلها التراكيب (الجهاز الوظيفي)، ولا مثالية مفاهيمها الإجرائية، ولأما اعتمده من رموز رياضية وتشكيل معقّد للصيغ⁽¹⁾، ولكن السبب هو أنها لم تحمل أساسيات يفرضها الواقع اللغوي ولكن أهملتها النظريات السابقة، ومنها ظروف إنجاز الخطاب والحال النفسي والاجتماعي لكل من المخاطب والمخاطب، وملابسات الخطاب والغرض منه... والأنحاء الوظيفية تنظر إلى اللغات الطبيعية على أنها بالإضافة إلى كونها بنية أو نسقا شكليا (صوتيا، صرفيا، تركيبيا، معجميا...) تعتبر أداة لوظيفة أساسية هي التواصل؛ فاللسانيات الوظيفية - حسب "كونو" - هي «مقاربة لتحليل البنية اللغوية تعطي الأهمية للوظيفة التواصلية لعناصر هذه البنية بالإضافة إلى علاقتها البنيوية»⁽²⁾، كما يمكن أن تؤدّي اللغة وظائف أخرى قد تكون أشكالا مختلفة لوظيفة التواصل منها الوظيفة الجمالية التي هي تحويل لوظيفة التواصل عن غرضها⁽³⁾، ومنها الوظائف الست^(*) المشهورة عند ياكبسون (1896-1982)، والتي اقترحها في 1963، والوظائف الثلاث (الوظيفة التمثيلية والوظيفة العلاقية والوظيفة النصية) الواردة عند هاليداي 1970⁽⁴⁾، والتي حاول على غرارها أن «يقيم نظاما نحويا على أسس دلالية وظيفية»⁽⁵⁾.

فالاتجاه الوظيفي ينظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية تربط البنية اللغوية بوظيفة الاتصال⁽⁶⁾، وتعتبرها أصواتا ومعنى يربطهما الحافز التواصلية بين أفراد المجتمع اللغوي⁽⁷⁾.

وضعت الأسس الأولى للنظرية الوظيفية مع دراسات مائسيوس ابتداء من 1911⁽⁸⁾ وهذه الأسس أشتات لا (1) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 13.

(2) أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 104.

(3) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 42.

(*) انظر: تفصيل هذه الوظائف في: الفصل الأول، ص 36، وما بعدها.

(4) انظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التمثيلية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، 1995، الرباط، ص 14.

(5) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 93.

(6) انظر: جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة، ص 61.

(7) انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص 137.

(8) انظر: جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط 1، 1993،

ص 106. وانظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 20.

مدخل ————— ملحة عن التيارات الشكلية والوظيفية

تكاد تذكر أو يتحدد لها اتجاه فنجد أكثر الدارسين يؤرخون للمدرسة الوظيفية مع مدرسة براغ 1926.

المدارس الوظيفية : نركز هنا على أشهر المدارس :

1- مدرسة براغ :

اللسانيات الوظيفية منحى تكونت ملامحه في حلقة براغ التي استفادت من آراء سو سير وشكلت نظرية مستقلة أساسها اعتبار اللغة نظاما وظيفيا يمكن الإنسان من التواصل والإفصاح عن مقاصده ورغباته. كان أول اجتماع لـ "وليم ماثيسوس" التشيكي (*Mathesius*) (1882-1945)، ومجموعة من المهتمين بالدراسات اللغوية من الذين التزموا بمنهج هذه المدرسة -أيضا كانوا- في أكتوبر 1926، وقد عرف هذا التجمع فيما بعد باسم (مدرسة براغ) ⁽¹⁾. «وقد ضم الجمع عددا من اللغويين الأوكرانيين والألمان والروس والسلافيين ممن لم يكونوا يقيمون في تشيكوسلوفاكيا. فالتسمية إذن لا تشير إلى المحلية، ولكنها تستخدم استخدما علميا لتشمل تلك النظرة الخاصة التي تميزت بها هذه المدرسة في التحليل اللغوي ألا وهي النظرة الوظيفية.» ⁽²⁾، نذكر هنا أن دعوة ماثيسوس الأولى لدراسة اللغة دراسة غير تاريخية كانت في حوالي 1911 ⁽³⁾.

اللغة ككل عند مدرسة براغ لأجل خدمة هدف، وهذا ما امتازت به عن المدارس الأخرى المعاصرة لها، وهي أداة تواصل تحلل بواسطتها التجربة البشرية -حسب كل مجموعة إنسانية وحسب مبدأ خطية اللغات الطبيعية- إلى وحدات صغرى دالة تسمى اللفاظم (*Monèmes*)، وهي بدورها تقطع إلى وحدات متتالية أصغر منعقدة الدلالة تسمى الصواتم (*Phonèmes*) تختلف من لغة إلى أخرى من حيث طبيعتها وعددها غير أنها محدودة العدد في كل لغة. وتحدد اللفاظم و الصواتم بواسطة ما يسميه أتباع مدرسة براغ التقطيع المزدوج الذي تشترك فيه كل اللغات الطبيعية ⁽⁴⁾. وتصنف اللفاظم إلى ثلاثة أنواع ⁽⁵⁾:

1- اللفاظم المستقلة (*Autonomes*)، ومنها في العربية على سبيل المثال بعض الظروف مثل: حيث وبعد وقبل و الأفعال.

(1) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 73.

(2) المرجع نفسه، ص 74.

(3) انظر: جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، ص 106.

(4) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 41 ، 42 .

(5) انظر: المرجع نفسه، ص 48.

مدخل ————— لحظة عن التباين الشكلي والوظيفي

- 2- اللفاظ الوظيفية (*les monèmes Fonctionnels*) مثل: حروف الجر وحروف العطف .
- 3- اللفاظ التابعة (*Dépendants*) وهذا النوع تتعدد وظائفه ... كالمرتبة أو الاتصال بلفظ وظيفي أو الإعراب كما هو الشأن في العربية.

وهناك جانب آخر اهتمت به مدرسة براغ وهو التحليل الوظيفي للجملة؛ فالمستويات الثلاثة للجملة: النحوي والصرفي و الدلالي تتفاعل خلال عملية الاتصال اللغوي لتنتج الكلام الذي يقوم بالتعبير عن الوظيفة المقصودة من تفاعل هذه المستويات وهي التواصل.

والجملة بحسب المنظور الوظيفي تتألف من شقين⁽¹⁾ هما: المسند إليه (*Theme*) ويسمى الموضوع: وهو يتعلق غالبا بشيء يعرفه السامع (أو أشير إليه في الجمل السابقة)، والمسند (*Rheme*) ويسمى المحمول: وهو الذي يحمل خبرا أو حقيقة جديدة حول الموضوع المطروح، وصنفت النظرية الوظيفية الوظائف في الجملة أو العبارة الواحدة إلى وظائف أولية ووظائف غير أولية: ففي المثال: زار الطفل الحديقة بكل أجنتها أمس. كل من زار والطفل ووظائف أولية والباقي ووظائف ثانوية. كما أنه ليست كل الوظائف الأولية متساوية الأهمية في الكلام⁽²⁾.

اهتمت مدرسة براغ بالمعنى خلافا للمدارس البنوية التي ربطت المعنى بفكرة المنبه ورد الفعل؛ فمدرسة بلومفيلد وغيره من اللغويين الأمريكيين قد تأثروا بالفلسفة السلوكية وربطوا المعنى بالمشير والاستجابة؛ حيث انصرف التوزيعيون عن دراسة المعنى لما تثيره من مشاكل لا حل لها - حسب ما يراه الوظيفيون - إلا في اعتماد مفهوم الوظيفة التي هي العلاقة التي تنشأ بين عناصر الجملة أو الملفوظ وبها يمكن ضبط المعنى، فعلى أساس الوظيفة هذه (وظيفة التواصل) تختار عناصر الجملة أو الملفوظ ولا يُلتفت لما لا يؤدي وظيفة أو شحنة إخبارية أو تبليغية⁽³⁾، فلم تُعر قضية المعنى الاهتمام الكافي في الاتجاهات البنوية مثل ما نالته في المدارس الوظيفية⁽⁴⁾، كمدرسة براغ التي هي بدورها لم تسلم من نقائص حالت دون تفسير بعض الظواهر اللغوية وأثارت انتقادات منهجية نذكر أوضاعها :

- ما تثيره ازدواجية التقطيع التي تبنى على أساس أن يقابل كل مدلول دال في مدرج الكلام من تعسف في

(1) انظر: جيفري سامبسون: المدارس اللغوية، ص 107.

(2) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 50.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 51.

(4) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 74.

مدخل ————— لحة عن التباين الشكلي والوظيفي

- تحليل الدوال الممزوجة فمثلا نجدهم يتكفون في تحديد الدال على الجمع في كلمة رجال .
- عدم القدرة على تفسير ظاهرة النعمة التي تضطلع بوظيفة في الاستفهام والتعجب مما يجعلها تعوض دوال يمكن تحليلها إلى أجزاء في مدرج الكلام⁽¹⁾.
- اعتماد المعنى بجانب الشكل في وصف اللغة يثير تأويلات قد تتعدّد وتحدث مشاكل.

2- مدرسة لندن :

المنحى الوظيفي عند مدرسة لندن يتعامل مع المستويات أو الأنظمة الأربعة في التحليل اللغوي (الأصوات، المفردات، النحو، الدلالة)، وبرز فيه توجهان؛ أحدهما يتزعمه فيرث والآخر يتزعمه هاليداي:

أ- **المعنى وسياق الحال عند فيرث:** دعا فيرث إلى التركيز على المعنى في دراسة اللغة وذلك في إطار العلاقات المتشابكة التي ينجز فيها الكلام؛ فالكلام بمعناه ليس وليد لحظة محددة وإنما هو حصيلة مواقف عديدة في المجتمع، فاللغة تدرس بمراعاة سياق الحال وذلك لكونها جزءا من حياة المجتمع، وفي هذا الجانب يبدو تأثير فيرث بأفكار مالنوفسكي⁽²⁾.

ب- **النحو النسقي (النظامي) هاليداي (Systemic grammar):** النحو النسقي وضع أسسه النظرية البروفيسور مايكل هاليداي ، وواصل البحث في إطاره أتباعه. ويعتبر من أكثر النظريات تكاملا عند مدرسة لندن ومن مبادئه:

- وظائف التراكيب تحدّد إلى حد بعيد الخصائص البنيوية لها (الصرفية، التركيبية...).
- النحو مبني على أساس تعدد وظائف اللغة *Multiple function* بحسب التركيب أو البناء اللغوي. فاللغة غنية يجد مستعملها ما يعبر به عن كل أفكاره ومشاعره⁽³⁾.

يقترح النحو النسقي وظائف ثلاث للغة تمثلها البنية مرتبطة بالنشاط اللغوي والبيئة الاجتماعية، وهذه الوظائف تؤديها وسائل ثلاث أيضا تسمّى أنساقا، وهي:

- ب-1 **الوظيفة التمثيلية:** وهي وظيفة تمثيل الواقع، ويطابقها نسق التعدية. يتضمن نسق التعدية مفاهيم دلالية كمفهوم "المتقبل والمنفذ"، كما يشمل أيضا ظروف الكلام الحالية وملابساته.
- ب-2 **الوظيفة التعالقية:** وهي وظيفة التعالق بين المشاركين، ويطابقها نسق الصيغة. ويعبر هذا النسق عن

(1) انظر: عبد القادر المهيري : اللسانيات الوظيفية، ص51.

(2) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص82.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص89.

مدخل = ملحة عن التيارات الشكلية والوظيفية

مفهومي "الجهة والقضية"، والقضية بدورها مكونة من "فاعل وفضلة وتوابع".

ب-3 الوظيفة النصية: وهي وظيفة تنظيم الخطاب حسب مقتضى الحال ويطابقها نسق المحور ويشمل العلاقات ذات الطابع التداولي إذ يعبر عن مفاهيم تداولية (أو نصية) كمفهوم "التعليق" ومفهومي "المعطى والجديد". والوظائف الثلاث تتكامل في بنية لغوية واحدة لتحقيق الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل والإبداع، هذا الإبداع اللغوي *Creativity* يتمثل في قدرة المتكلم على خلق معان جديدة، لا في قدرة المتكلم على توليد أو خلق جمل جديدة كما يرى التحويليون « وهذا المثال يوضح الاختلاف الجذري بين اتجاه شومسكي العقلاني واتجاه هاليدي الوظيفي فعلى حين ينظر شومسكي إلى اللغة على أنها شيء نعرفه، ينظر هاليدي إلى اللغة على أنها شيء نفعله»⁽¹⁾.

3- الوظيفة عند هايمز *Hymes*:

النمط الوظيفي الذي اقترحه هايمز يبدو أنه جاء رد فعل على التيار العقلاني الذي نشر أفكاره تشومسكي وأتباعه، وأهم ما نسجله بهذا الصدد من فرق بين التيارين هو أن تشومسكي قد حصر معرفة الفرد بلغته في شيئين: الملكة الذهنية لقواعد هذه اللغة، والتي سماها "القدرة" *Competence*، والاستعمال الفعلي للغة والذي سماه "الأداء" *Performance*. بينما هايمز يرى أن القدرة اللغوية هي أوسع من أن تكون ملكة ذهنية لقواعد اللغة بل تتمثل في القدرة على الاتصال الذي هو الوظيفة الأساسية للغات عامة وهذا هو الذي يناسب الطبيعة الاجتماعية للغة⁽²⁾.

ويمكننا القول هنا أنه مع هايمز تطور مفهوم "القدرة" ولم يبق مقصوراً على ملكة قواعد اللغة، وتوليد عدد لا متناه من الجمل، وإنما روعيت فيه اعتبارات وظيفية، وأصبح يشمل أموراً أخرى من بينها⁽³⁾:

أ- مراعاة عنصر النية أو القصد في التعبير (مثلاً تغير الدلالات عند المزاح).

ب- وجود مهارات عديدة للمتكلم والمتلقي بحكم كونهما أفراداً في بيئة اجتماعية ثقافية معينة (مثلاً مهارة الاستماع والكياسة والأدب).

ج- أهمية التقاليد الاجتماعية والأعراف والموروثات الشعبية في استعمال اللغة وفهمها وتحليلها.

بقي أن ننبه إلى أن اتجاه هايمز عبارة عن مقترحات دلالية من الممكن توظيفها في تحليل النصوص، وفي هذا

(1) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 89.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 94.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 95.

المجال تلتقي آراؤه مع آراء هاليداي، ولم يكن اتجاه هايمز نظرية لها مبادئها المستقلة⁽¹⁾.

4- النحو الوظيفي التداولي (سيمون ديك/أحمد المتوكل):

كان فضل السبق في دراسة اللغات في جانبها التداولي لفلاسفة اللغة العادية، فقد أبرزوا بعض الظواهر المتعلقة بالواقع الاستعمالي للغة في المقامات المختلفة للوصول إلى أهداف، ولإفصاح عن رغبات، من ذلك ما وضعوه من تحليلات لظواهر مرتبطة بالإحالة والاقتضاء وأفعال الكلام، وتم اقتراض هذه المفاهيم لتستعمل في الدراسات اللغوية⁽²⁾، والتعاون بين الفلاسفة واللغويين مثمر لاسيما فيما يخص «أمهات القضايا من حيث تحليل اللغة، وأعني بها: كيفية تفاعل البنية والوظيفة»⁽³⁾، لكن سرعان ما تجاوز الدرس الوظيفي التداولي التفكير الفلسفي في اللغة وعمل على صقل أدوات تحليله⁽⁴⁾. وهو يتناول الكيفية والشروط الخارجية لاستخدام دوال اللغة أثناء الخطاب، كما يتناول طريقة تفسيرها انطلاقا من المقام، وسياق الحال أثناء التعبير عن الأغراض التواصلية لا قبله ولا بعده، فنظرية النحو الوظيفي تعتبر خصائص بنيات اللغات تحدد بحسب الأهداف التواصلية التي تستعمل هذه اللغات لتحقيقها⁽⁵⁾، وتختلف جذريا عن البنوية التي تدرس اللغة الميتة باعتبارها نظاما معزولا عن الواقع الذي أنتج فيه، وتكتفي بالمدونة، وتعدّ العناصر الفاعلة في الكلام وملابساته عناصر خارجة عن اللغة.

رغم تباعد زمن وجود المدارس الوظيفية الثلاث (براغ، النحو النسقي، النحو الوظيفي) واختلاف بيئاتها الثقافية تشترك في مجموعها في نظرتها لطبيعة اللغة: «فاللغة وسيلة اتصال اجتماعية يستعملها الفرد لأداء وظائف مختلفة للتأثير على الآخرين»⁽⁶⁾. كما أنها انفردت عن غيرها من المدارس بمبدأ علاقة الوظيفة بالبنية وهو مبدأ هام، إذ قامت بدمج مستوى تداولي بالإضافة إلى المستويات (الصوتي، الصرفي، التركيبي)، ضمن الجهاز الواصف للغة ليضطلع برصد الترابط القائم بين البنية ووظيفتها التواصلية، وذلك أن الخصائص

(1) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 95.

(2) انظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 15.

(3) الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص 52.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص 51.

(5) انظر: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص 10.

(6) يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 73.

مدخل ————— ملحة عن التباين الشكلي والوظيفي

التداولية للعبارة اللغوية تتفاعل في تحديد خصائصها البنوية⁽¹⁾ سواء على مستوى الجملة أو على مستوى النص، وهنا نشير إلى أن الدراسات الوظيفية ركزت في الفترة الأخيرة على الأسلوب، وأسس الربط في النص⁽²⁾، وتشترك في مجموعة من المبادئ المنهجية التي تؤسس لوظيفيتها وإن اختلفت بعض الشيء في نموذج جهاز الوصف⁽³⁾، ولنا أن نلخص أهم المبادئ المنهجية المعتمدة في الدرس الوظيفي فيما يأتي⁽⁴⁾ :

أ- للغة وظائف متعددة تعدد الأغراض المستعملة لأجلها، ولكن الوظيفة الأساسية هي وظيفة التواصل.

ب- ترتبط البنية بالوظيفة ارتباطا يجعل البنية انعكاسا للوظيفة.

ج- موضوع الوصف اللغوي هو "القدرة التواصلية" (*Communicative competence*) للمتكلم/المخاطب، والقدرة هذه هي مجموع القواعد البنوية/الوظيفية التي تمكنه (المتكلم/المخاطب) من استعمال عبارات لغوية معينة لتأدية أغراض معينة في مواقف تواصلية معينة.

د- تشكل النحو الكلي مجموعة من المبادئ العامة الرابطة بين أنماط من الأغراض وأنماط من التراكيب اللغوية.

هـ- تتفاضل الأنحاء حسب استجابتها لمبدأ الوظيفة، أي حسب قدرتها على رصد الظواهر اللغوية وتفسيرها في إطار الارتباط القائم بين البنية والوظيفة .

و- يجب أن يصاغ النحو بحيث تكون الخصائص التركيبية الصرفية ناتجة عن قواعد تتخذ دخلا لها البنية الممثل فيها للخصائص الدلالية والتداولية.

وتنفرد نظرية النحو الوظيفي لسيمون ديك بمبدأ آخر بالإضافة إلى المبادئ المذكورة هو:

- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات⁽⁵⁾:

أ - الكفاية التداولية (*Pragmatic adequacy*)

ب - الكفاية النفسية (*Psychological adequacy*)

ج- الكفاية النمطية (*Typological adequacy*)

(1) انظر: أحمد المتوكل: الوظيفة والبنية، ص25.

(2) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص97.

(3)، (4) انظر: المتوكل: الوظيفة والبنية، ص10.

(5) انظر: *Simon Dik* في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78. الوظائف التداولية، ص10. دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص9.

قضايا اللغة العربية، ص13 وما بعدها.

الشكلية والوظيفية في النحو العربي

يذكر علماء اللغة أنّ النحو العربي نشأ أول مرة لإصلاح وتقويم اللحن الذي وقع في قراءة القرآن، وفي ضبط أواخر كلماته بالذات، وبدأ ينتشر في البيئة العربية بسبب دخول الأعاجم والموالي في الإسلام وقد تصدى لهذا اللحن علماء أفذاذ ووضعوا قواعد تركّز على العلامة الإعرابية⁽¹⁾ ومبنى الكلمات دون الانتباه كثيراً إلى المعنى وهذا التوجه قد فرضته ظروف تعليم اللغة لغير الناطقين بها، وفي هذا المضمار يقول د. حسان تمام: «ولكن الظروف التي دعت إلى نشأة الدراسات اللغوية العربية كانت العامل الرئيسي في تحديد مسار هذه الدراسات وفلسفة منهجها. فلقد نشأت دراسة العربية الفصحى علاجاً لظاهرة كان يخشى منها على اللغة وعلى القرآن، وهي التي سموها (ذبوع اللحن)... من هنا اتسمت الدراسات اللغوية العربية بسمة الاتجاه إلى المبنى أساساً، ولم يكن قصدها إلى المعنى إلا تبعاً لذلك، وعلى استحياء»⁽²⁾. واستمر هذا التركيز على المبنى أو الشكل زمناً طويلاً، إلى أن صار عيباً اتُّقده بعض علماء اللغة، ومنهم الشيخ عبد القاهر الذي نجده يردّ على الذين قصرُوا النحو على الشكل وتحقيق العلامة الإعرابية قائلاً: «وأما النحو فظننته ضرباً من التكلف، وباباً من التعسف، وشيئاً لا يستند إلى أصل، ولا يعتمد فيه على عقل، وأنّ ما زاد منه على معرفة الرفع والنصب وما يتصل بذلك مما تجده في المبادئ، فهو فضل لا يجدي نفعا ولا تحصل منه على فائدة، وضربوا له المثل بالملح كما عرفت»⁽³⁾. شبه النحو بالملح في الطعام قاصداً أنه مهم، ولكن يؤخذ منه على قدر الكفاية، ولا يعني أنه يزهد في النحو، ويقلل من شأنه بل بالعكس يحذر من ذلك⁽⁴⁾، وعن إبعاد النحاة القدامى مجال النحو عن علم المعاني، وضرر ذلك يقول الأستاذ إبراهيم مصطفى: «فالنحاة حين قصرُوا النحو على أواخر الكلمات وعلى تعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقاً منحرفاً، إلى غاية قاصرة، وضيعوا كثيراً من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة. فطرق الإثبات، والنفي، والتأكيد، والتوقيت، والتقديم، والتأخير، وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس، إلا ما كان منها ماساً بالإعراب، أو متصلاً بأحكامه،

(1) محمود أحمد نخلة: لغة القرآن الكريم في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 453، 454.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998، ص 11، 12.

(3) دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهد ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2000،

ص 67، 68.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص 87، 86. وانظر: أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ص 55.

مدخل ————— ملحة عن التباين الشكلي والوظيفي

وفاتهم لذلك كثير من فقه العربية، وتقدير أساليبها»⁽¹⁾ وكلامه هذا لا نظنه يقصد به مرحلة نشأة النحو إذا ما نظرنا إلى ظروف هذه المرحلة، فما يريده أن يتجسد من الطبيعي أن يأتي في مراحل متطورة يطلب فيها الإبداع في الدراسة اللغوية، وذلك حينما يكون المتلقون لهذه اللغة أناسا فهموا على الأقل بعض أسرارها ولطائفها، أمّا أن تقدم هذه النماذج والأساليب لغير العربي فهذا غير ممكن. وقد كان هذا الاهتمام بالشكل أكثر من المعنى في بدايات نشأة النحو لغرض التعليم، أما فيما بعد فقد ظهر عند كثير من حذّاق النحاة والبلاغيين والأصوليين والمفسرين الاهتمام بالمعنى أو بوظيفة الكلمات بجانب شكلها، وعالجوا ظواهر لغوية تماثل تلك التي عولجت في النحو الوظيفي المعاصر وما تصدوا له ظاهرة الترابط بين البنية الشكلية للغة وخصائصها الوظيفية التداولية⁽²⁾، ومن هؤلاء الأفذاذ سيبويه، ابن جني، الجرجاني، السكاكي...، فقد كان هؤلاء وقفات منشورة فيما تركوه لنا تظهر حقاً عدم إهمالهم لمعاني ووظائف البنيات والتراكيب، ومن ثم معرفتهم بالوظيفة الأساسية للغة وعلاقة البنية بالوظيفة كل ذلك في إطار التواصل^(*) فقد عرف "ابن جني" اللغة على هذا الأساس قائلاً: «أما حدّها فإنها أصوات يعبر بها كلّ قوم عن أغراضهم»⁽³⁾؛ فاللغة ليست صوتاً فقط ولا مجموعة تراكيب معزولة ولا لفظاً مجرداً من معنى، بل هي أداة تطلبتها أحوال البشر للتعبير بها عن أغراضهم من خلال خطابات معينة تجرى في مقامات معينة، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: «إن تعلم اللغة لابدّ أن يستجيب لما يحتاج إليه المتعلم للتعبير عن كل ما يختلج في نفسه وما يبدو في ذهنه وما يمكنه من غرض، فاللغة وضعت للتبليغ والاتصال قبل كل شيء، فإذا لم يفهم ذلك المعلم وقصد تعليم الأساليب التي يجدها في النصوص في ذاتها ولنفسها، أي كنماذج الأساليب الجميلة، ودون مراعاة الاحتياجات التعبيرية الحقيقية التي يشعر بها المتكلم عند استعماله الفعلي للغة في مختلف الأحوال الخطابية التي تثيرها الحياة اليومية فإنه يكون بذلك أخطأ الغرض والأساس بل جمد بذلك استعمال اللغة العربية وقصره على الجانب الأدبي الجمالي ليس غيره»⁽⁴⁾.

(1) إحياء النحو، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003/1423، ص 2، 3.

(2) انظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 41.

(*) وسنوضح شيئاً من هذا لاحقاً في الفصل الأول ص 43، وما بعدها.

(3) الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، 2000، 33/1.

(4) الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية، تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم، تونس، العدد 2، 1985، ص 22.

مدخل ————— لحظة عن التباين الشكلي والوظيفي

ظهر جلياً مع عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) ربط البنية اللغوية بوظيفتها، فقد جعل لكل غرض أو وظيفة تؤدّي بواسطة اللغة وجهاً من التراكيب خاصاً بها. وهذا ما سّماه عبد القاهر - عند توضيحه لحقيقة النظم في الكلام - بمصطلح الوجوه والفروق؛ أي تختلف وجوه (صور) البنيات بحسب فروق (خواص) المعاني، حيث يقول: «وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق، التي من شأنها أن تكون فيه فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجدها ازدياداً بعدها ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق، ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب مواقع بعضها من بعض، واستعمال بعضها مع بعض.»⁽¹⁾

خطر رفض المناهج الحديثة

قراءة التراث اللغوي العربي من منظور حديث ضرورية لفهمه وإدراك الإمكانيات الفنية للغة العربية⁽²⁾ ومن التحضر مسaire ما استجد بالاستفادة من صحيحه وتقويم خاطئه، أما الدعوة إلى رفضه إطلاقاً وعدم التفاعل معه فهذا من الجمود، وهو الذي يستحق الرفض. ورفض المناهج اللغوية الحديثة دعوة غير صحيحة بل هي دعوة غير إنسانية⁽³⁾ والانبهار بها والتقليد الأعمى لأفكارها من غير تمحيص ولا غربلة أيضاً دعوة غير صحيحة، ولهذا علينا أن نتعامل مع المناهج الحديثة باستقلالية فكر ونظرة إنسانية بريئة، كما أنه علينا أن نأخذ في الحسبان خصوصية تراثنا، فنحن نعلم بأنّ تراثنا العربي نحوه وبلاغته وضع على أسس معرفية وفكرية خاصة به يختلف بها عن الأنحاء الأخرى ومن ضمنها نظريته للبحث في اللغة وطريقته في تحليل بنائها يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: «النحو العربي قد وضع على أسس إستراتيجية مغايرة لأسس اللسانيات البنوية وخصوصاً في المبادئ العقلية التي بنيت عليها تحليلاته. هذا وليس الاختلاف متوقفاً على هذا الجانب بل هناك أيضاً اختلاف آخر في النظرة إلى البحث في اللغة نفسه وتدوين الكلام من أجل التحليل»⁽⁴⁾.

(1) الدلائل، ص 132.

(2) انظر: عبد العزيز حمودة: المrayا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت،

أغسطس، 2001، ص 323.

(3) انظر: عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، 1986، ص 160.

(4) المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ص 373.

مدخل لمحة عن التيارات الشكلية والوظيفية

انطلاقاً من هذا يتوجب علينا قراءة تراثنا قراءة واعية تكشف عن أسرارهِ وتخرج كنوزه، ففيهِ من الأحكام ما يمكن أن يعمّم على اللغات الإنسانية أكثر من النظريات الغربية، كما يمكن أن نستفيد من المناهج الحديثة ونقرأ في ضوئها تراثنا، هذا ما دعا إليه الكثير من الباحثين العرب ومنهم الدكتور أحمد المتوكل الذي يرى أنّ مبادئ الدراسة اللغوية في الفكر العربي القديم تؤاسر بشكل أو بآخر المبادئ المنهجية التي تحكم الدرس اللغوي الوظيفي المعاصر⁽¹⁾، كما يتوجب علينا الاطلاع على ما وصل إليه غيرنا والاستفادة مما حقّقوه من إنجازات علمية، أما التطبيق الحرفي للنظريات الغربية ومناهجها فهو مجزوم بعدم صلاحيته في ميدان الدرس اللغوي العربي وفي النقد الأدبي⁽²⁾.

(1) انظر: اللسانيات الوظيفية، ص 84.

(2) انظر: محمد العيد رتيمه: النظرية البنوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، معهد اللغة

الفكر الأول

الوظيفية في الفكر اللساني

المعاصر

1- الوظيفية البنوية

أ- الوظيفية عند ما رتيني

ب- النموذج الوظيفي عند مرومان جاكوبسون

ج- الوظيفية عند البنوين العرب "تمام حسان نموذجاً"

2- الوظيفية التداولية (سيمون ديك/أحمد المتوكل)

3- ملامح المنحى الوظيفي في التراث العربي

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

سبق أن ذكرنا أن النظريات اللسانية المعاصرة تُقسّم بالنظر لوظيفة اللغات الطبيعية إلى مجموعتين اثنتين: نظريات لسانية صورية، ونظريات لسانية وظيفية، والقسم الثاني هو الذي نحن بصدد الدراسة ضمن مجاله، وهنا ينبغي أن نشير ابتداءً إلى أن النظريات الوظيفية قُسمت أيضاً إلى وظيفية بنوية، ووظيفية تداولية. والاتجاه الوظيفي البنوي هو الذي يركز على وظيفة البنيات اللغوية، وقد بدأ يظهر مع حلقة براغ التي استفادت الكثير من آراء دي سو سير كما استقلت بمبادئ منهجية ومنطلقات نظرية جعلتها مدرسة لغوية تتميز عن غيرها وهي تنطلق أساساً في منهجها من اعتبار اللغة « نظاماً وظيفياً يرمي إلى تمكين الإنسان من التعبير والتواصل»⁽¹⁾، أما الاتجاه الوظيفي التداولي فهو الذي ينظر إلى اللغة مرتبطة بمختلف الظروف والملازمات المقامية التي تنتج فيها الجمل أو ينجز فيها الكلام لأداء وظيفة التواصل كذلك.

1- الوظيفية البنوية

1-1- الوظيفية عند أندري مارتيني *A. Martinet* (1908-1999):

يعتبر أندري مارتيني أحد أبرز مؤسسي اللسانيات البنوية الأوروبية، وخاصة ما تعلق بالجانب التركيبي للغة؛ أي مستوى التركيب في الجمل، وفي هذا يظهر تأثيره بلغويي مدرسة براغ الذين كانوا ينحون منحى وظيفياً في دراسة الجملة، وذلك بما أسماه الوجهة الوظيفية للجملة⁽²⁾ «على أن النظرية الوظيفية لم تتبلور في كل مظاهرها مع حلقة براغ، فقد تواصل بناؤها وصقلت مبادئها ومفاهيمها في فرنسا عن طريق أندري مارتيني خاصة»⁽³⁾، في مؤلفاته: مبادئ في اللسانيات العامة 1960، واللسانيات الآنية 1970، واللغة والوظيفية 1970. ويعترف مارتيني باتفاقه مع مدرسة براغ في كثير من الآراء وبانتمائه إليها، حيث يقول: «وأحب أن أقول إنني عندما قرأت عن مدرسة براغ شعرت أنني متفق معها في الكثير من النقاط وقد كان هذا في الثلاثينيات... فأحب أن أقول إنني من مدرسة براغ اللسانية ولكنني في الوقت نفسه أختلف معها حول بعض القضايا اللسانية»⁽⁴⁾. كما يقر بمساهمة الكثير من البحوث العربية في بناء

(1) عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 40.

(2) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 19.

(3) عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 41.

(4) مارتيني في: مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، ص 288.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

اللسانيات الحديثة وبعثها⁽¹⁾.

أ- مفهوم الوظيفة عند مارتيني:

عرّف أندري مارتيني اللسان في إطاره الوظيفي مؤكّدا على وظيفته التواصلية. فهو يرى أنّ الوظيفة الأساسية للسان البشري هي ما يسمح لأيّ إنسان أن يبلغ تجربته الشخصية ويتواصل مع غيره من الناس⁽²⁾ وهنا يقر بأن الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل بين أفراد المجتمع، ولا ينفي الوظائف الأخرى التي تؤديها.

ب- مبدأ التقطيع المزدوج:

التقطيع: هو تصور (تجريد) تعزل من خلاله القطع لتظهر كوحدات وتكتب على شكل تسلسلي⁽³⁾، ويتضام التقطيع مع الاستبدال لاكتشاف المورفيمات وللعثور عليها. كما يساعد الاستبدال أيضا على التصنيف.

التقطيع المزدوج: التقطيع الأوّل تُبلّغ وفقه أحداث التجربة إلى الغير حيث تحلل هذه التجربة إلى وحدات متلاحقة لكل منها دال ومدلول، وتسمى هذه الوحدات باللفاظم (*les monèmes*). وهي التي عن طريق التأليف بينها يمكن لنا التواصل، والتقطيع الثاني يحدّد الوحدات التي لا تقبل أن تتجزأ إلى وحدات أصغر ذات دلالة، وتسمى هذه الوحدات بالفونيمات (*les phonèmes*).

ج- علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني:

يصنف مارتيني الوحدات اللغوية انطلاقا من وظائفها إلى مونيمات هي:

- 1- **المونيم المكتفي** *M.autonome*: وهو وحدة دالة تتضمّن في بنيتها دليل وظيفتها مثل: اليوم/غدا... ويمكن أن ينتقل المونيم من موقع إلى آخر وذلك لاكتفائه بذاته⁽⁴⁾، كما في قولنا: غدا أسافر، أو أسافر غدا. فكلمة غدا هنا مستقلة بنفسها وتغيير موقعها لا يؤثر على المعنى.
- 2- **المونيم الوظيفي** *M.fonctionnal*: وهو الذي يساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى مشاركة

(1) انظر: المرجع السابق، ص 285.

(2) انظر: Martinet: *La linguistique synchronique*, P.U.F, Paris, 1970, P9 .

(3) انظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مفهوم البنية والوظيفة عند البنويين والوظيفيين الأوروبيين، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة

الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

(4) انظر: Martinet: *Eléments de linguistique générale*, Armand Colin, 1970, P111.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

له في الوظيفة العامة للتركيب ولا يمكن لها أن تستقل بنفسها في السياق الذي ترد فيه... كوظيفة حروف الجر ووظيفة حروف العطف في العربية.

- 3- المونيم التابع *M.dépedant*: وهو مونيم تتحدّد وظيفته بتعلقه بغيره ولا يستقل في التركيب.
- 4- التركيب المكتفي *Le Syntagme autonome*: وهو يتركب من مونيمين فأكثر، وتتحدّد وظيفته بدلالته الكلية كتركيب، ففي قولنا: في البيت رجل؛ عبارة في البيت تعتبر تركيبا مكتفيا.
- 5- التركيب الإسنادي *LeSyntagme prédiatif*: التركيب الإسنادي هو النواة التي ينبني عليها الملفوظ، ويتكون من عنصرين أساسيين لا يمكن حذف أحدهما، وهما: المسند إليه، والمسند.
- 6- الإلحاق *Expansion*: وهو كل ما يضاف إلى النواة الإسنادية من عناصر تركيبية، والإلحاق عند مارتيني ضربان: إلحاق بالعطف (*Coordination*)، وإلحاق بالتبعية (*Subordination*). ويختلف الثاني عن الأول من حيث التطابق الوظيفي للعناصر الملحقة، ففي الإلحاق بالتبعية تختلف وظيفة العنصر التابع عن وظيفة العنصر المتبوع ويشمل الإلحاق: النعت، والمضاف إليه، والمفعول، والمعطوف الخ⁽¹⁾.
- 7- المزج *Amalgame*: وهو الربط بين دالين ليصبحا دالا واحدا، مثال ذلك في اللغة الفرنسية: مزج *a* و *le* لتصبح *au*؛ فـ *au* دال ترابط فيه دالان، وهو غير قابل للتحليل ويكون في تراكيب خاصة⁽²⁾.
نخلص من هذا التصنيف إلى أن النحو عند مارتيني هو تحديد وظيفة كلّ عنصر وعلاقته بباقي العناصر في الكلام. وقد رأى مارتيني أنه توجد وسائل ثلاث لوسم العلاقات في النحو تقوم على مبدأي العلاقة والرتبة، وهذه الوسائل هي: الاكتفاء، والرتبة و اللجوء إلى وحدات مختصة لا وظيفة لها معينة في ذاتها⁽³⁾.
كما رأى أن هناك عناصر ثلاثة يمكن أن تحلل في الجملة، وهي: المسند (أي فحوى الكلام)، والمسند إليه (وهو الفاعل غالبا في اللغات الهندية الأوروبية)، وأنماط الإلحاق، كالنعت والعطف والإضافة والظرف⁽⁴⁾.
ويرسم مارتيني مراحل ثلاثا لعملية التحليل هي: مرحلة التقطيع (استخراج الوحدات الدالة). ومرحلة مقابلة الوحدات المستخرجة، ومرحلة إقامة تقسيم الكلمات بناء على وظائفها.

(1) انظر: أحمد حساني: مباحث في اللسانيات، ص 117.

(2) انظر: الطيب دبة: مبادئ اللسانيات البنوية، ص 113.

(3) انظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 25.

(4) انظر: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999، ص 246.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

وبعد عملية التحليل تأتي عملية العرض، وهي عملية ذات هدف تعليمي، ولها مراحل ثلاث أيضا، وهي على التوالي: (1)

- مرحلة الجرد: وتتمثل في وضع قائمة للأقسام الموجودة، و تعداد الوحدات في هذه الأقسام.
- مرحلة التصريف: وتمكن من عرض مختلف الوجوه التي يظهر فيها الدال وفي عرض مختلف أوضاع هذه الوجوه.

- مرحلة علم التراكيب الذي يبين كيف تأتلف الكلمات لتشكيل كل الأقوال الممكنة.
رغم ما كتبه مارتيني وما حققه من مكانة علمية بين اللسانيين باحثين وعلماء خاصة فيما تعلق بعلم الأصوات الوظيفي وبالدراسة التركيبية، فقد رأوا أنها بلغت مرحلة متميزة من مراحل تطورها لدى مارتيني. إلا أننا نجد محل انتقاد من طرف بعض أساتذتنا وذلك في كون ما كتبه أمورا سطحية يتشبث فيها برأيه وبأفكاره بخلاف علماء اللغة المعاصرين الآخرين من أمثال جاكسون و تشومسكي فقد رأى أنهما كتبا أمورا عميقة تشهد بعقريتهما (2).

1-2- النموذج الوظيفي عند رومان جاكسون (1896-1982) (*)

أ- المبادئ الوظيفية عند جاكسون :

نحاول أن نقتصر على المبادئ التي نرى أن لها علاقة بدراستنا وهي:

1- العلاقة بين البنية والوظيفة :

يركز جاكسون في دراسته الشعر على أهمية العلاقة بين الدال والمدلول أو بين الإشارة والمعنى، ويرى أننا لا نستطيع أن نحلل اللغة دون الرجوع إلى دلالة الأشكال، كما لا نستطيع الفصل بين مستويات الدراسة اللغوية (الشكل والدلالة) ، وهو لا ينظر إلى الأشياء في حد ذاتها معزولة بل ينظر إلى العلاقات

(1) انظر: سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، ص 28.

(2) انظر: عبد الرحمن الحاج صالح: مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، و التحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2004/2003.

(*) ولد رومان جاكسون في موسكو في 11 تشرين الأول من عام 1896، من عائلة يهودية روسية بوجوازية ترسل أولادها إلى البندقية وباريس وألمانيا ليتعلموا اللغات. أشهر مؤلفاته: "دراسات في اللسانيات العامة" (*Essais de linguistique générale*). "مسائل الشعر" (*Questions de poetique*). انظر: فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1993، ص 15، 23، 24.

القائمة بينها⁽¹⁾.

2 - ثنائية التفكير الألسني:

يرى جاكبسون أن العلاقة الثنائية تسيطر على مختلف المستويات اللغوية، فكما نجد لها في الأصوات نجد لها في الدلالة وفي غيرها⁽²⁾ ومن العلاقات الثنائية التي أقرّها :

2-1 التزامن والتعاقب.

2-2 المحور الاستبدالي والمحور النظمي.

2-3 الانتقاء والتنسيق (انتقاء الكلمات والتنسيق بينها في الجملة).

2-4 اللغة الهدف / وما وراء اللغة؛ فالهدف من اللغة هو التواصل، وما وراء اللغة هو شرح المبهم من الكلمات .

2-5 الخطاب الخارجي والخطاب الداخلي بين مرسل ومستقبل، أو أن يمثل أحدهما الدورين.

2-6 ثنائية السمات التمايزية⁽³⁾.

3- التفريق بين النحو والدلالة :

يرى جاكبسون أن النحو يهتم بعلاقات البنية الخطية أو التركيب فيما بينه، أي يهتم بمحور التتابع (التسلسل المنطقي) وتعتمد الدلالة على إبراز الفوارق بين التراكيب؛ أي يهتم بمحور الاستبدالات⁽⁴⁾ وهذا قد يؤدي بنا إلى اعتبار وظيفته وظيفية ضعيفة؛ وذلك كون النحو الوظيفي لا يحصر دراسة النحو في البنية الظاهرة فقط بل يراعي ملاسبات الخطاب وحال المخاطبين ومقاصد الكلام وأغراضه.

ب- نظرية التواصل والوظائف اللغوية

هناك فرق واضح بين حلقة الكلام عند سو سير ومخطط التواصل الكلامي عند جاكبسون، فبينما نلاحظ تجاهل سو سير البعد التبليغي نجد جاكبسون قد اهتم به اهتماما كبيرا في نظرية التواصل عنده⁽⁵⁾ فهو يعتبر

(1) انظر: Roman Jakobson: *Essais de linguistique general*. Paris. minuit. 1973. P 133.

(2) انظر: فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص33.

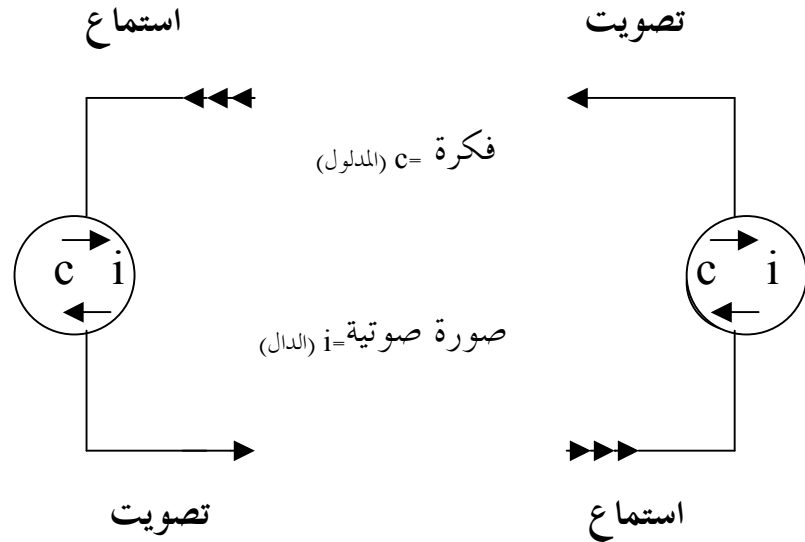
(3) انظر: المرجع نفسه، ص41.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص62.

(5) انظر: الجيلالي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 15. وانظر: فاطمة الطبال، ص63.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

التبليغ والتواصل من أهم وظائف اللغة التي تتعدد بتعدد الأغراض المستعملة لتحقيقها، فاللغة تُدرس - حسب ياكبسون- في إطار وظائفها وتستلزم تحليل العوامل الستة المؤلفة لكل تواصل كلامي، هذه العوامل هي: الرسالة، المرسل، المرسل إليه، الاتصال بينهما، الرسالة (نص الرسالة)، المدونة التي تنتج فك الرموز. والمخططان يوضحان ذلك:



حلقة الكلام عند سو سير

سياق	مرسل
مرسل إليه	مرسل
مرسلة	مرسل
اتصال	مرسل
نظام رموز	مرسل

عوامل التواصل الكلامي عند جاكبسون

تنجم عن كل عامل من عوامل التواصل (مكونات عملية التبليغ) الستة وظيفة لغوية مختلفة، غير أن المرسلات (نصوص الرسائل) ذاتها كثيرا ما تؤدي وظائف مختلفة، حسب بنيتها الكلامية التي تكون دائما مرتبطة بالوظيفة الأساسية⁽¹⁾، وتعدّد وظائف اللغة لا يعني أنها متساوية الأهمية بل هي جميعا متفرعة عن الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، وقد حدّد جاكبسون للغة ست وظائف مختلفة ترتبط بستة عناصر أو مكونات تتحكم في عملية التبليغ، هي كالآتي:

1- الوظيفة المرجعية (الإحالية) *La Fonction référentielle*: وهي التي نجدها في كل تواصل وفي كل الخطابات ووجودها قد يكون عفويا، وفيها يحيل المتكلم بخطابه على واقع، وهذه الإحالة هي

(1) انظر: ميشال زكريا: الألسنية، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985، ص85، 86.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

تواصل بين المخاطبين. وبهذا يمكن القول أن الوظيفة المرجعية وظيفة تواصلية. ويحققها عنصر السياق، وذلك باستخدام الدليل كوسيلة للتمثيل أو الإخبار أو الشرح⁽¹⁾.

2- الوظيفة التعبيرية (الانفعالية) *La Fonction expressive* : وتتجلى في طريقة الأداء والتأثير في العواطف ويحققها عنصر المرسل وذلك بموقفه أو سلوكه أو تفاعله مع ما يقوله أو ما يخبر عنه.

3- الوظيفة الشعرية (الإنشائية) *La Fonction poétique* : وتنجزها اللغة أثناء الخطاب المشحون بدلالات داخلية⁽²⁾، ولا تتميز الشعر فقط بل وكل الفنون الجمالية، والرسالة هي غايتها وموجهة إليها مباشرة.

4- الوظيفة الإفهامية (الندائية) *La Fonction conative* : وتقوم على المرسل إليه، وتتم بتوجيه خطاب لشخص آخر، أو إثارة انتباهه، بأمره بالقيام بعمل ما، أو ندائه وهو مدعو لأن يرد .

5- الوظيفة الانتباهية (اللغوية) *La Fonction phatique* : وهي تتجلى في الكلمات التي تدل على إبقاء الاتصال بين المرسل والمرسل إليه ، ومن هذه الكلمات (آلو/ *Allo* ، كلمة هاه)، فهي تكاد تخلو من معنى حرفي سوى الدلالة على بقاء الاتصال، أو تمديد الحوار أو إنجائه، وتتعلق بقناة التخاطب.

6- الوظيفة الماوراء لغوية *La Fonction métalinguistique* : وتتجسد في الخطابات التي تكون اللغة هي ذاتها مادة دراستها (وصف اللغة أو تحليلها وتحديد مفاهيمها)⁽³⁾ مثلاً المصطلحان: الفاعل والمفعول هما عبارتان ما وراء لغويتين لكونهما لا تدلان على مدلولين في الواقع الخارجي⁽⁴⁾ ويحدد الوظيفة الماوراء لغوية الوضع.

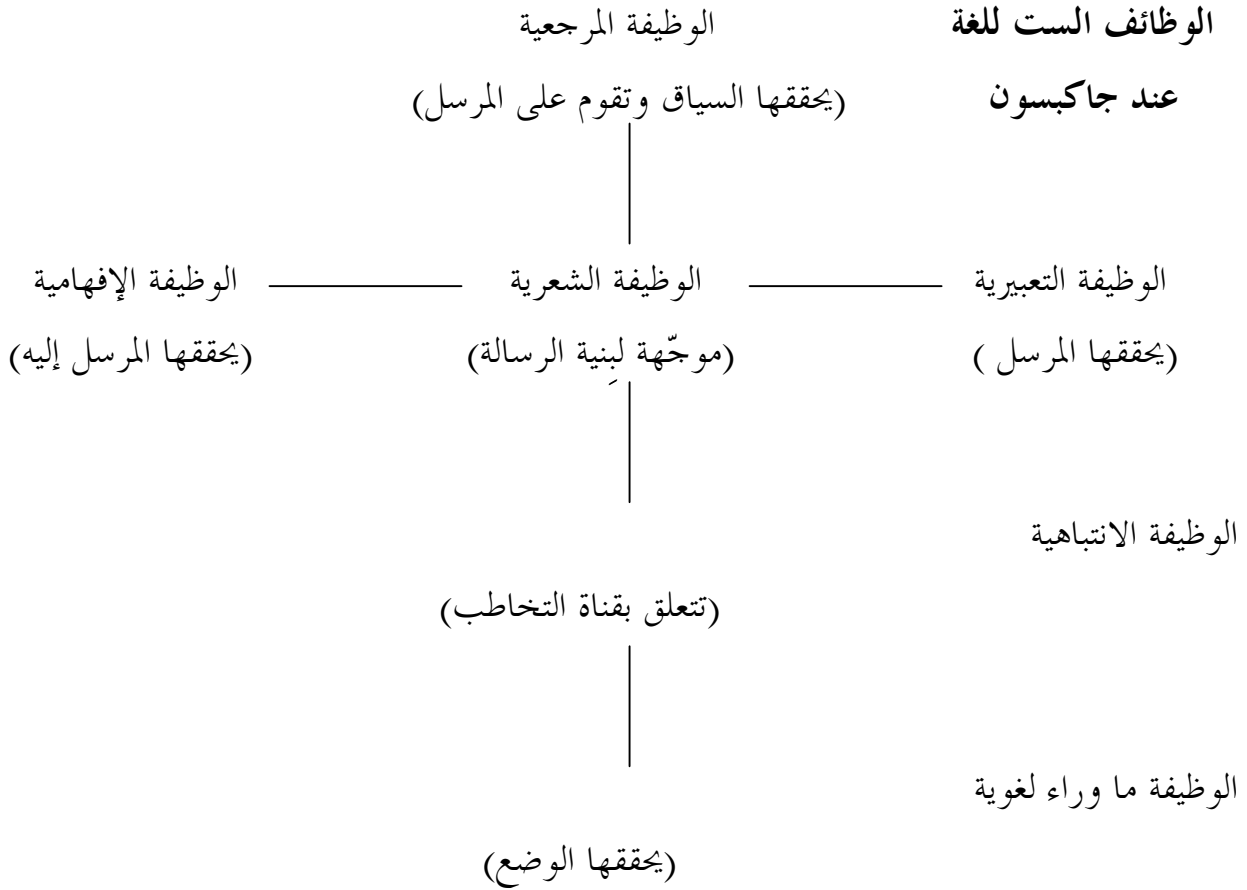
ويمكن تلخيص هذه الوظائف في المخطط الآتي:

(1) انظر: الجليلي دلاش: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص16.

(2) انظر: أحمد المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص47.

(3) فاطمة الطبال: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، ص67.

(4) انظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص47.



3-1 - الوظيفة عند البنويين العرب "تمام حسان نموذجاً"

1-3-1 مبدأ تضافر القرائن

يرى الدكتور تمام أنه لا يمكن تأدية المعاني الوظيفية لعناصر اللغة في غياب القرائن الثلاث: اللفظية والمعنوية والحالية متضافرة، وفيما يلي نتعرض لها بإيجاز:

أ- القرائن المعنوية (قرائن التعليق):

وهي معاني النحو أو العلاقات السياقية (Syntagmatic relations).

1- الإسناد: هو العلاقة الرابطة بين المسند والمسند إليه، كالعلاقة بين المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل.

2- التخصيص: ويضم مجموعة من المعاني التي تقيد الإسناد، ومن فروع هذه القرينة: التعدية والغائية والمعنية والظرفية والإخراج، والملابسة للهيئات...، ومبرر هذه التسمية عند الدكتور تمام أن فروع هذه القرينة قيود مخصصة لعلاقة الإسناد⁽¹⁾.

3- النسبة: وتعني الإلحاق، وتشمل المجرورات (معاني حروف الجر ومعنى الإضافة)⁽²⁾؛ فحروف الجر

(1) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 195.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 201.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

تلتحق معاني الأفعال إلى الأسماء وتنسبها إليها.

4- **التبعية:** وتضم التوابع المقررة في النحو العربي (النعت والعطف والتوكيد والإبدال) .

5- **المخالفة:** وتعني مخالفة أحد أجزاء التركيب أحكام الإسناد الجاري، كما هو في باب الاختصاص.

ب- **القرائن اللفظية :**

وهي ما يقدمه علما الأصوات والصرف للنحو من قرائن صوتية أو صرفية، وهي:

1- **العلامة الإعرابية:** اهتم النحاة القدامى بقرينة الإعراب اهتماما كبيرا، مع أن الإعراب وحده لا يكفي في تحديد المعنى النحوي ما لم يتضافر وسائر القرائن المعنوية و اللفظية. ولذا درسوا علامات الإعراب وحركاته التي تتغير في أواخر الكلمات بتغير المواقع انطلاقا من فكرة العامل الذي يرى فيه النحاة الأوائل مفسرا للتغير الحاصل فيها، والعامل النحوي يعتبره الدكتور تمام «مبالغة أدى إليها النظر السطحي والخضوع لتقليد السلف والأخذ بأقوالهم على علاقتها»⁽¹⁾.

2- **الرتبة:** وهي وصف لمواقع الكلمات في الترتيب، وتعني التقديم والتأخير وتكون محفوظة، وغير محفوظة، وللرتبة بالغ الأهمية في تركيب الجمل فقد تكون صانعة للمعنى وموجهة له ففي التحية نقول: السلام عليكم. ولردها نقول: عليكم السلام. وقد تكون الرتبة هي المميز بين أقسام الكلم، فمن ذلك التفريق بين الظرف والأداة نحو: (أسافر متى أنهيت عملي - متى أنهيت عملي أسافر)، ففي المثال الأول "متى" ظرف وفي المثال الثاني "متى" أداة شرط؛ وقرينة الرتبة هي التي فرقت بين المعنيين.

3- **الصيغة:** هي المبنى الصرفي الذي يميز بين الأسماء والأفعال والصفات والحروف، فلكل واحد صيغته الخاصة به. ولا يكون الفاعل والمبتدأ ونائب الفاعل إلا أسماء... وللصيغ دور واضح في تحديد المعنى كذلك؛ ففي الجمل التي يتصدرها فعل يدل على معنى المشاركة لا بد من أن يأتي فاعلان متعاطفان ولا يتم المعنى من دون الجمع بينهما، نحو: تصالح زيد وعمرو.

4- **المطابقة:** تعمل على ربط الصلة بين أجزاء التركيب، ومسرحتها الصيغ الصرفية والضمائر، وبدون مطابقة تصبح الكلمات مفككة ويختل المعنى، وتكون المطابقة في: العلامة الإعرابية، والشخص (التكلم والخطاب والغيبة)، والعدد (الإفراد والتثنية والجمع) ، والنوع (التذكير والتأنيث) ، والتعيين (التعريف والتنكير)⁽²⁾.

(1) المرجع السابق، ص 207.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 211، 212.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

5- **الربط:** هو اتصال ميدانه الألفاظ والتراكيب. ويتمّ الربط بين الموصول وصلته، والمبتدأ وخبره، والحال وصاحبه، والمنعوت ونعته، والقسم وجوابه، والشرط وجوابه ونحو ذلك. ويكون الربط بالضمير مستترا وبارزا، وبالحرف كالفاء الرابطة لجواب الشرط، وباللام الواقعة في جواب القسم، وبإعادة اللفظ أو المعنى...

6- **التضام:** التضام نوعان: التضام في الجملة وهو توارد أو تتالي زوج من الكلمات لارتباطهما بحكم علاقة بينهما، والتضام في النص هو ما يقوم بين مكونات ظاهر النص من ترابط متبادل وفقاً للأعراف النحوية، والتضام -حسب الدكتور تمام- يقتصر على الجملة، وله وجهان:

الوجه الأول: التوارد: وهو مصطلح بلاغي يعني « الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقدماً وتأخيراً، وفصلاً، ووصلاً وهلم جرا »⁽¹⁾.

الوجه الثاني: التلازم: وهو «أن يستلزم أحد العنصرين التحليليين النحويين عنصراً آخر...أو يتنافى معه فلا يلتقي به ويسمى هذا التنافي.»⁽²⁾؛ والتلازم من مثل ما بين الموصول وصلته، وحرف الجر ومجروره، وواو الحال وجملة الحال، وحرف العطف والمعطوف، والنواصب والجوازم والفعل المضارع الذي يأتي بعدها ونحو ذلك. ولا يحذف أحد المتلازمين إلا بوجود قرينة دالة على المحذوف.

7- **الأداة:** الأدوات تدخل على الجمل والمفردات، وتؤدي وظائف خاصة كالنفي والتأكيد والتشبيه... وتخلو من المعاني المعجمية، وتدل على معنى وظيفي عام هو التعليق، « وللأدوات ارتباط بالقرائن اللفظية في السياق النحوي، إذ تكون وسيلة للربط، أو تعبيراً عن التضام ، ودليلاً على الرتبة، وعاملاً يؤثر في العلامات الإعرابية.»⁽³⁾.

8- **النعمة:** التنعيم هو الإطار الصوتي الذي تنطق به الجملة في سياق معين وله أشكال تختلف باختلاف الجمل؛ فشكل التنعيم في الجملة الاستفهامية وجملة العرض يختلف عن شكل التنعيم في الجملة المثبتة وكلها تختلف من حيث التنعيم عن الجملة المؤكدة...، فالنعمة هي التي تحدد طبيعة الكلام هل هو خبر أو إنشاء، أو هو استفهام أو تعجب أو سخرية أو قبول أو رفض...ويقوم التنعيم في الكلام مقام علامات

(1) تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 216.

(2) المرجع نفسه، ص 217.

(3) أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 237.

الترقيم في الكتابة، والتنغيم أوضح⁽¹⁾.

ج- قرينة الحال (السياق):

قرينة الحال (مقام الخطاب) تعتبر من أهمّ المعايير التي يصنف النحو على أساسها؛ هل هو نحو وظيفي أم هو غير وظيفي. نجد أنه يتعدد معنى النمط التركيبي للجملة الصحيحة نحويًا وبالتالي نصبح بحاجة إلى قرينة من خارج الجملة تدلنا على المعنى المراد، وهذه القرينة هي قرينة السياق التي يهتم بها الدكتور تمام اهتمامًا بالغًا ويعتبرها كبرى القرائن النحوية «لأنها قد تعتمد على شيء من هذه القرائن النحوية المفردة أو تتجاوزها إلى أمور دلالية من العقل أو من المقام المحيط بالجملة»⁽²⁾، فمما يحيط بالجملة من قرائن السياق أو المقام (المحيط الاجتماعي): العادات والتقاليد، المأثورات والتاريخ، طبيعة المخاطب أو مكانته... ومن النماذج التي نقلها د. تمام من كتاب الله للتدليل على ما أقرّ:

* ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ (الأنبياء: من الآية 112)؛ يقول الدكتور تمام: «فليس الخبر

في هذه الآية هو "الرَّحْمَنُ" وإنما هو "الْمُسْتَعَانُ" لأن المقام مقام استعانة بالله ويدل على ذلك قوله قبل

ذلك بقليل: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ (الأنبياء: من الآية 109) فالوقوف موقف مواجهة بينه

وبينهم، فليس المقصود أن يطمعهم في الرحمة وإنما المقصود أن يستعين عليهم بالله»⁽³⁾.

* ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآْكُلُوا أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْباطِلِ

وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (التوبة: من الآية 34)، وهنا نجد المحيط الاجتماعي متكأً لقرينة السياق؛ «إذ كان

النبي ﷺ وكان أصحابه معه يعلمون من المحيط الاجتماعي الذي يحيط بهم ما المقصود بهذا الكلام وبالأحبار والرهبان»⁽⁴⁾.

(1) انظر: حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 227.

(2) البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993، ص 212.

(3) المرجع نفسه، ص 213.

(4) نفسه، ص 220.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

* ﴿ مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ نَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ﴾ (المائدة: من الآية 103) في هذه الآية تركز قرينة السياق على العادات والتقاليد «إذ كان الذين كفروا يفترون على الله الكذب فيجعلون هذه الأنواع من الإبل من تقاليد طاعتهم للطاغوت، ومثله: ﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ ﴾ (النساء: من الآية 19) وكذلك: ﴿ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِيَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ (النور: من الآية 33)»⁽¹⁾.

* ﴿ كَذَّابٍ ءَالٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ (آل عمران: من الآية 11) هناك إشارات إلى المأثورات والتاريخ، ويفتقر فهم النص إلى معرفة ذلك⁽²⁾.

* ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ (يوسف: من الآية 23). «تجنب الآية لفظ (سيدته) تكريماً له وتحقيراً لها، وهذا شبيه بما في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَاتَهَ ﴾ (يوسف: من الآية 21) فليس هو سيداً ليوسف وليست هي سيدة له»⁽³⁾.

يمكن أن نخلص مما سبق إلى أن المعنى النحوي هو محصلة تضافر القرائن الثلاث: المعنوية مع اللفظية مع الحالية.

1-3-2 مبدأ التعليق:

ذهب تمام حسان إلى أن الإعراب لا يكفي ليفسر المعنى النحوي، ولكن يفسر عن طريق فكرة التعليق التي جاء بها الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابه "دلائل الإعجاز". والتعليق عند الجرجاني - كما فهمه تمام - هو «إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية بواسطة ما يسمى بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية»⁽⁴⁾ وهذه العلاقات تظهر من خلال التراكيب وأساليبها المختلفة وعناصرها المفردة مما يدفع إلى البحث في

(1) المرجع السابق، ص 220.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 221.

(3) نفسه، ص 299.

(4) نفسه، ص 188.

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

أقسام الكلم (الاسم والصفة والفعل والضمير والخالفة والظرف، والأدوات) التي يختلف بعضها عن بعض شكلا ووظيفة، وتميز كل قسم أسس شكلية (مبان) وأسس وظيفية (معان)⁽¹⁾.

ويرى الدكتور تمام أن التعليق يعني عما سماه النحاة بنظرية العامل وما يخص العمل النحوي والعوامل النحوية والتي رأى أنها خرافة، حيث يقول: «فهم "التعليق" على وجهه كاف وحده للقضاء على خرافة العمل النحوي والعوامل النحوية. لأن التعليق يحدد بواسطة القرائن معاني الأبواب في السياق ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى وأفضل وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية النحوية.»⁽²⁾ ولتلميذه د. عبده الراجحي مناقشة عميقة لقضية الاستخفاف بفكرة العامل النحوي وظاهرة التقدير والرد على أصحابها، وكشف ملابسات ذلك، وتبرير علمية هذه الأفكار وصوابها والخلفيات الفكرية لها.⁽³⁾

1-3-3 ملخص الأفكار الأساسية لنموذج تمام حسان :

لقد لخص الدكتور تمام حسان نفسه الأفكار الأساسية التي قام عليها نموذج⁽⁴⁾، ونذكر منها:

- 1- تقسيم سباعي للكلمات.
- 2- إمكان نقل لفظ من أقسام الكلم إلى استعمال آخر.
- 3- المعنى إما وظيفي أو معجمي أو دلالي.
- 4- قد يتعدّد المعنى الوظيفي للمبنى الواحد.
- 5- تنقسم الجملة إلى اسمية وفعلية ووصفية، كما تنقسم من حيث المعنى انقساما آخر: خبرية وشرطية وطلبية وإفصاحية.
- 6- إذا تحقق المعنى الوظيفي أمكن التحليل، ولو لم يتحقق المعنى المعجمي.
- 7- النحو نظام من القرائن التي تعبر عنها معان مأخوذة من الصرف والأصوات.
- 8- القرائن إما معنوية وإما لفظية والقرائن المعنوية هي العلاقات السياقية.

(1) انظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 86 وما بعدها.

(2) المرجع نفسه، ص 189.

(3) انظر: عبده الراجحي: النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن

العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2002/1423، ص 250، وما بعدها.

(4) انظر: تمام حسان: تعليم النحو بين النظرية والتطبيق، مجلة المناهل المغربية، العدد 7، 1976، ص 126. نقلا عن (محمود نخلة: نظام الجملة في

شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991، ص 82، 83).

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

- 9- القرائن لا تعمل إلا متضافرة فلا يمكن لواحدة منها أن تستقل بأداء.
- 10- التضام إحدى القرائن اللفظية وهو ينقسم إلى التلازم والتنافي والتوارد.
- 11- قد يتضح المعنى بدون إحدى القرائن فيمكن الترخص فيها بحذفها.
- 12- القول بتضافر القرائن يغني عن القول بالعامل.
- 13- هناك فرق بين الزمن النحوي والزمن الصرفي، فالنحوي هو الزمن في السياق، والصرفي هو الزمن في الأفراد.
- 14- لا يمكن فهم الزمن النحوي بدون فكرة الجهة التي تعدّ نوعاً من تخصيص الدلالة في الفعل ونحوه.
- 15- الجهات المخصصة لمعنى الحدث في الفعل هي المنصوبات، والمخصصة لمعنى الزمن فيه هي النواسخ والأدوات والظروف.
- 16- علم المعاني قمة النحو العربي.
- 17- لا يمكن الاكتفاء بمعنى المقال عن المقام.

نالت أفكار الدكتور تمام قبولاً واسعاً بين الدارسين اللغويين وثوّرها وشهّرها، كما انتقدتها كثير من الباحثين (*) ومن الذين انتقدوا أفكاره الدكتور محمد صلاح الدين الشريف سنة 1979. و أهمّ ما يأخذه عن نموذجه ما يأتي ⁽¹⁾ :

1- انتحائه منحى وظيفياً أهمل فيه الوجه الشكلي والتركيب النحوي للجملة، وذلك نتيجة اتجاّاه

(*) ذكر هو نفسه بعض الكتب والحواليات والمجلات التي تطرقت لأفكاره في تقديمه لكتابه: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 5، 6. وقد توفّر لدينا كتاب عنوانه " المنوال النحوي العربي"، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط 1، ديسمبر 1998، وهو في الأصل أطروحة دكتوراه لصاحبه عز الدين مجدوب. صدر بعد صدور طبعة 1998 من كتابه "اللغة العربية"، وتناول أفكاره بالنقد بتوسع في المواضيع التالية: مقارنة التراث النحوي في ص 37 وما بعدها، أقسام الكلام في ص 192 وما بعدها، الوظائف النحوية في ص 265 وما بعدها، حركات الإعراب في ص 280 وما بعدها.

(1) انظر: محمد صلاح الدين الشريف: النظام اللغوي بين الشكل والمعنى من خلال كتاب تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 17، 1979. (نقلاً عن: محمود نخلة: نظام الجملة في شعر المعلقة، ص 84).

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

الشديد إلى المعنى وهذا ما جعل الكتاب خاليا من معلومات واضحة عن تركيب الجملة العربية، فلم يتحدث عن البساطة والتركيب في الجملة إلا بشكل نحوي تقليدي بعيدا عن التحليل اللساني الحديث.

2- يتجه في الدراسة النحوية اتجاها بلاغيا يتركز على المخاطب أولا، ثم على الكلام، فما يهمه هو: كيف يصل المخاطب إلى الدلالة أي إلى فك رموز البلاغ الموجه إليه، ولا يهمه أبدا أن يعرف طرق المتكلم في وضع رموز البلاغ وكأته لا يكثر بدراسة الملكة (المقدرة) اللغوية، أي لا يكثر بدراسة السر الذي يجعل الإنسان قادرا على خلق ما لا نهاية له من الجمل.

3- لم يأخذ العربية بالوصف من جديد، ولم يجمع لنفسه نصوصا يختبرها ويجرّدها بل أراد أن يتلافى نقص التراث بالتراث نفسه، فاستعان بعلم المعاني فإذا بالتركيب عنده ينحصر في الإنشاء والخبر وما تفرع عنهما 4- استعار بعض الأفكار من الألسنية ولكن بإعطائها مصطلحات قديمة... جعل نحوه في هذا الباب أقرب إلى نحو سيبويه و الجرجاني عمدا.

1-4 نقد الوظيفة البنوية :

تختلف الوظيفة البنوية عن الوظيفة التداولية وذلك لكونها تركز على الجانب الشكلي في البنية اللغوية ولا تراعي الجانب الوظيفي إلا تبعا. رغم هذا فقد نادت مبكرا بدراسة الجملة وظيفيا غير أن هذه الوظيفية تصف الجملة وتفسرها منعزلة عن ظروف وملابسات الكلام؛ فهي تهمل مكونات الكلام وارتباطاته (حال المخاطبين و المخاطبين وسياق الكلام ومقامه)، وفي هذا إهمال للجانب التداولي من اللغة البشرية، مما أدى إلى ضعف مستواها الوظيفي « ولهذا السبب لا نعدّها كافية منهجيا لتمثيل النظريات الوظيفية، على الرغم من منادائها المبكرة بأن الدراسة الوظيفية للجملة هي النهج السليم إلى وصفها وتفسيرها »⁽¹⁾.

2- الوظيفة التداولية (سيمون ديك/أحمد المتوكل)

تعتبر نظرية النحو الوظيفي *The theory of functional grammar* التي اقترحها اللساني سيمون ديك *Simon Dik* سنة 1978 ^(*) إحدى أهم النظريات اللسانية الوظيفية كما أنها جزء من نظرية تداولية شاملة يشكل التواصل اللغوي موضوعا لها⁽²⁾، وتعدّ - حسب د.أحمد المتوكل - « النظرية الوظيفية التداولية الأكثر استجابة لشروط التنظير من جهة، وللمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة (1) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 19.

(*) من خلال كتابه: *Dik (Simon): Functional grammar*, North Holland, Amsterdam, 1978.

(2) انظر: محمود سليمان ياقوت: *فقه اللغة وعلم اللغة*، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1995، ص 225.

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

أخرى، كما يمتاز النحو الوظيفي على غيره من النظريات التداولية بنوعية مصادره. فهو محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية: النحو العلاقي (*Relational grammr*) نحو الأحوال (*Case grammr*) الوظيفية (*Functionalism*) ونظريات فلسفية: نظرية الأفعال اللغوية (*Speech theory acts*)⁽¹⁾.

أقبل الكثير من الباحثين على أفكار هذه النظرية وتجاربوا مع الجديد فيها، ومنهم من دعا إلى إعادة النظر في أسس نظرياتهم ومبادئها أو تركها والتحول عنها -رغم سبقها وقيمتها العلمية- إلى التيارات الوظيفية، مثل أصحاب النظرية التوليدية والتحويلية⁽²⁾، ويعود السبب في ذلك -حسب المبادئ المسطرة في نظرية النحو الوظيفي- إلى أنهما «اهتمت بتغطية جوانب أساسية في الظاهرة اللغوية، وسدّ ثغرات خلفتها النظريات غير التداولية في محاور حيوية، كـ(الكلام، وسياق الحال، وملابسات الخطاب...)» وإدراج ذلك كله ضمن وصف الظواهر اللغوية وتفسيرها.⁽³⁾ وهي بهذا تحاول أن تحقق مقياس الفصاحة ومقومات صحة التراكيب كما يراها بعض علماء اللغة والتي من أهمها مطابقتها لمتطلبات المناسبات، ومقتضيات الأحوال⁽⁴⁾، أو ما يسمى بالخلفية الوظيفية التي تحقق صحتها النحوية الوظيفية⁽⁵⁾.

مرت نظرية النحو الوظيفي بمرحلتين هما:

نموذج الجملة (1978): ظهر مع كتاب سمون ديك "النحو الوظيفي" (*Functional grammar*)، وتلته أبحاث ومؤلفات أخرى، تعالج موضوع نحو الجملة .

نموذج النص (1989): ظهر مع كتاب ديك "نظرية النحو الوظيفي" (*The theory of functional grammar*) هذا النموذج يتميز عن النموذج الأول بأفكار جديدة تجاوزت نحو

(1) الوظائف التداولية، ص 9.

(2) انظر: روبرت: موجز تاريخ علم اللغة، ترجمة: أحمد عوض، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1997، ص 361، 362. نقلا عن: (مسعود

صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 12).

(3) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 13 .

(4) انظر: مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406، ص 226.

(5) انظر: عبد الجبار توأمة: المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، أعمال ندوة تيسير النحو المنعقدة في 23، 24 أبريل 2001،

بالمكتبة الوطنية، الجزائر، 2001، ص 282.

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

الجملة إلى نحو النص، وقد أُتبع هذا الكتاب بدراسات وأبحاث أجراها المؤلف مع عدد من الباحثين (منهم الدكتور أحمد المتوكل) وأعمالهم مستمرة إلى اليوم تقوم بضبط أفكار هذا النموذج وتدقيقها وتوسيع مفاهيمه⁽¹⁾.

المبادئ الوظيفية في نظرية النحو الوظيفي:

أهم ما يميز نظرية النحو الوظيفي معيار "الوظيفة" الذي على أساسه حدّد منظرو هذا الاتجاه منطلقات وأسس منهجية كلية تقوم عليها نظريتهم سمّيت المبادئ الوظيفية، نلخص أهمها فيما يلي⁽²⁾ :

- 1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل.
- 2- تحدد وظيفة اللغات الطبيعية الخصائص البنوية لهذه اللغات (تبعية البنية للوظيفة)
- 3- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" (*Communicative competence*) للمتكلّم/المخاطب.
- 4- يجب أن يسعى النحو الرامي إلى الكفاية إلى تحقيق الكفايات الثلاث الآتية :
 - أ- الكفاية النفسية (*Psychological adequacy*)
 - ب- الكفاية التداولية (*Pragmatic adequacy*)
 - ج- الكفاية النمطية (*Typological adequacy*)وفيما يلي تفصيل هذه المبادئ :

1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل

النحو الوظيفي نظرية لسانية تسعى إلى أن توصف اللغات الطبيعية وظيفيا وذلك باعتبار الخصائص البنوية للغات محددة (جزئيا على الأقل). بما تسعى هذه اللغات إلى تحقيقه من أهداف تواصلية⁽³⁾؛ فاللغويون الوظيفيون يجمعون على أنّ اللغة ظاهرة إنسانية اجتماعية تختلف بنياتها من مجتمع لآخر، وتشترك عند كل

(1) انظر: يحيى يعيطيش: النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، المجلس الأعلى للغة العربية، أعمال ندوة تيسير النحو، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001، ص122.

(2) انظر: SimonDik في: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص78، الوظائف التداولية، ص10، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص9. قضايا اللغة العربية، ص13 وما بعدها. وانظر: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص225.

(3) انظر: المتوكل: الوظائف التداولية ص11.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

المجتمعات في وظيفة واحدة؛ فهي تستعمل أساسا لإقامة التواصل بين البشر وهو وظيفتها الأساسية، وهذا لا ينفي أنها تقوم بوظائف ثانوية أخرى كالوظائف الست التي أقرها جاكبسون والوظائف الثلاث لهاليداي.

2- تبعية البنية للوظيفة :

اللسان الطبيعي بنية (تراكيب أو عبارات) تؤدّي وظيفة أساسية هي التواصل، بحيث تتحدد الخصائص البنوية لعبارات هذا اللسان (صرف، تركيب، تنعيم) انطلاقا من الأغراض التواصلية التي تستعمل هذه العبارات وسائل لتحقيقها، فبين البنية والوظيفة علاقة تبعية⁽¹⁾؛ فبنية العبارات اللغوية تعكس إلى حدّ بعيد وظيفتها التواصلية في واقع لغوي محدد، وفي ظل معطيات إنجازية خاصة، وهذا مبدأ منهجي عام معتمد في اللسانيات الوظيفية⁽²⁾، واستجابة لهذا المبدأ المنهجي « تدرس ظواهر اللغة بوصفها "كلاما" مستعملا من قبل "شخص معين" في "مقام معين" موجه إلى "مخاطب معين" لأداء "غرض معين" »⁽³⁾. واعتماد مبدأ الوظيفة تحدد الخصائص البنوية للتراكيب النحوية هو معيار حاسم اعتمده الباحثون اللغويون ومنهم (المتوكل) في التمييز بين الأنحاء الوظيفية والأنحاء الشكلية؛ فتقديم المفعول على الفعل مثلا: يغير في شكل الجملة وهذا لغرض وظيفي يُفرض على المتكلم أو يقصده هو، ومن ذلك لجوء المتكلم مثلا لرد الخطأ في التعيين؛ فعندما يقول: "زيدا عرفت" لمن اعتقد أنه عرف إنسانا وأنه غير زيد، فيقول: زيدا عرفت لا غيره لتقوية التأكيد والتقرير. كما تكون وظيفة تقديم المفعول أيضا التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 05) ؛ بمعنى نخصك بالعبادة، لا نعبد غيرك ونخصك بالاستعانة فلا نستعين بغيرك.

فبنية الجملة هنا تبعت وظيفتها، وهذا أهمّ مبدأ يقوم عليه الدرس الوظيفي المعاصر، إذ يرى مارتيني أن الوظيفة هي سبب وجود البنية⁽⁴⁾، فلكل مقام تركيب معين، وباختلاف المقامات تختلف وجوه التراكيب؛ ففي الجملة: أفعلت ؟ المقام مقام استفهام عن الفعل وتفيد الشك في وجود الفعل، والتردد بين وقوعه

(1) انظر: المتوكل: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993، ص21.

(2) انظر: المتوكل: الوظيفة والبنية، ص35.

(3) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 13.

(4) انظر: المدخل، ص 6.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

وعدم وقوعه. وفي الجملة: أنت فعلت؟ المقام مقام استفهام عن الفاعل والتردد فيه، وتؤكد وقوع الحدث، وانصراف الشك إلى الفاعل⁽¹⁾، وكل من المقامين يفرض بنية شكلية غير تلك التي يفرضها المقام الآخر، حسب الوظيفة المراد تأديتها، « فالبنية التركيبية والصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة »⁽²⁾.

3- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" (للمتكلم/المخاطب).

يرى الوظيفيون التداوليون أن موضوع الوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المستمع، وهذه القدرة هي القدرة اللغوية التي تجمع بين النحو والتداول، مخالفين بنظرهم هذه ما ذهب إليه شومسكي (N.Chomsky) (1977، 1988) الذي يرى أن القدرة قدرتان: قدرة نحوية صرف، وقدرة تداولية، ورغم هذا الاختلاف نجد كل النظريات اللسانية تكاد تجمع على أن موضوع الدرس اللساني والوصف اللغوي هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المخاطب غير أنها تختلف في تحديد هذه القدرة⁽³⁾.

والقدرة التواصلية في نظرية النحو الوظيفي يحددها سيمون ديك (1989) أنها: « ما يمكن (مستعملي اللغة الطبيعية) من التواصل فيما بينهم بواسطة العبارات اللغوية، أي ما يمكنهم من التفاهم والتأثير في مدخرهم المعلوماتي (بما في ذلك من معارف، وعقائد وأفكار مسبقة وإحساسات) والتأثير حتى في سلوكهم الفعلي عن طريق اللغة »⁽⁴⁾.

وتتكون القدرة التواصلية المتوافرة لدى مستعمل اللغة الطبيعية من خمس ملكات على الأقل تضطلع بوصفها خمسة قوالب، نجملها فيما يلي:

1- **الملكة اللغوية**: وبها يتمكن مستعمل اللغة الطبيعية من الإنتاج والتأويل الصحيحين لعبارات لغوية متنوعة ومعقدة جدا في كل موقف تواصلية دعا إلى ذلك، وتتضمن الملكة اللغوية الجوانب التداولية للقدرة التواصلية. ويضمن صحة إنتاج العبارات وتأويلها القالب النحوي بكل مكوناته: « معلومات صرفية-تركيبية (صيغ المفردات التي تتكون منها العبارة والمقولات المعجمية التي تنتمي إليها والعلاقات الدلالية

(1) انظر: الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص 151.

(2) المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 65.

(3) انظر: المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 16.

(4) ديك في: المرجع نفسه، ص 16.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

و التركيبية والتداولية القائمة بين هذه المفردات...) ومعلومات دلالية (معاني المفردات، معنى العبارة ككل) ومعلومات تداولية (القوة الإنجازية التي تواكب العبارة ككل باعتبارها قوة إنجازية حرفية)...»⁽¹⁾ وبواسطة هذه المكونات يستطيع مستعمل اللغة أن يدرك وظيفة العبارة المطروقة.

2- **الملكة المنطقية** : لمستعمل اللغة الطبيعية معارف اكتسبها من بيئته الاجتماعية وبواسطتها وباستخدام قواعد استدلال تحكمها مبادئ المنطق الاستنباطي والمنطق الاحتمالي يستطيع أن يشتق معارف أخرى⁽²⁾، وبنيات تحتية يقوم القلب المنطقي بمهمة استنباطها من البنية التحتية المحددة في إطار القلب النحوي.

3- **الملكة المعرفية** : بفضل الملكة المعرفية يستطيع مستعمل اللغة الطبيعية أن يكون رصيذا من المعارف المنظمة، والعبارات اللغوية التي يمكن أن يختزنها ويستحضرها لاستعمالها في تأويل العبارات اللغوية، وذلك بالاستعانة بالقلب المعرفي الذي ترد عليه المعارف من القوالب الأخرى.

4- **الملكة الإدراكية** : تمكن الملكة الإدراكية المتكلم/المستمع من إدراك محيطه (مدرّك حسي) واشتقاق معارف من هذا الإدراك لإنتاج العبارات اللغوية وتأويلها، ويتكفل بذلك القلب الإدراكي الذي يستعين بالقلب المعرفي في تخزين هذه المعارف قصد استعمالها عند الحاجة⁽³⁾.

5- **الملكة الاجتماعية** : وبها تتم معرفة « وضبط الكيفية التي ينبغي أن يخاطب بها مخاطبا معينا في موقف تواصلية معين قصد تحقيق أهداف تواصلية معينة...»⁽⁴⁾ وهاته الكيفية يقوم بضبطها القلب الاجتماعي بالنظر إلى الخلفيات الاجتماعية التي تكتنف هذا الموقف التواصلية .

ويفكر د. المتوكل (1995) في وضع ملكة سادسة تسمى "الملكة الشعرية" مهمتها إمداد المتكلم/المستمع بما يستلزمه لإنتاج العبارات اللغوية ذات الطابع الشعري وتأويلها⁽⁵⁾، وفق ضوابط القلب الشعري الذي هو « مجموعة من المبادئ ونسق من القواعد يضطلعان برصد الظواهر المجازية باختلاف أنماطها وبوصف ما يشكل "أدبية" الخطاب الأدبي بوجه عام ». ⁽⁶⁾ وتبقى قائمة هذه الملكات قائمة مفتوحة، يمكن إضافة

(1) أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 25 .

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 16.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 30.

(4)، (5) نفسه، ص 17.

(6) نفسه، ص 28.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

ملكات أخرى على غرار الملكة الشعرية⁽¹⁾. ويقترح المتوكل (1993) إضافة قالب فرعي آخر سماه: القلب النصي⁽²⁾.

يمكن أن تشغل القوالب الخمسة جميعها في تأويل عبارة لغوية ما، وبالمقابل هناك حالات يمكن الاستغناء فيها عن قالب أو أكثر غير القلب النحوي، منها⁽³⁾:

- يمكن الاستغناء عن القلب المعرفي إذا كانت العبارة اللغوية المراد تأويلها حاملة لجل المعلومات التي يقتضيها التأويل.

- يمكن الاستغناء عن القلب المنطقي إذا كانت دلالة العبارة هي الدلالة المقصودة .

- يمكن الاستغناء عن القلب الاجتماعي إذا كانت العبارة غير موسومة اجتماعيا.

هذا ويمكن القول أنّ الأنحاء الوظيفية تسعى إلى وصف القدرة التواصلية لمستعملي اللغة الطبيعية قدرة إنتاج وتأويل العبارات مع مراعاة استجابتها لما يفرضه واقع التواصل.

4- يجب أن يسعى النحو الطامح إلى الكفاية إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات :

أ- الكفاية التداولية :

تربط الكفاية التداولية بين خصائص العبارات اللغوية وكيفية استعمالها وتحقق هذه الكفاية في نحو ما إذا كان قادرا على كشف التفاعل القائم بين بنية اللغات الطبيعية ووظيفتها التواصلية. ويكتب ديك (1989) في معرض تعريفه للكفاية التداولية: « نريد من النحو الوظيفي أن يكشف لنا عن خصائص العبارات اللغوية التي لها علاقة بالكيفية التي تستعمل بها هذه العبارات، وأن يفعل ذلك بالطريقة التي تمكن من ربط هذه الخصائص بالقواعد والمبادئ التي تحكم التفاعل اللغوي.»⁽⁴⁾

ب- الكفاية النفسية :

يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النفسية، و« يكون النحو كافيا نفسيا إذا لم يتعارض مع

(1) انظر: المرجع السابق، ص 22.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 23.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 25، 26 .

(4) ديك، في: المرجع نفسه، ص 19.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

الفرضيات النفسية حول إنتاج اللغة وفهمها»⁽¹⁾. ويتم ذلك بالاستفادة من نتائج أبحاث علم النفس ، وعلم اللغة النفسي *Psycholinguistique* ، ومتابعة تطورات النماذج النفسية (*Psychological models*) ومطابقتها سواء منها "نماذج الإنتاج" أي إنتاج المتكلم العبارة اللغوية وصياغتها أم "نماذج الفهم" أي تحديد الطريقة التي يحلل بها المخاطب العبارة اللغوية ويؤولها التأويل الملائم⁽²⁾. وبذلك تطابق قواعد هذا النحو العمليات القائمة في ذهن المتكلم/المستمع أثناء إنتاج الخطاب وفهمه، فالنحو الوظيفي يلغي من نموذج القواعد التي شكك في واقعيتها النفسية كالقواعد التحويلية⁽³⁾.

جـ - الكفاية النمطية:

يحقق النحو الكفاية النمطية إذا استطاع أن يضع نحوًا للغات طبيعية متباينة نمطيا، وأن يصف ما يؤالف وما يخالف بين هذه اللغات المختلفة (ديك 1978)⁽⁴⁾، وتقتضي الكفاية النمطية في لغة ما أن تظل قواعد وصف ظواهرها لاصقة بخصائص هذه اللغة، وأن تتميز بدرجة عالية من التجريد لتستطيع وصف نفس الظاهرة في أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية⁽⁵⁾، ويصعب تحقق هذا النوع من الكفاية بل قد يستحيل ومرد هذا أن كل لغة تتميز بخصائص إستمولوجية ومقومات فكرية وانتماء حضاري. وإلى هذه الصعوبة يشير المتوكل بقوله: « فإذا اقتربت كثيرا من الوقائع اللغوية للغات معينة كان من العسير انطباقها على لغات أخرى وإذا كانت موعلة في التجريد أصبحت عاجزة عن رصد الوقائع اللغوية كما تتحقق في لغات معينة. وهكذا، يتعين على النظرية الرامية إلى الحصول على درجة معقولة من الكفاية النمطية أن تصوغ مبادئها وقواعدها و تمثيلاتها متوخية توسطًا بين التجريد والملموسية يؤهلها لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية»⁽⁶⁾.

وفي تراثنا اللغوي العربي نظريات وأحكام يمكن تعميمها وهي مؤهلة لوصف أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، فهذه النظريات « أكثر عالمية من النظريات الغربية على ما لهذه الأخيرة من علمية لا تنكر

(1) أحمد المتوكل: المنهج الوظيفي، ص 21. (نقلا عن: محمود سليمان ياقوت: فقه اللغة وعلم اللغة، ص 225).

(2) انظر: المتوكل: الوظائف التداولية، ص 11. دروس في اللسانيات الوظيفية، ص 10. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 20.

(3) انظر: المتوكل: الوظائف التداولية، ص 11.

(4) انظر: المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص 26. قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 21.

(5) انظر: المتوكل: الوظيفة والبنية، ص 5.

(6) قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 21.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

وإصابة لكبد الحقيقة في بعض جوانبها»⁽¹⁾.

يعتبر المبدأ الأول (الوظيفة الأساسية للغات هي وظيفة التواصل) منطلقاً أساسياً تقر به جل النظريات اللغوية. ويعتبر المبدأ الثالث (موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم/المخاطب) «مجرد سمة تمييزية، به تمتاز النظريات الوظيفية من النظريات غير الوظيفية، وليست له امتدادات تطبيقية»⁽²⁾. والمبدأ الرابع (السعي إلى تحقيق الكفايات الثلاث) عبارة عن غايات قد لا تتحقق، ولم تتحقق تحققاً كاملاً حتى في نظرية النحو الوظيفي ذاتها⁽³⁾، وخاصة ما تعلق بالكفاية النمطية. أما المبدأ الثاني (تبعية البنية للوظيفة) فهو المبدأ الوظيفي الأهم والأكثر واقعية وإجرائية، وانطلاقاً من هذا التمييز ركزنا على هذا المبدأ فهو يتيح مجالاً واسعاً للجانب التطبيقي في دراستنا.

هذا ولسنا نسلم بكل ما جاءت به هذه النظرية، التي ما زالت في طور الإنجاز وليست مستقرة ومتوقعة عند حدٍّ معين بل لا تزال كثير من المفاهيم الإجرائية التي اعتمدها تتطلب التطوير والتحوير، ومثل ذلك ما اعتمدته في جهازها الوظيفي الذي تقوم بتحليل التراكيب اللغوية على أساسه من صياغة صورية معقدة ورموز رياضية مجردة، فالكثير منها يتعد عن الواقعية⁽⁴⁾ والبساطة ويميل إلى التجريد والتعقيد. فالنحو كما تقترح نظرية النحو الوظيفي يشمل وظائف تمثيلية (مستويات تحليل) ثلاث:

– المستوى التركيبي لتمثيل الوظائف التركيبية (كوظيفي الفاعل والمفعول).
– المستوى الدلالي لتمثيل الوظائف الدلالية (كوظيفة المنفذ ووظيفة المتقبل ووظيفة المستقبل ووظيفة المستفيد...).

– المستوى التداولي لتمثيل الوظائف التداولية (وظيفة المبتدأ، وظيفة المحور، وظيفة البؤرة، وظيفة المنادى، وظيفة الذيل)؛ فتحليل جملة مثل: أكل محمد التفاح. حسب ما يرى "ديك" يكون بالشكل التالي⁽⁵⁾:

1- المستوى التركيبي	فعل	فاعل	مفعول به
2- المستوى الدلالي	فعل	عامل	هدف

(1) محمد العيد رتيمة: النظرية البنوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي، ص 14.

(2)، (3) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 17.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص 13.

(5) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 95.

3- المستوى التداولي

مسند

متن

(Theme)

(Tail)

أَوْ:

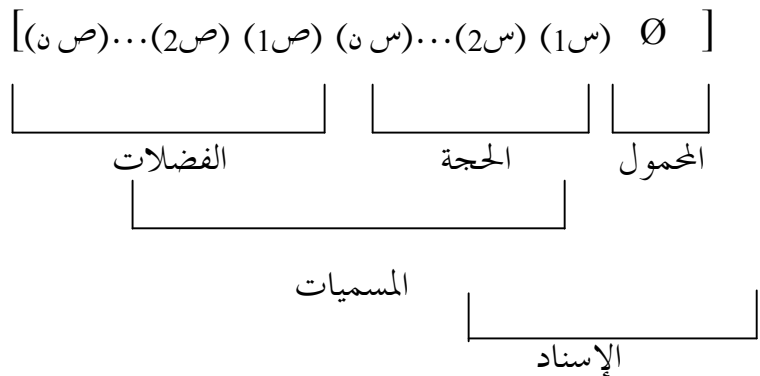
موضوع

بؤرة

(*Topic*)

(Focus)

والجملة في النحو الوظيفي عبارة عن إسناد *Predication* تمثل مصطلحاته بالشكل التالي ⁽¹⁾:



المحمول

الحجة

الفضلات

المسميات

الإسناد

« وهكذا فلكل جملة إطار إسنادي مصمم لبيان وظيفتها، وفي هذا الإطار الإسنادي يتم استبدال المتغيرات بمسميات تتفق في خصائصها الاختيارية *Selectional restriction* مع المحمول»⁽²⁾.

من خلال الجهاز الوظيفي ومستويات التحليل التي أوردناها و نموذج الجملة المختارة للتحليل وفق ما تقترحه نظرية النحو الوظيفي نجد أنّ هذه النظرية يكتنفها التعقيد والتجريد وكثرة الترميز الرياضي. بالإضافة إلى هذا تُنتقد في عدم التحقق الكلي لمبادئها⁽³⁾. وقد اكتفينا في دراستنا هذه بالتحليل في ضوء مبادئها الوظيفية، وركزنا على المبدأ الثاني.

3- ملامح المنحى الوظيفى في التراث العربى

أ- أصالة التراث اللّغوي العربي واستقلاليته:

يتميز التراث العربي بأصالة مصادره واستقلالية مناهج دراسته غير أن هذا التميز لا يجعل منه موروثاً شاذاً لا يمكن موازنته أو تفاعله مع غيره من الفكر اللغوي البشري، بل هو على العكس من ذلك يمكن

(1) انظر: المرجع السابق، ص 96.

(2) نفسه، ص 97.

(3) انظر: ص 41 من هذا البحث.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

« إقامة (حوار) مثمر بين الفكر اللغوي العربي القديم والفكر اللساني الحديث على أساس القرض والاقتراض رغم انتماء الفكرين إلى (حقليين نظريين) متباينين »⁽¹⁾، وهذا لا يمنع وجود نقاط تشابه. ومساهمة التراث العربي للتراث الإنساني عامة تتيح لنا دراسته وفق ما أنتجته النظريات اللسانية الحديثة مع مراعاة خلفياته وأبعاده الفكرية واحترام خصوصياته، ففكرة التقطيع مثلا التي جاء بها ماريتني سبق إليها منذ زمن طويل، فقد ورد ما يشابهها عند الآمدي حين يقول في سياق حديثه عن الألفاظ الدالة: « أما حقيقة (أي اللفظ الدال) فهو ما دل بالوضع على معنى، ولا جزء له يدل على شيء أصلا كلفظ الإنسان، فإن (إن) من قولنا (إنسان) وإن دلت على الشرطية، فليست إذ ذاك جزءا من لفظ الإنسان. »⁽²⁾ ولو لاحظنا القولين المشهورين للبلاغيين العرب: "لكل مقام مقال"، "ولكل كلمة مع صاحبها مقام"، لوجدنا أن هذين القولين يشتملان على « عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات، لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء. ولم يكن مالينوفسكي وهو يصوغ مصطلحه الشهير *Context of situation* يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها. إن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجلوه في كتب لهم تحت اصطلاح المقام، ولكن كتبهم هذه لم تجد من الدعاية على المستوى العالمي ما وجده اصطلاح مالينوفسكي »⁽³⁾. وفي الدراسة الوظيفية نجد الكثير من الآراء والمصطلحات المتفرقة لعلمائنا من أمثال الخليل و سيبويه والقراء وابن جني وعبد القاهر والرضي تعبد الطريق، لما هو مطروق في المنهج الوظيفي الحديث « وما خلفه البلاغيون بعد عبد القاهر والأصوليون من درس وظيفي لظواهر التركيب، يجب الاستفادة منه أيضا، لأن هؤلاء تفوقوا على النحاة في تحليل معاني التركيب ودلالاته وأسايبه. »⁽⁴⁾ فبعض مبادئ الوظيفية ومفاهيمها مبثوثة في كتب التراث اللغوي العربي (النحو، البلاغة، التفسير، علم الأصول ...)، والمتفحص لهذا الموروث يجد أن علماءنا ينطلقون في وضع القواعد والمفاهيم - ولو لم يقصدوا ذلك - من خلفيات تظهر فيها السمات الوظيفية وخاصة ما تعلق بالمبادئ الوظيفيين الأول والثاني؛ فغرضهم من التدريس والتأليف في هذه الفنون هو توصيل وتبليغ أفكار وتوضيح مفاهيم بواسطة اللغة، وهذه الأفكار والمفاهيم لها بنيات لغوية وضعت

(1) المتوكل : الوظائف التداولية، ص 183.

(2) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1981، 18/1.

(3) حسان تمام: اللغة العربية معناها ومبناها، ص 372.

(4) عبد الجبار توأمة: المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي ، ص 277.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

لأداء غرض مقصود (وظيفة تواصلية) انطلاقاً من واقع له ظروفه الخاصة ، وممن قال باشمال التراث العربي على السمات والمبادئ الوظيفية ودافع عن ذلك في كثير من مؤلفاته د. أحمد المتوكل⁽¹⁾ ، وفي هذا الشأن يذهب د. جعفر دك الباب - في معرض حديثه عن موقع نظرية الجرجاني اللغوية من علم اللغة العام الحديث - إلى أن : « نظرية الجرجاني اللغوية يمكن أن تساعد في توضيح وإكمال بعض جوانب النظرية البنيوية الوظيفية في علم اللغة العام الحديث »⁽²⁾ ، هذا ونجد علماء العربية قريين في تحليلاتهم واستنباطاتهم من كثير مما قررته نظرية المعنى أيضاً ، ومن ذلك فكرة ارتباط المعاني بسياقاتها المختلفة فلم يهتموا بأشكال التعبيرات أكثر مما اهتموا بالمعاني الوظيفية لها. « ومعنى هذا أن نظرية المعنى وارتباطها بالسياق ، لم تكن بعيدة عن علماء العربية من لغويين وبلاغيين وفقهاء »⁽³⁾.

ب - المقام والمعنى في التراث :

ينقل إلينا عبد القاهر الجرجاني عن يعقوب بن إسحاق الكندي وأبي العباس (ثعلب أو المبرد) ، حادثة نلمس فيها العلاقة الوشيعة بين معنى الكلام و المقام الذي يرد فيه ، هذا نصها : « روي عن ابن الأنباري أنه قال : ركب الكندي المتفلسف إلى أبي العباس وقال له : إني لأجد في كلام العرب حشواً ، فقال له أبو العباس : في أي موضع وجدت ذلك فقال : أجد العرب يقولون : (عبد الله قائم) : ثم يقولون : (إن عبد الله قائم) ، ثم يقولون : (إن عبد الله لقائم) ، فالألفاظ متكررة والمعنى واحد ، فقال أبو العباس : بل المعاني مختلفة لاختلاف الألفاظ ، فقولهم : (عبد الله قائم) إخبار عن قيامه : وقولهم : (إن عبد الله قائم) جواب عن سؤال سائل ، وقولهم (إن عبد الله لقائم) جواب عن إنكار منكر قيامه ، فقد تكررت الألفاظ لتكرر المعاني ، قال : فما حار المتفلسفُ جواباً »⁽⁴⁾ ؛ وفي هذا إشارة إلى أنه لا تتحكم الألفاظ في المعاني وحدها بل يقاسمها في ذلك مقام هذه العبارات والغرض المقصود منها . ويقول ابن خلدون : « ولكل مقام عندهم مقال يختص به بعد كمال الإعراب والإبانة . ألا ترى أن قولهم "زيد جاءني" مغاير لقولهم "جاءني زيد" ، من قبل أن المتقدم منهما هو الأهم عند المتكلم . فمن قال "جاءني زيد" أفاد أن اهتمامه بالجئي قبل الشخص

(1) انظر : اللسانيات الوظيفية ، ص 35.

(2) جعفر دك الباب : الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني ، ص 123 .

(3) حلمي خليل : العربية وعلم اللغة البنيوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 1996 ، ص 225.

(4) دلائل الإعجاز ، ص 312.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

المسند إليه، ومن قال "زيد جاءني" أفاد أن اهتمامه بالشخص قبل المجيء المسند. وكذا التعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة⁽¹⁾؛ فمعنى الكلام لا تعرف حقيقته إلا من خلال المقام الذي ورد فيه. وأما عن علاقة المعنى بالتحليل اللغوي أو ما سمي بالإعراب، فقد اهتم بدراسته النحاة مبكراً، وهم يرون أنه لا يمكن أن يكون هناك تحليل دون فهم للمعنى، ونجد د. تمام في سياق حديثه عن العبارتين: "لكل مقام مقال"، "ولكل كلمة مع صاحبها مقام"، يقول: «... ولم يكن أقل من هاتين العبارتين صدقاً في تحليل اللغة بصفة عامة ما سبق النحاة العرب إليه من قولهم الإعراب فرع المعنى، فهذه أيضاً واحدة من جوامع الكلم إذا فهمنا بالإعراب معنى التحليل لأن كل تحليل لا يكون إلا عند فهم المعنى الوظيفي لكل مبنى من مباني السياق»⁽²⁾.

جـ- التركيب الإسنادي عند العرب:

تتألف الجملة حسب ما يرى النحاة والبلاغيون القدامى من مسند وهو محكوم به، ومسند إليه وهو محكوم عليه، وما زاد عليهما فهو قيد أو فضلة متمم، يقول د. يحيى أحمد: «وطبقاً لمفهوم "دينامية الاتصال" فإن هناك ثلاث وحدات وظيفية في الجملة: المسند وهو ينقل أقل درجة من دينامية الاتصال. المسند إليه وهو ينقل أعلى درجة من دينامية الاتصال. وبعد هاتين الوحدتين أو قبلهما أو بينهما تأتي الوحدة الانتقالية *Trenstition* وتكون غالباً من العناصر الإضافية (الظرف، الحال) أو العناصر التي نحتاج إليها لاستقامة الجملة نحويًا (أدوات النسخ، أدوات الشرط الخ)»⁽³⁾ وعند المناطق تكون العبارة من عنصرين متلازمين هما:

1- الموضوع (المخبر عنه، والموصوف، والمسند إليه)

2- المحمول (المخبر به، والصفة، والمسند).

فعملية التفكير تقوم على ثلاث وظائف هي: التصور (عرض الموضوع)، والحكم (التعبير عن المحمول)، والمحاكمة (الربط بين حكيمين لاستنتاج حكم ثالث)، وهذا يصدق على جميع الألسن⁽⁴⁾.

ونشير هنا إلى أن النحاة قد اضطربوا في تسمية عنصري الإسناد في الجملة، وذلك لاختلاف المنطلقات

(1) مقدمة ابن خلدون، دار الجيل، بيروت، (د ت)، ص 609.

(2) اللغة العربية معناها ومبناها، ص 372.

(3) الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 78.

(4) انظر: أحمد محمد قدور: مبادئ اللسانيات، ص 240.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

المعتمدة في هذه التسميات، « فاعتماد الإسناد يقتضي الالتزام بالمسند والمسند إليه، واعتماد دور العنصر في عملية الإبلاغ يقتضي الالتزام بالمخبر عنه والخبر، واعتماد الرتبة يفرض الالتزام بالمبتدأ والمؤخر...، واعتماد أقسام الكلام يحتم الالتزام بالفعل والاسم والصفة... الخ »⁽¹⁾ والعرب لم يجتمعوا على واحدة من هذه المنطلقات غير أن الوظيفيين منهم اختاروا منطلق الإسناد. ويضع النحاة العرب القدماء سلمية لمكونات الجملة؛ فالجملة الفعلية: قدّم زيد درساً مساءً في المسجد. مثلاً، تتكون حسب ما يقتضي الفعل من الفاعل ثم المفعول به ثم الزمان ثم المكان... وهذه السلمية نفسها تحدّد رتبة المكونات داخل الجملة بنفس الترتيب المذكور، وهو ما تقرُّ بعضه نظرية النحو الوظيفي ففيها يوالي الفعل رتبة المكون الفاعل ثم المكون المفعول أمّا المكونات الأخرى (المكونات الحاملة للوظائف الدلالية "الزمان" و"المكان" و"الحال" و"العلة"...) فلم تُجِبْ عن السؤال المطروح حول الترتيب فيما بينها⁽²⁾. وتجدر الإشارة هنا إلى أن نظام ترتيب مكونات الجملة العربية نظام مرّن يخضع لمناسبات القول وأغراض التواصل، فقد يخالف معتاده لتحقيق معنى بعينه أو دلالة مقصودة.

3-1 ملامح المنحى الوظيفي عند "سيبويه" :

3-1-1- سيبويه : منهجه وكتابه

يعدّ سيبويه من عباقرة اللغة العربية و"كتابه" هو أقدم دستور في العربية احتوى النحو واللغة والبلاغة والمنطق، والفقه، ويعدّ مرجعاً أول للنحو العربي وفيه قوانين فكر هذه اللغة، وليس مجرد قواعد لتعليم النطق السليم والكتابة الصحيحة⁽³⁾. والمتعمّن فيه يجد أنّه ركّز في كثير من أبوابه على المعنى الوظيفي الذي تعكسه التراكيب وتأتي لخدمته، ويقر بهذه الحقيقة د. عبده الراجحي - وهو يتحدث عن تحيز بعض اللغويين العرب المعاصرين لمدارس لسانية ويبين المنهج المرتضى - فيقول: « والمنهج الذي نرتضيه هو الذي يقع في الناحية الأخرى، وهو الذي أصله سيبويه وظل يوجه الفكر النحوي في تاريخه الطويل، المعنى هو الأصل في اللغة، وليس للنحوي غاية إلا الوصول إلى المعنى، وكل فصيلة من فصائل النحو، وكل تركيب من تراكيبه ليس مجرد أشكال ومبان، وإنما هي معان تتقمص مباني، ومن ثمّ فإن التحليل يرد المبني إلى

(1) محمد الشاوش: ملاحظات بشأن دراسة تركيب الجملة في اللغة العربية، الموقف الأدبي، ع135، 136، ص79. (نقلاً عن: عبد الجبار تومة:

المنهج الوظيفي العربي الجديد لتحديد النحو العربي، ص300).

(2) انظر: المتوكل : الوظائف التداولية، ص50.

(3) انظر: عبد العزيز حمودة: المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، ص242.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

أصله، ويربطه بمعناه، أو يجعله تاليا له، فالمبتدأ والخبر ليسا اسمين مرفوعين في بنية شكلية، وإنما هما تركيب مخصوص يصدر عن معنى معين...»⁽¹⁾، ورغم المكانة المعتبرة لهذا الرجل وكتابه فلم يعطيا ما يستحقان من العناية والتقدير فقد عاش هو مغمورا ولم يعرف حتى تاريخ وفاته ووقع فيه تضارب⁽²⁾ «أما الكتاب فأمره أغرب، إن أنقذه الزمان من التلف فقد قضى على كل وثيقة تقدمته، وإذا اعتبرته من أول ما ألف من النحو أدهشك بضخامة حجمه وغزارة مادته واستقصائه لمعطيات اللغة واستعمالاتها»⁽³⁾.

3-1-2- ظواهر وظيفية تداولية في نحو سيبويه :

أ- المقام وسياق الحال:

من أهم عوامل تحديد المعنى الوظيفي السياق الإبلغي للكلام؛ فلا يفهم الكلام ولا جدوى من تحليله إلا في إطاره، وإلى هذا ذهب سيبويه، فقال في سياق حديثه عن مجيء الحال بعد الضمائر المسند إليها في مقام الفخر أو الوعيد أو التصغير للنفس: «وقد تقول: هو عبد الله، وأنا عبد الله، فاخرا أو موعدا، أي اعرفني بما كنت تعرف وبما كان بلغك عني، ثم يفسر الحال التي كان يعلمه عليها أو تبغها فيقول: أنا عبد الله كريما جوادا: وهو عبد الله شجاعا بطلا. وتقول: إني عبد الله، مصغرا نفسه لربه، ثم تفسر حال العبيد فتقول: آكلا كما تأكل العبيد...»⁽⁴⁾، وفي موضع آخر يبين لنا أهمية خلفيات الكلام من مقام المخاطبين وحالهم في توجيه معنى العبارات والتراكيب، ويحذر من التهاون بذلك، فيقول: «وإنما ذكر الخليل رحمه الله هذا لتعرف ما يحال منه وما يحسن، فإن النحويين مما يتهاونون بالخلف إذا عرفوا الإعراب. وذلك أن رجلا من إخوانك ومعرفتك لو أراد أن يخبرك عن نفسه أو عن غيره بأمر فقال: أنا عبد الله منطلقا، وهو زيد منطلقا كان محالا، لأنه إنما أراد أن يخبرك بالانطلاق، ولم يقل هو ولا أنا حتى استغنيت أنت عن التسمية، لأنّ هو وأنا علامتان للمضمر، وإنما يضمر إذا علم أنك قد عرفت من يعني. إلا أن رجلا لو كان خلف حائط، أو في موضع تجهله فيه فقلت من أنت؟ فقال: أنا عبد الله منطلقا في حاجتك، كان حسنا»⁽⁵⁾.

(1) النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، ص 250.

(2) انظر: عبد القادر المهيري: كتاب سيبويه بين التقعيد والوصف، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العدد 11، 1974،

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص 125.

(3) المرجع نفسه، ص 126.

(4) سيبويه: الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1، 1991، 80/2.

(5) المرجع نفسه، 81/2.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

يلتقي هنا نظر سيبويه للسياق والمقام مع أحدث النظريات اللغوية. ففي تحليله للخطاب يركز على فهم المخاطب والسياق الخارجي للكلام، وهما عنده في كثير من الأحيان أهم من التراكيب والألفاظ ذاتها فقد يُستغنى عن هذه البنيات ويُستعاض عنها بالسياق والموقف الاستعمالي للكلام، « وما يلامس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضع الكلام. وقد هداه هذا الاتساع إلى استكناه البنية الجوانبية للتركيب النحوي ورسم خطوط هادية في تعلم العربية تعلمًا يضع كل تركيب موضعه، ويعرف لكل مقال مقامه »⁽¹⁾.

هذا وكان الخدّاق من علماء اللغة -ممن اقتفى أثر سيبويه- يتناولون قواعدها تناولا وظيفيا فهم ينظرون في تحليل بنائها وتفسيرها إلى ملابسات الخطاب وحال المخاطب والمخاطب وظروف القول ودواعيه، فلم يعزلوا قواعد الشكل الإعرابي للبنى اللغوية عن وظائفها الاتصالية ومعانيها المقصودة، وأول هؤلاء سيبويه، يقول د. عبده الراجحي: «بل إنّ سيبويه -وكتابه هو المسؤول الأول عن المنهج- كان يعالج العامل في إطار (قواعد الكلام)، أو ما نسمّيه الآن (قواعد الخطاب) التي تنظر إلى السياق العام للحدث الكلامي، من نية المتكلم وقصده، وهيئة المخاطب ومعرفته وظروفه، ثم هيئة الحال التي يجري فيها الحدث، وضع يدك في معظم أبواب النحو عند الرجل تخرج لك ما تشاء من هذا الذي نزعمه لك »⁽²⁾.

ب- الحذف وعلاقته بالسياق:

يرى سيبويه أنه لا يجوز الحذف إلا إذا دلت على المحذوف قرينة في السياق⁽³⁾، وإلا كان الكلام هراء، لا تحصل به فائدة، ومن النماذج التي أوردها في باب ما يضمن فيه الفعل: « وذلك إذا رأيت رجلا متوجها وجهه الحاج قاصدا في هيئة الحاج، فقلت: مكة ورب الكعبة، حيث زكّنت^(*) أنه يريد مكة. كأنك قلت: يريد مكة والله... أو رأيت رجلا يسدد سهمًا قبل القرطاس فقلت: القرطاس والله، أي يصيب القرطاس، وإذا سمعت وقع السهم في القرطاس قلت: القرطاس والله، أي أصاب القرطاس، ولو رأيت ناسا ينظرون الهلال وأنت منهم بعيد فكبروا لقلت: الهلال ورب الكعبة، أي أبصروا الهلال »⁽⁴⁾، فسيبويه

(1) نجاد موسى: نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 1980، ص 88.

(2) النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، ص 252.

(3) انظر: الكتاب، 1/173.

(*) زكّنت بمعنى أيقنت.

(4) المرجع نفسه، 1/257.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

وهو يعلق على هذه النماذج العربية الفصيحة يرى أنها تعبر عن وظائف كلامية معروفة، لا يُغفل في تحليلها عن السياق الذي قيلت فيه والجو الاجتماعي أو النفسي الذي رافق ولادتها⁽¹⁾.

ج- الرتبة ودلالاتها الوظيفية :

كانت العرب تبني كلامها وترتبه وفق ما تمليه دواعيه وما يؤديه من وظائف، فلا تقدم ولا تؤخر إلا عن قصد تواصلية وكل تقديم أو تأخير يؤدي إلى تغيير المعنى، ويختلف ترتيب التراكيب باختلاف وظائفها؛ فنجدهم يقدمون للعناية والإبراز، كما يقدمون للتخصيص والحصص...» قال صاحب الكتاب وهو يذكر الفاعل والمفعول: كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعا يهملهم ويعيناهم. ولم يذكر في ذلك مثالا. وقال النحويون: إن معنى ذلك أنه قد يكون من أغراض الناس في فعل ما أن يقع بإنسان بعينه ولا يبالون من أوقعه كمثل ما يعلم من حالهم في حال الخارجي يخرج فيعيث ويُفسد ويكثر به الأذى، أنهم يريدون قتله ولا يبالون من كان القتل منه، ولا يعينهم منه شيء. فإذا قتل وأراد مرير الإخبار بذلك، فإنه يقدم ذكر الخارجي فيقول: (قتل الخارجي زيد). ولا يقول: (قتل زيد الخارجي) لأنه يعلم أن ليس للناس في أن يعلموا أن القاتل له زيد جدوى وفائدة، فيعنيهم ذكره ويهملهم ويتصل بمسرتهم. ويعلم من حالهم أن الذي هم متوقعون له و متطلعون إليه متى يكون وقوع القتل بالخارجي المفسد...»⁽²⁾. من خلال هذا القول نجد أن سيبويه يبين أن العرب كانت تبني كلامها بناء تمليه مقاصد الكلام، فأشكال الرتب عنده تتوقف على دلالاتها الوظيفية.

3-2 ملامح المنحى الوظيفي عند " ابن جني (322-392هـ) :

3-2-1 وظيفة اللغة التواصل:

عرف ابن جني اللغة أنها: « أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم »⁽³⁾؛ فالإنسان يختار من هذه الأصوات ما يعبر به عن أغراضه وما يلائم مقاصده وما يفصح به عما يختلج في صدره وما يحول في خاطره. فاللغة معتبرة بأحوال استعمالها بين أفراد المجتمع، ولهذا كان تعليم اللغة يهدف إلى إكساب المتعلم القدرة على تبليغ أغراضه بعبارات سليمة في أحوال الخطابات المختلفة، يقول د. عبد الرحمن الحاج

(1) انظر: صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط1، 1419/1998، ص215.

(2) الدلائل، ص148، 149.

(3) الخصائص، 33/1.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

صالح: « الغاية القريبة والبعيدة التي يرمي إليها كل تعليم للغات الحية هو تحصيل المتعلم على القدرة العملية على تبليغ أغراضه بتلك اللغة وفي نفس الوقت على تأدية هذه الأغراض بعبارات سليمة، أي من تلك التي تنتمي إلى ما تعارفه الناطقون بها أوضاعاً ومقاييس »⁽¹⁾.

3-2-2 تبعية البنية للوظيفة :

البنية بألفاظها وتراكيبها تأتي لخدمة وظيفة التواصل وأداء المعاني، وهذا ما عناه ابن جني بقوله: « فكأن العرب إنما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيعها وتزخرها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلاً بها إلى إدراك مطالبها »⁽²⁾؛ فالعرب تأتي بكلامها على أساس من هدف تأليفه. ونأتي هنا بنموذج عرضه ابن جني يتعلّق بتغير بنية الجملة وذلك بتغير رتبة المفعول به والتأكيد على وظيفته وأهميته - رغم أنهم يعتبرونه فضلة - والدلالات الوظيفية والنفسية التي يتوخاها العرب من كل هذا، فيقول: « إن أصل وضع المفعول أن يكون فضلة، وبعد الفاعل، كضرب زيد عمراً، فإذا عناهم ذكر المفعول قدّمه على الفاعل فقالوا: ضرب عمراً زيد. فإن ازدادت عنايتهم به قدموه على الفعل الناصبه فقالوا: عمراً ضرب زيد. فإن تظاهرت العناية به عقده على أنه رب الجملة. وتجاوزوا به حد كونه فضلة فقالوا: عمرو ضربه زيد. فجاءوا به مجيئاً ينافي كونه فضلة، ثم زادوه على هذه الرتبة فقالوا: عمرو ضرب زيد، فحذفوا ضميره ونووه ولم ينصبوه على ظاهر أمره؛ رغبة به عن صورة الفضلة وتحامياً لنصبه الدال على كون غيره صاحب الجملة. ثم إنهم لم يرضوا له بهذه المترلة حتى صاغوا الفعل له وبنوه على أنه مخصوص به، وألغوا ذكر الفاعل مظهرها أو مضمرها فقالوا: ضُرب عمرو، فاطّرح ذكر الفاعل ألبتة. نعم، وأسندوا بعض الأفعال إلى المفعول دون الفاعل ألبتة، وهو قولهم: أولعت بالشيء. ولا يقولون: أولعني به كذا. وقالوا: ثلج فؤاد الرجل، ولم يقولوا ثلجه كذا، وامتنع لونه، ولم يقولوا: امتنعه كذا، ولهذا نظائر. فرفض الفاعل هنا ألبتة، واعتماد المفعول به ألبتة دليل على ما قلناه فاعرفه... »⁽³⁾. يستخلص من هذا النموذج أن العرب كانت تخضع بنية كلامها للوظيفة المرادة منه.

3-2-3 تبعية الإعراب للمعنى المقصود من الكلام:

يرى ابن جني أن الإعراب تابع للمعنى ويدعو إلى أن ينظر إلى المعنى على أنه هو المقصود وأن النحو

(1) الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص 19.

(2) الخصائص، 1/220.

(3) المحتسب، 1/65. (نقلاً عن: صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص 289، 290).

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

ليس هو الإعراب وحده، فيقول متحدثا عما يتميز به كتابه الخصائص: « ليس غرضنا فيه الرفع والنصب والجر والجرم لأن هذا أمر قد فرغ منه في أكثر الكتب المصنفة فيه منه وإنما هذا الكتاب مبني على إثارة معادن المعاني وتقرير حال الأوضاع والمبادئ »⁽¹⁾.

3-3 ملامح المنحى الوظيفي عند "عبد القاهر الجرجاني" ت 471 هـ :

3-3-1 عبد القاهر ومنهجه اللغوي:

لا شك في أن الإمام عبد القاهر الجرجاني قد استفاد وأفاد من الموروث اللغوي، مما خلفه النحاة في دراسته الوظيفية لوجوه التراكيب وفروق معانيها وأساليب العبارات وخواصها التركيبية⁽²⁾ التي بنيت على أساس المقاصد والأغراض المرجوة من التأليف بينها، هذه الدراسة التي انتهت به إلى وضع نظرية النظم^(*) التي يجمع فيها بين النحو وعلم المعاني بصبغة متكاملة تبرز فيها سمات النحو الوظيفي مما جعل بعض الباحثين يعدّه نحويا وظيفيا وكتابه "الدلائل" كتاب نحو⁽³⁾. يقول عن علاقة النظم بالأغراض والمقاصد - في فصل: مزايا النظم بحسب المعاني والأغراض - : « وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه، فاعلم أن الفروق والوجوه كثيرة، ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لا تجد لها ازديادا بعدها، ثم اعلم أن ليست المزية بواجبة لها في أنفسها، ومن حيث هي على الإطلاق ولكن تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام، ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض »⁽⁴⁾؛ فالكلام كما يرى الجرجاني يوضع أساسا لوظيفة تبليغ المعاني وتأدية الأغراض التواصلية، وعلى أساس هذه الأغراض تكون التراكيب اللغوية ويكون النظم بفروقه ووجوهه؛ وفي كلام الشيخ هذا نلمس الرؤية الوظيفية المقررة في نظرية النحو الوظيفي؛ وخاصة ما تعلق بالمبدئين الأول والثاني. وهذا يؤدي بنا إلى الحكم على أن عبد القاهر الجرجاني كان ينحو منحى وظيفيا تداوليا؛ - وإن لم يقصد هذا- فهو يراعي موضع أو مقام استعمال الكلام ومقتضى الحال. ومما يتجسد فيه تطبيق

(1) الخصائص، 32/1.

(2) انظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، مصر، ط6، 1983، ص167.

(*) "النظم" اصطلاح شاع عند الأشاعرة، إذ كانوا يرون أن سبب إعجاز القرآن هو نظمه. وعند الجرجاني هو معاني النحو التي بها يتم تعلق

الكلام بعضه ببعض. انظر: شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص161، 168.

(3) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 23.

(4) الدلائل، ص132.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

المبدأ الوظيفي الثاني الظواهر اللغوية التي عاجلها، ومنها : التقديم والتأخير، الحذف، التعريف والتنكير ، الفصل والوصل، القصر والاختصاص... من خلال طريقة تناوله لهذه الظواهر يؤكد مدى تعلق البنية بالوظيفة وتبعيتها لها، « وانطلق عبد القاهر الجرجاني من منطلق وصفي وظيفي لأنه بحث في نظم الكلام. فعمد إلى بيان ارتباط خصائص بنية الكلمة المفردة بالوظيفة التي تؤديها في الكلام، انطلاقاً من الوظيفة الأساسية للغة كوسيلة لاتصال الناس بعضهم ببعض»⁽¹⁾.

3-3-2 المبادئ الوظيفية عند الجرجاني:

أ- وظيفة اللغة التواصل:

يشير الجرجاني في أكثر من موضع في كتابه الدلائل إلى أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي نقل ما يقصده المتكلم إلى السامع، وبهذا يتم التواصل بين الطرفين، قال : «وكان مما يعلم ببداية المعقول أن الناس إنما يكلم بعضهم بعضاً ليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده، فينبغي أن ينظر إلى مقصود المخبر من خبره وما هو؟»⁽²⁾ ، ويقول في موضع آخر : « وجملة الأمر أن الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض»⁽³⁾.

ب- تبعية البنية للوظيفة :

هناك عوامل متعددة يخضع لها الكلام منها المتكلم والمستمع والمقام وظروف الاتصال، ولكن تبقى بنيته دائماً رهيبة غاياته⁽⁴⁾. من أجل ذلك دعا الجرجاني إلى دراسة التركيب اللغوي دراسة توضح المعاني الوظيفية وأوجه الدلالة في العبارة، وذلك في إطار ما يتصل بالنظم من بناء وترتيب وتعليق⁽⁵⁾. وتتجسد علاقة البنية بالوظيفة عند الجرجاني فيما أسماه بمصطلح الوجوه والفروق، وذلك بأن المتكلم يختار وجوه وأشكال التراكيب التي تخدم الأغراض التي ينشدها وكل وجه يصح في مقام خاص به دون غيره. وقد تتعدد وجوه المعنى النحوي الواحد؛ والفروق هي المعاني المترتبة عن هذه الوجوه، كما أن الجرجاني قد

(1) جعفر دك الباب: النظرية اللغوية العربية الحديثة، ص60.

(2) الدلائل، ص488.

(3) المرجع نفسه، ص487.

(4) انظر: عبد القادر المهيري: مساهمة في التعريف بأراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية العدد 11، 1974، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ص107.

(5) انظر: فاضل مصطفى الساقى: أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977، ص95.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

يكون قصد بالفروق القيم الخلافية أو فكرة المقابلة بين المبني والمبنى، وبين المعنى والمعنى، ولهذا طلب أن ينظر إلى صور التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار، والإظهار مؤكداً أن التعبير بكل نمط شكلي يعتبر تعبيراً عن المعنى الوظيفي لهذا النمط⁽¹⁾، يقول الجرجاني: «لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: زيد منطلق وزيد ينطلق، وينطلق زيد، ومنطلق زيد، وزيد المنطلق، وفي الشرط والجزاء، إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج، وفي الحال إلى الوجوه التي تراها في قولك: جاءني زيد مسرعاً وجاءني يسرع، وجاءني وهو مسرع أو هو يسرع، وجاءني قد أسرع، وجاءني وقد أسرع، فيعرف لكل من ذلك موضعه، ويجيء به حيث ينبغي له. وينظر في الحروف التي تشترك في معنى ثم ينفرد كل واحد منها بخصوصية في ذلك المعنى، فيضع كلا من ذلك في خاص معناه... وينظر في الجمل التي تسرد فيعرف موضع الفصل فيها من موضع الوصل... ويتصرف في التعريف والتنكير، والتقديم والتأخير في الكلام كله، وفي الحذف والتكرار، والإضمار والإظهار فيضع كلا من ذلك في مكانه ويستعمله على الصحة وما ينبغي له»⁽²⁾. فاللغة تتسع لكل تعبير أو بيان أو إفصاح عن مشاعر، والنحو يمدّ المتكلم بأنماط مختلفة من التعابير تتوافق مع أغراضه المختلفة، ويختار منها ما يخدم قصده⁽³⁾.

و العلم بالوجوه والفروق لذاها لا فائدة منه، بل المزية أن تدرك مواضعها، فتصنع كلامك على الوجه الذي تقتضيه هذه المواضع، يقول الجرجاني: «واعلم أنا لم نوجب المزية من أجل العلم بأنفس الفروق والوجوه. فنستند إلى اللغة، ولكنا أوجبناها للعلم بمواضعها وما ينبغي أن يصنع فيها، فليس الفضل للعلم بأن (الواو) للجمع و (الفاء) للتعقيب بغير تراخ، و (ثم) له بشرط التراخي، وإن لكذا وإذا لكذا؛ ولكن لأن يتأتى لك إذا نظمت وألفت رسالة أن تحسن التخير وأن تعرف لكل من ذلك موضعه»⁽⁴⁾.

فالوظيفة التداولية تفرض على المتكلم أن يختار للغرض الذي يؤم الوجه أو التركيب الذي يلائمه.

(1) انظر: المرجع السابق، ص 100، 101.

(2) الدلائل، ص 127.

(3) انظر: عبد القادر المهيري: مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، ص 115.

(4) الدلائل، ص 261.

نماذج لظواهر وظيفية تداولية في نحو الجرجاني:

1- حذف المفعول به ودلالاته الوظيفية:

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ (٤٣) ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ (٤٤) (النجم: 43، 44) وقال:

﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى﴾ (٤٨) (النجم: 48). « المعنى: هو الذي منه الإحياء والإماتة، والإغناء والإقناء .

وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن يثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، وأن يخبر بأن من شأنه أن يكون منه، أو لا يكون إلا منه، أو لا يكون منه، فإن الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى⁽¹⁾. لم يذكر المفعول به لقصد تأدية وظيفة تخصيص الفاعل بالفعل وحده؛ فلا يكون الإحياء والإماتة، والإغناء والإقناء (كل من أحيا أو أميت...) إلا من الله عز وجل. وهنا أيضا يتقرر وجوب إسقاط المفعول لتتوفر العناية على إثبات الفعل لفاعله، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْأَلُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا

نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (٢٣) ﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ﴾ (القصص: من الآية ٢٤، ٢٥)

٢٣، ٢٤) حذف المفعول به في أربعة مواضع؛ أي بعد الأفعال: يسقون، تذودان، نسقي، سقى. يقول الجرجاني: «إذ المعنى: وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما، وقالتا لا نسقي غنمنا، فسقى لهما غنمهما. ثم إنه لا يخفى على ذي بصر، أنه ليس في ذلك كله إلا أن يُترك ذكره ويُؤتى بالفعل مطلقا، وما ذاك إلا أن الغرض في أن يعلم أنه كان من الناس في تلك الحال سقي ومن المرأتين ذود وأنها قالتا: لا يكون منا سقي حتى يصدر الرعاء؛ وأنه كان من موسى عليه السلام، من بعد ذلك سقي. فأما ما كان المسقي أغنما أم إبلا أم غير ذلك، فخارج عن الغرض وموهم خلافه... لم تجد لحذف المفعول في هذا النحو من الروعة والحسن ما وجدت، إلا لأن في حذفه وترك ذكره فائدة جلية، وأن الغرض لا يصح إلا على تركه⁽²⁾. هنا لا يهم المتلقي المفعول به أي المعنى بالسقي والذود بل يهمه الذي قام بهما أي موسى ﷺ والمرأتان. فحذف المفعول كان لدلالة وظيفية لن تكون بوجوده.

(1) المرجع السابق، ص 185.

(2) نفسه، ص 189، 190.

2- التقديم ودلالاته الوظيفية :

تعرض الجرجاني لصور عديدة من التقديم اكتفينا بنماذج منها لنرى مدى مطابقة بنياتها لوظائفها ونطلع على تحليل الشيخ المؤكّد لهذه المطابقة، ومن هذه النماذج:

تقديم المسند إليه مع النفي :

تقديم المسند إليه مع النفي يؤدي وظيفة التأكيد والقوة، يقول الجرجاني: « فإذا قلت: أنت لا تحسن هذا. كان أشد لنفي إحسان ذلك عنه من أن تقول: لا تحسن هذا، ويكون الكلام في الأول مع من هو أشدّ إعجاباً بنفسه، وأعرضُ دعوى في أنه يحسن، حتى إنك لو أتيت بـ(أنت) فيما بعد (تُحسن) فقلت: لا تحسن أنت، لم يكن له تلك القوة. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ »

(المؤمنون: 59) يفيد من التأكيد من نفي الإشراك عنهم، ما لو قيل: (والذين لا يشركون برهم أو برهم لا يشركون) ⁽¹⁾. وقد يفيد تقديم المسند إليه المنفي إن ولي حرف النفي تخصيصه بالنفي بالخبر الفعلي، وإثباته للغير، قال عبد القاهر: « وقد يقدم المسند إليه ليفيد تخصيصه بالخبر الفعلي إن ولي حرف النفي. كقولك: ما أنا قلت هذا. أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك، فلا تقول ذلك إلا في شيء ثبت أنه مقول، وأنت تريد نفي كونك قائلاً له » ⁽²⁾.

ويقصد عبد القاهر بالخبر الفعلي فعل الفاعل، ويُطلق لفظ الخبر عند النحاة على المسند في الجملتين الفعلية وغير الفعلية ⁽³⁾.

تقديم المسند إليه مع الاستفهام التقريري :

للهمزة معان وظيفية عديدة زيادة على معنى الاستفهام ومن هذه المعاني التقرير (إقرار المخاطب بالفعل أو الشيء)، يقول الجرجاني: « واعلم أن هذا الذي ذكرت لك في الهمزة (وهي للاستفهام) قائم فيها، إذا هي كانت للتقرير. فإذا قلت: أ أنت فعلت ذاك. كان غرضك أن تقرّره بأنه الفاعل » ⁽⁴⁾، ويمثل لذلك بقوله (1) المرجع السابق، ص 170.

(2) الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق عبد الحميد هنداوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط2، 1425/ 2004، ص 63.

وانظر: سعد الدين التفتازاني: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت،

ط1، 2003، ص 98.

(3) انظر: عبد الجبار توأمة: المنهج الوظيفي العربي الجديد لتحديد النحو العربي، ص 296، 297.

(4) الدلائل، ص 152.

تعالى حكاية عن قول النمرود: ﴿أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِغَاهِتِنَا يَبْرَاهِيمُ﴾ (الأنبياء: 62)؛ فالكفار على علم بكسر الأصنام ولا يريدون من إبراهيم أن يقر لهم بوقوع هذا الفعل، فهم قد أشاروا له إليه في قولهم: أنت فعلت هذا؟ ولكن يريدون منه الإقرار بأنه منه كان لا من غيره، أي الإقرار بأنه الفاعل لا الإقرار بالفعل، بدليل جوابه ﷺ: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ (الأنبياء: من الآية 63)؛ فهو هنا أجاب عن الفاعل ولم يجب عن الفعل؛ إذ الفعل مقرر بهذه البنية الاستفهامية للجملة والتي كانت تابعة لوظيفة مقصودة أرادها المتحاورون ولا يؤديها إلا هذا الاستعمال.

تقديم المفعول مع النفي:

نجد دقة التعبير بأسلوب التقديم والتأخير مع النفي لأداء وظائف خاصة يختص بها تركيب دون غيره، من ذلك إفادة تقديم المفعول المنفي إثبات وقوع الفعل من طرف الفاعل المذكور على غير المفعول المذكور، يقول عبد القاهر: «إذا قلت: (ما ضربت زيدا) فقدمت الفعل، كان المعنى أنك قد نفيت أن يكون قد وقع ضرب منك على زيد، ولم تعرض في أمر غيره لنفي ولا إثبات، وتركته مبهما محتملا، وإذا قلت: (ما زيدا ضربت) فقدمت المفعول، كان المعنى على أن ضربا وقع منك على إنسان، وظن أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه، فلك أن تقول في الوجه الأول (ما ضربت زيدا ولا أحدا من الناس) وليس لك في الوجه الثاني. فإن قلت: (ما زيدا ضربت ولا أحدا من الناس) كان فاسدا»⁽¹⁾.

3- تنكير الخبر وتعريفه بـ ال:

ومن المعاني الوظيفية التي يحققها تنكير الخبر إثبات فعل لم يعلم السامع أنه كان. ومما يحققه تعريفه إثبات فعل قد علم السامع أنه كان، لكن لم يحدد ممن كان، فيفيده التعريف بفاعله. «...اعلم أنك إذا قلت: زيد منطلق. كان كلامك مع من لم يعلم أن انطلاقاً كان، لا من زيد ولا من عمرو، فأنت تفيده ذلك ابتداء. وإذا قلت: زيد المنطلق. كان كلامك مع من عرف أن انطلاقاً كان، إما من زيد وإما من عمرو فأنت تعلمه أنه كان من زيد دون غيره.»⁽²⁾ ومما تفيده (أل) في الخبر معنى الجنس وتكون للقصر في ذلك ولغرض المبالغة، كما يتضح في المثال الذي أورده الجرجاني: زيد هو الجواد وعمرو هو الشجاع، أي: الكامل في الجود أو الكامل في الشجاعة، وتوهم أن هذه الصفة لم توجد إلا فيه⁽³⁾. ومما يثبت تعريف

(1) المرجع السابق، ص 162.

(2) نفسه، ص 203.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 205.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

الخبر — ال اتصاف المبتدأ بالصفة الموجودة فيه، يقول الجرجاني « واعلم أن للخبر المعرف (بالألف واللام) معنى غير ما ذكرت لك،... وذلك قولك: هو البطل المحامي، وهو المتقى المرتجى... ولكنك تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ وهل حصلت معنى هذه الصفة؟ وكيف ينبغي أن يكون الرجل حتى يستحق أن يقال ذلك له وفيه؟ فإن كنت قلته علما وتصورته حق تصوره فعليك صاحبك واشدد به يدك فهو ضالتك وعنده بغيتك »⁽¹⁾. هذا وتتعدد الدلالات الوظيفية للبنيات اللغوية وتفرق وتزداد دقتها حسب ما يفرضه الجانب التداولي للغة، وهذا التعدد يتطلب وجوها من التراكيب تُبنى بإحكام بحسب الأغراض التي وظفت لأجلها. يقول الجرجاني: « واعلم أن من شأن الوجوه والفروق أن لا يزال يحدث بسببها وعلى حسب الأغراض والمعاني التي تقع فيها دقائق وخفايا إلى حدٍّ ونهاية »⁽²⁾.

4- القصر وبعض دلالاته :

من أمثلة دقائق القصر التي يتناولها الجرجاني التفريق بين العبارتين "زيد المنطلق" و "المنطلق زيد" ويرى أن العبارة الثانية أقوى في القصر، ذلك أن المنطلق فيها أعم، بخلاف الأولى التي ينحصر الانطلاق فيها على زيد، وكلا العبارتين يؤدي وظيفة القصر⁽³⁾. والتفريق بين "إنما" ووظائفها و"ما وإلا" واستعمالهما، فهاتان الصيغتان يرى بعض النحاة أنهما متكافئتان في حين يرى عبد القاهر أن بينهما فروقا، هي: "إنما" تتضمن نفيا بخلاف "ما وإلا"، "إنما" تجيء لخبر لا يجهله المخاطب ولا يدفع صحته أو لما يتزل هذه المترلة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ نَّحْشِهَا﴾ (النازعات:45) وأما (ما وإلا) فيأتيان في خبر ينكره المخاطب ويشك فيه، كقولك لشخص: ما أنت إلا مخطئ. وفرق ثالث هو أن (إنما) تفيد إيجاب الفعل لشيء ونفيه عن غيره، فإذا قلت: إنما جاءني زيد. تضمن ذلك أنك نفيت أن يكون الجائي غيره، فكأنك قلت: جاءني زيد لا عمرو⁽⁴⁾. وغير هذا في القصر كثير، وفي أبواب متفرقة.

ج- السعي إلى تحقيق الواقعية النفسية :

يسعى النحو الوظيفي إلى تحقيق الكفاية النفسية في إنتاج الكلام وفي فهمه، والجرجاني لا يهمل هذا الجانب فهو يركز على الواقع النفسي لناظم الكلام سواء منه ما تعلق بما يسبق الحديث؛ أي الخلفيات

(1) المرجع السابق، ص 207.

(2) نفسه، ص 288.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 210.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص 327، 334، 328.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

الفكرية والدوافع النفسية الموجهة للمتكلم، فلا يكون الكلام واقعا حتى تنتظم معانيه في نفس صاحبه، يقول الجرجاني: «وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس»⁽¹⁾. ويقول في موضع آخر: «ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»⁽²⁾، أو ما تعلق بتأثير الكلام في المستمع وتوجيه فكره أو التمكن من مشاعره ورغبات نفسه، والجرجاني ينقل لنا بتعبير دقيق مواصفات الكلام المؤثر والمحقق للواقعية النفسية، ويربط ذلك بمقامات الكلام وحالات الخطاب وأغراضه فنجد أنه يصور لنا متى يكون التمثيل [التشبيه] محققا للكفاية النفسية -فصل في مواقع التمثيل وتأثيره- بقوله: «واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أهمة، وأكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صباغة وكلفا، وقسر الطباع على أن تعطى محبة وشغفا. فإن كان مدحا كان أسمى وأفخم، وأنبل في النفوس وأعظم، وأهز للعطف، وأسرع للإلف، وأجلب للفرح، وأغلب على الممتدح، وأوجب شفاعا للمدح، وأفضى له بغرّ المواهب والمناجى وأسير على الألسن وأذكر، وأولى بأن تعلقه القلوب وأجدر. وإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه أذع، ووقعه أشد، وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أفهر، وبيانه أهر، وإن كان افتخارا كان شأوه أبعد، وشرفه أجد، ولسانه ألد. وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وعلى حسن الرجوع أبعث. وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر، وأجدر بأن يجلي الغيابة ويبيصر الغاية، ويرى العليل، ويشفي الغليل.»⁽³⁾ يهتم الجرجاني في كلامه هذا بالجانب النفسي للمتلقى، مهما كان الغرض المنشود من الكلام، ونقلنا هذا النص رغم طوله لنبين أن الجرجاني ألح على تحقيق الكفاية النفسية في الكلام، وأشار -في مواضع كثيرة- إلى أنه لا فائدة من كلام لا تتحقق فيه، وقد كان للجرجاني دور متميز في إبراز العلاقة بين صياغة الكلام وما يصحبها من عوامل نفسية توجه إنتاج الكلام، «فلا نكاد نجد في تراثنا العربي من يُعنى بجانب الصياغة إلا عبد القاهر

(1) المرجع السابق، ص 102.

(2) نفسه، ص 102.

(3) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، ص 92 وما بعدها.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

الجرجاني الذي اقترح للصياغة أربع مراحل هي: النظم والبناء والترتيب والتعليق، وإذا كان عبد القاهر قد استمد هذا الإطار الفكري من مذهب الأشاعرة في مسألة الكلام النفسي فلقد كان سابقا بعدة قرون للدراسات اللغوية النفسية الحديثة التي تتناول إنتاج النص اللغوي»⁽¹⁾.

يذهب كثير من الدارسين العرب إلى أن نظرية الإمام عبد القاهر الجرجاني اللغوية تنافس الكثير من نظريات علم اللغة الحديث، بل و تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدثها في الغرب وتفوق معظمها في مجال فهم طرق التركيب اللغوي⁽²⁾، وأنها نظرية أساسية في الاتجاه الوظيفي توضح وتكمل النظرية البنوية الوظيفية الحديثة⁽³⁾. وينتقد الدكتور إبراهيم مصطفى النحاة التالين للجرجاني في أنهم لم يزدوا على ما جاء به بل ضللوا وذلك بقوله: «فجمهور النحاة لم يزدوا به في أبحاثهم النحوية حرفا، ولا اهتموا منه بشيء، وآخرون منهم أخذوا الأمثلة التي ضربها عبد القاهر بيانا لرأيه، وتأييدا لمذهبه، وجعلوها أصول علم من علوم البلاغة سموه: (علم المعاني) وفصلوه عن النحو فصلا أزهد روح الفكرة، وذهب بنورها؛ وقد كان أبو بكر بيدئ ويعيد في أنها معاني النحو، فسموا علمهم: "المعاني"، وبتروا الاسم هذا البتر المضلل»⁽⁴⁾ وهنا نشير إلى أن الإنتاج الفكري لعبد القاهر لم يقتصر على النحو والبلاغة، بل تعداهما إلى الدراسات الأدبية والقرآنية. أخذ علماء علم المعاني عما تركه ولم يتوسعوا بل وساروا على منهجه وإن شغلوا بالتقنين والتبويب⁽⁵⁾. ولم يصل الدرس اللغوي العربي إلى ما وصل إليه مع عبد القاهر ولم يحقق ما حققه من حيث أسلوب التحليل وعمق البحث ودقة الاستقصاء⁽⁶⁾. خاصة ما تعلق بعلم النحو، والبلاغة التي «لم تكن قبله إلا أفكارا متناثرة ومنتفا متفرقة»⁽⁷⁾، كل هذا حقق لما أنتج مكانة عظيمة. ومن الدارسين المحدثين من ينتقده في عدم تفريقه بين أسلوب ترتيب الكلمات في الجمل بين الشعر و النثر في دراسته التراكيب اللغوية كما ينتقده في طريقة اختياره لشواهده، فيقول: «ولعل أهم ما يؤخذ على عبد القاهر في

(1) تمام حسان: مقدمة كتاب: روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص5.

(2) انظر: تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ص18، 19.

(3) انظر: جعفر دك الباب: الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص132، 133.

(4) إحياء النحو، ص19.

(5) انظر: محمود أحمد نخلة: لغة القرآن في جزء عم، ص460، 461.

(6) انظر: بدوي طبانة: البيان العربي، المكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1962، ص173.

(7) عبد القادر حسين: أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، القاهرة، مصر، 1975، ص402.

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

نظريته في النظم-رغم ما لها من أهمية بالغة ومن قيمة خاصة- أنه لم يفرق في علاجه لترتيب الكلمات في الجمل أو ما يطلق عليه المحدثون (*Word-order*) بين أسلوب الشعر وأسلوب النثر، وإكثاره من الأمثلة الافتراضية التي يصوغها هو من غير سند في بعض الأحيان، أو بسند من القرآن الكريم والشعر العربي دون تنبيه إلى الفرق بين أسلوب القرآن، وأسلوب الشعر، والعبارات التي يصنعها هو للتدليل على نظريته، فهذه ثلاثة مستويات لغوية، يختلف كل منها عن الآخر»⁽¹⁾.

3-3-3 آثار وظيفية الجرجاني:

حظيت نظرية الجرجاني بمكانة مرموقة بين القدامى والمحدثين وتأثروا بها إما تأثر وممن تأثروا به:

1- الزمخشري: طبق الزمخشري فكر عبد القاهر في تفسيره "الكشاف"⁽²⁾، واستفاد من جل الدقائق التي أوردها، والمطلع على هذا الكتاب يجد ذلك جلياً.

2- السكاكي: اعتمد السكاكي في تأليف كتابه "مفتاح العلوم" على "الكشاف" وعلى "الدلائل" بصفة أساسية خاصة ما تعلق بالقسم الثالث منه "علم المعاني والبيان" فهو يعتبر تلخيصاً وإعادة تصنيف لكتاب "الدلائل" غير أنه أتمم بالتقسيم الدقيق وضبط الحدود المميزة، مما أظهر على البلاغة العربية مع السكاكي صبغة التكامل والعلمية. وما دام السكاكي اعتمد في تأليف كتابه "مفتاح العلوم" على الجرجاني فلا بد وأن يكون قد دفعه إلى ذلك ميل فكري أو استقطبه منهج علمي.

3- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور: سنتعرض في الفصلين الثاني والثالث إلى شواهد كثيرة تبين تأثر الشيخ بالجرجاني وقد صرح هو نفسه بذلك⁽³⁾.

4- إبراهيم مصطفى: ذكرنا أن إبراهيم مصطفى انتقد النحاة الذين جاءوا بعد عبد القاهر في كونهم لم يأتوا بجديد، وانتقد نظرية العامل، ويعتبر من الداعين الأوائل إلى فكرة ضمّ علم المعاني للنحو، متأثراً في هذه الأخيرة بعبد القاهر⁽⁴⁾، فيما سماه معاني النحو، وذلك في قوله: «وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو وعلى الوجوه والفرق التي من شأنها أن تكون فيه...»⁽⁵⁾ يقول د. إبراهيم مصطفى:

(1) محمود نخلة: لغة القرآن في جزء عم، ص 462.

(2) انظر: عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، السعودية، (د ت)، ص 185.

(3) انظر: الفصل الثاني، ص 70، 79، 94، 117. و انظر: تفسير التحرير والتنوير: 1/293، 1/322، 1/608، 2/104.

(4) انظر: عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص 235، 239.

(5) الدلائل، ص 132.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

« ولقد آن لمذهب عبد القاهر أن يحيا وأن يكون هو سبيل البحث النحوي، فإن من العقول ما أفاق لحظّه من التفكير والتحرر، وأن الحس اللغوي أخذ ينتعش ويتذوق الأساليب ويزنها بقدرتها على رسم المعاني والتأثير بها، من بعد ما عاف الصناعات اللفظية وسئم زخارفها»⁽¹⁾.

5- د. مهدي المخزومي: يبدو أنّ د. مهدي من القائلين بوجوب ضم علم المعاني للنحو⁽²⁾، يقول: « وليست ملاحظة المناسبات القولية، والعلاقة بين المتكلمين والمخاطبين بمجديدة على الدرس النحوي، بل هي الأساس الذي ينبنى عليه تأليف الجملة: وكان لإهمال النحاة هذه الملاحظة أثر في فصل دراسة المعاني، وفي ذهاب كل فريق من الدارسين بشطر من شطري الدراسة الواحدة، وفي ظهور تعبيرات ومصطلحات مصطنعة لتقسيم دراسة واحدة لها موضوع واحد هو الجملة...»⁽³⁾، فهو بهذا يؤكد على فكرة المزج بين علم المعاني والنحو. ونجده يطبق هذه الفكرة في حديثه على أساس بناء الجملة لتؤدي الوظيفة المنوطة بها، قوله: « والجملة خاضعة لمناسبات القول، وللعلاقة بين المتكلم والمخاطب، ولا يتم التفاهم في أية لغة إلا إذا روعيت تلك المناسبات، وأخذت العلاقة بين أصحابها بنظر الاعتبار، ولن يكون الكلام مفيدا، ولا الخبر مؤديا غرضه ما لم يكن حال المخاطب ملحوظا ليقع الكلام في نفس المخاطب موقع الاكتفاء والقبول. ومن أجل هذا تكلم أصحاب علم المعاني وأسهبوا في مقتضى الحال...»⁽⁴⁾.

6- د. تمام حسان: يقول د. تمام وهو يقدم لكتابه "اللغة العربية معناها ومبناها": « ولما ظهر الاتجاه البلاغي إلى دراسة المعنى كان من طلائع كتبه "دلائل الإعجاز" و"أسرار البلاغة" للعلامة عبد القاهر الجرجاني الذي أعتزف لآرائه الذكية بقدر غير يسير من الفضل على الجزء الخاص بتناول المعنى النحوي والدلالي من هذا الكتاب حيث جرى الانتفاع أحيانا بعبارات هذا العلامة وأحيانا أخرى بإشاراته»⁽⁵⁾، ثم يقول عن دراسة المعنى بأنها « تبدو أكثر صلة بالنحو منها بالنقد الأدبي »⁽⁶⁾، وعن علم المعاني يقول: « حتى إنه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صح هذا التعبير. ولقد كانت مبادرة العلامة

(1) إحياء النحو، ص 20 .

(2) انظر: عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص 239.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص 225، 226، 228.

(4) المرجع نفسه، ص 225.

(5)، (6) اللغة العربية معناها ومبناها، ص 18.

الفصل الأول = الوظيفية في الفكر اللساني المعاصر

عبد القاهر رحمه الله بدراسة النظم وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب»⁽¹⁾. فالدكتور تمام تأثر بعبد القاهر أكثر من سابقه.

3-4 ملامح المنحى الوظيفي عند "السكاكي" (ت626 هـ):

سبق أن ذكرنا أن السكاكي كان أول من أضفى على البلاغة صبغة التقسيم العلمي وكان متأثراً في ذلك بالجرجاني المؤسس الأول للوظيفية العربية بل اعتمد عليه في كثير من آرائه المبثوثة في كتابه "مفتاح العلوم"، هذه الآراء التي لا تخلو من ملامح المنحى الوظيفي.

علاقة البنية بالوظيفة :

أ- دور المقام في توجيه بنية الخطاب :

الوظائف المقصودة بالكلام هي التي تتحكم في بنياته وللكلام ظروف تحيط بعناصره يجمعها ما يسمّى بالمقام التخاطبي وقد اشتهرت مع السكاكي مقولة (لكلّ مقام مقال) حيث وضع في المفتاح مبحثاً بهذا العنوان يتناول فيه المقام الذي يمثل أهم محددات الرسالة اللغوية ونجده يتحدث عن اختلاف وظائف الكلام ومقاماته وتبعاً لذلك بنياته اللغوية، فيقول: « لا يخفى عليك أنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التشكر يبين مقام الشكاية، ومقام التهئة يبين مقام التعزية، ومقام المدح يبين مقام الذم، ومقام الترغيب يبين مقام التهيب، ومقام الجد في جميع ذلك يبين مقام الهزل. وكذلك مقام الكلام ابتداء يغير مقام الكلام بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكلّ لبيب ، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغير مقام الكلام مع الغبي ، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر»⁽²⁾؛ فالدلالات تفرق ولكل دلالة وجه من التراكيب يختص بها، وفي هذا الشأن يقول أيضاً: « فلكل كلمة مع صاحبها مقام، ولكلّ حد ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسميه (مقتضى الحال) فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم، فحسن الكلام تجريده عن مؤكّدات الحكم، وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفاً وقوة...»⁽³⁾، وتحليل الظاهرة

(1) المرجع السابق، ص18.

(2) مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987، ص168.

(3) المرجع نفسه، ص169.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

اللغوية عند السكاكي تحليل متكامل يربط بين المعنى الصريح وهو المعنى الأصلي والمباشر للعبارة، والمعنى المستلزم مقاميا وهو غير الأصلي وغير المباشر، ويحاول أن يراعي جميع المستويات اللغوية عند التحليل، يقول د. المتوكل: « وتمتاز اقتراحات السكاكي في "مفتاحه" عن باقي ما ورد في وصف الظاهرة بأنها تتجاوز الملاحظة الصرف وتحمل أهم بذور التحليل الملائم للظاهرة، أي التحليل الذي يضبط علاقة المعنى "الصريح" بالمعنى المستلزم مقاميا ويصف آلية الانتقال من الأوّل إلى الثاني بوضع قواعد استلزامية واضحة. هذا بالإضافة إلى ميزة أخرى هي أن تفعيد السكاكي للاستلزام التخاطبي وارد مؤطرا داخل وصف لغوي شامل يطمح لتناول جميع المستويات اللغوية (أصوات، صرف، نحو، معاني، بيان...)»⁽¹⁾.

ب- ظواهر وظيفية تداولية :

1- خروج الاستفهام عن معناه الأصلي:

ينقسم الكلام عند العرب إلى قسمين: خبر وإنشاء ، والثاني عند السكاكي هو الطلب، وللطلب قسمان من المعاني الوظيفية: أصلية ومتولدة عن الأصلية. ومعاني الطلب الأصلية عند السكاكي خمسة هي: الاستفهام، والنداء ، والتمني، والأمر، والنهي. والمعاني المتولدة عن معاني الطلب الأصلية (المستلزمة مقاميا) تأتي بخروج معاني الطلب الأصلية على أصلها حين يُلزم المقام بذلك، ومنها: الإنكار والتوبيخ والزجر والتهديد... ونعني بالمقام هنا ما تستدعيه وظيفة التركيب في هذا الحال. وسنتعرض لأمثلة توضح خروج الاستفهام عن معناه الأصلي⁽²⁾:

المثال الأول: إذا قلت: "هل لي من شفيح" في مقام لا يتسع إمكان التصديق بوجود الشفيح، امتنع إجراء الاستفهام على أصله وولد بمعونة قرائن الأحوال معنى التمني.

المثال الثاني: إذا قلت لمن تراه يؤذي الأب "أتفعل هذا؟" امتنع توجه الاستفهام إلى فعل الأذى لعلمك بحاله، وتوجه إلى ما لا تعلم مما يلبسه من نحو: "أستحسن" وولد الإنكار والزجر.

المثال الثالث: وإذا قلت لمن بعث إلى مهم وأنت تراه عندك "أما ذهبت بعد"، امتنع الذهاب عن توجه الاستفهام إليه لكونه معلوم الحال، واستدعى شيئا مجهول الحال مما يلبس الذهاب، مثل: "أما يتيسر لك الذهاب" وتولد منه الاستبطاء والتحضيض .

(1) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفية، ص96.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص99، 100.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

فالسكاكي في أمثلته هذه يمتاز بدقة الوصف والتحليل، وبالقدرة التنبؤية العالية⁽¹⁾.

2- حالات المسند إليه :

لا يفصل السكاكي بين علم المعاني والنحو في حديثه عن البنيات التي توضح حالات المسند إليه المختلفة بحسب مقام الخطاب، وحال المخاطبين والوظيفة التواصلية المنوطة بهذا الخطاب، يقول في تفصيل حالات المسند إليه (ذكره، حذفه، تعريفه، تنكيهه، تقديمه، تأخير...): «...ناظرا بنور عقلك وعين بصيرتك في التصفح لمقتضيات الأحوال في إيراد المسند إليه على كيفيات مختلفة، وصور متنافية، حتى يأتي بروزه عندك لكل منزلة في معرضها... فتعرف أيما حال يقتضي طي ذكره، وأيما حال يقتضي خلاف ذلك، وأيما حال يقتضي تعرفه: مضمراً، أو علماً، أو موصولاً، أو اسم إشارة، أو معرفاً باللام، أو بالإضافة... وأيما حال يقتضي تقديمه على المسند وأيما حال يقتضي تأخير...»⁽²⁾.

3- حذف المسند إليه : يضبط السكاكي بمنطق صارم الحالات التي يتطلب فيها المقام التواصلية أن تؤدي وظيفة التواصل ببنيات يُطوى فيها ذكر المسند إليه بقوله: «أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي: إذا كان السامع مستحضراً له، عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، وإما للتخييل أن في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين، وإما لإيهام أن في تركه تطهيراً للسان عنه أو تطهيراً له عن لسانك، وإما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيل إلى الإنكار إن مست الحاجة، وإما لأن الخبر لا يصح إلا له حقيقة، كقولك: خالق لما يشاء فاعل لما يريد، أو ادعاء، وإما لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد، وإما لأغراض سوى ما ذكر، مناسبة في باب الاعتبار بحسب المقامات...»⁽³⁾.

4- قصر المسند إليه على المسند :

يذكر السكاكي الحالة الأكثر تداولاً في قصر المسند إليه على المسند ويشير في ذلك إلى الجانب التداولي في التواصل والذي يعكسه التفاعل الحاصل بين المتكلم والسامع فيقول: «وأما الحالة المقتضية لقصر المسند

(1) انظر: المرجع السابق، ص 101.

(2) مفتاح العلوم، ص 175.

(3) المرجع نفسه، ص 176.

الفصل الأول = الوظيفة في الفكر اللساني المعاصر

إليه على المسند فهي: أن يكون عند السامع حكم مشوب بصواب وخطأ، وأنت تريد تقدير صوابه ونفي خطئه مثل أن يكون عند السامع: أن زيدا متمول وجواد، فتقول له: زيد متمول لا جواد، ليعرف أن زيدا مقصور على التمول لا يتعداه إلى الجود أو تقول له: ما زيد إلا متمول، أو إنما زيد متمول»⁽¹⁾.

في هذه الظواهر الوظيفية التداولية يتبين أن السكاكي يرى بضرورة أن تكون البنيات اللغوية مهما كانت خواصها التركيبية انعكاسا لوظائفها التبليغية التي تناسب مقامات الخطاب المختلفة. وهو بهذا يجسد أهم المبادئ الوظيفية وهو المبدأ الثاني (تبعية البنية للوظيفة).

يصف الدكتور أحمد المتوكل الوظيفية عند السكاكي بالوظيفية الضعيفة على العكس مما وصف به وظيفية الجرجاني التي اعتبرها وظيفية قوية، ويعلل ذلك بكون الأول لا تشارك عنده الخصائص التداولية في تحديد التركيب وتوليده؛ أي أن الجوانب التداولية لا تحدد الخصائص التركيبية للجملة أو العبارة، وإنما تشكل تأويلات لها وبالتالي تعدّ الجوانب التداولية عنده مكونا تأويليا لا توليديا. أما الثاني فوظيفية قائمة على مبدأ أن الجوانب التداولية تحدد الخصائص الصورية للتركيب حيث تشكل الجوانب التداولية فيها مكوناً توليدياً⁽²⁾. وهنا نحاول أن نعرض قولاً للجرجاني يثبت قوة وظيفيته هذا نصه: « فإذا وجب لمعنى أن يكون أولاً في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولاً في النطق؛ فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتوابعه البلغاء فكراً في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد ترتيب المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجيء بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن ووهم يتخيل إلى من لا يوفي النظر حقه، وكيف تكون مفكراً في نظم الألفاظ وأنت لا تعقل لها أوصافاً وأحوالاً إذا عرفت أن حقها أن تنظم على وجه كذا؟»⁽³⁾. نلاحظ في كلام الجرجاني هذا أنه يرى بضرورة أن تتفاعل الخصائص التركيبية للبنيات اللغوية مع جوانبها التداولية أثناء إنتاج الكلام لا قبله ولا بعده.

(1) المرجع السابق، ص 196.

(2) انظر: اللسانيات الوظيفية، ص 35.

(3) دلائل الإعجاز، ص 104.

الفصل الثاني

نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

(التحليل في ضوء المبادئ المنهجية لنظرية النحو الوظيفي)

- 1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل
- 2- تُحدّد وظيفة اللغات الطبيعية الخصائص البنوية لهذه اللغات (تبعية البنية للوظيفة)
- 3- السّعي إلى تحقيق الكفائتين: التداولية والنفسية

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

سنعرض لنماذج من تفسير التحرير والتنوير محللة في ضوء المبادئ المنهجية في نظرية النحو الوظيفي والتي تناولناها في الفصل الأول، ونكتفي بالمبادئ التي نجد لها تطبيقاً واضحاً، وهذه المبادئ هي:

- 1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل.
- 2- تُحدّد وظيفة اللغات الخصائص البنوية لهذه اللغات (تبعية البنية للوظيفة)
- 3- السعي إلى تحقيق الكفايتين:

أ- الكفاية النفسية (*Psychological adequacy*)

ب- الكفاية التداولية (*Pragmatic adequacy*)

تعمدت أن أنقل تحليلات الشيخ ابن عاشور كما هي حرفياً مختصرة وذلك توخياً للدقة وتجنباً للتصرّف الذي قد يذهب الفكرة أو يؤدي إلى الخطأ، وقصدًا لإظهار المنحى الوظيفي للشيخ كما يقول هو في تفسيره لا كما نفهم نحن فقط. وجعلت الآية (الشاهد) المقصودة بالتفسير أولاً، ولكي لا يطول البحث بالتكرار وبتوضيحنا لكل البنيات اللغوية وعلاقتها بوظائفها أتبع الآيات المرتبة كما وردت في السورة بتفسير الشيخ ثانياً؛ لأنه يغني عن الكثير من التوضيحات، وأخيراً أضفت ما أراه مهماً.

المبدأ الأول: الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل

تتفق كل المدارس اللغوية في أن الوظيفة الأساسية للغات هي التبليغ والتواصل، وهذا المبدأ ليس بجديد ولكن المهم أن نطبقه كمقياس في تحليل تراكيب اللغة ووصف نظامها⁽¹⁾، الذي لم يأت مصادفة على هذا الشكل، وإنما روعيت فيه أسرار فنية ومغاز تركيبية وأغراض تواصلية وخاصة ما تعلق بالأساليب القرآنية من هذا النظام⁽²⁾، وكل كلام غرضه التواصل وبالتالي لا نستطيع عرض نماذج بعينها من تفسير التحرير والتنوير لتدل على هذا المبدأ. وكل النماذج التي سنعرضها في المبدأين التاليين تعبر عن التواصل ولولا اللغة لما وصلت دلالات رسائلها وما يريد المخاطب تبليغه بها.

المبدأ الثاني: تبعية البنية للوظيفة

يعد هذا المبدأ أهمّ المبادئ في نظرية النحو الوظيفي ونراه أكثر واقعية وأوسع تطبيقاً، وهو يتجلى في إظهار الكيفيات التي يتكون بها الكلام وضوابط العلاقات التي تقوم بين عناصره ليكون مفيداً في تأدية أغراض المتكلمين. وسنعرض مجموعة نماذج لبنيات مختلفة يُظهر تحليل ابن عاشور لها مدى ارتباطها بالوظيفة التواصلية التي وضعت من أجل تأديتها.

(1) انظر: عبد القادر المهيري: اللسانيات الوظيفية، ص 41.

(2) انظر: عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص 164.

1- تغير أشكال الرتب ودلالاته الوظيفية

الرتبة من أهم ما يوضح اختلاف البنيات اللغوية لاختلاف الوظائف التواصلية، والرتبة في النحو قرينة على المعنى وفي الأسلوب مؤشر أسلوبى ووسيلة إبداع واستجلاب معنى أدبي. والرتبة النحوية نوعان: محفوظة يتحتم بها أن تأتي إحدى الكلمتين أولاً، والأخرى ثانياً ولا عكس (رتبة حروف الجر مثلاً)، وهي رتبة في نظام اللغة وفي الاستعمال في الوقت نفسه، وغير محفوظة يمكن فيها لإحدى الكلمتين أن تتقدم حيناً وتتأخر حيناً آخر (رتبة الفعل من المفعول مثلاً)، وهي رتبة في النظام فقط، وقد يحكم الاستعمال بوجوب عكسها⁽¹⁾.

والتقديم والتأخير يتعلّقان بالرتب غير المحفوظة، والتقديم يكون دائماً لغرض يتعلق بالمعنى لا بالبنية الشكلية أو بموسيقى الكلام⁽²⁾، يقول الجرجاني عن باب التقديم والتأخير: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً يروّك مسمعه ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان، واعلم أن تقديم الشيء على وجهين: تقديم يقال إنه على نية التأخير... كخبر المبتدأ إذا قدمته على المبتدأ...، وتقديم لا على نية التأخير... (ضربت زيدا، وزيدٌ ضربته) لم تقدم زيدا على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان...»⁽³⁾. ونظرية النحو الوظيفي تعتبر كل بنية من البنى التي يتصور فيها التقديم والتأخير أصلية هكذا قيلت في مقام خاص بها هي وحدها لتأدية غرض محدد وموجهة لمستمع محدد ولا تعتبر محولة، فالجملتان: - زيدا قابل خالد - قابل خالد زيدا. هما بنيتان أصليتان في حين أن نظرية النحو التحويلي تعتبر الأولى مشتقة تحويلاً من الثانية⁽⁴⁾.

1-1 تقديم المسند إليه:

تتكون الجملة حسب الوظيفيين من مسند ومسند إليه، وقد اتفق النحاة والبلاغيون على أن أساس الجملة هو الإسناد ولا تكون مفيدة إلا بوجود طرفيه، وأصل المسند إليه المبتدأ أن يتقدم على خبره، أما المسند إليه الفاعل فيجوز تقديمه عند الكوفيين وبعض المحدثين وذلك لغرض إبلاغي ولتأدية وظيفة

تواصلية، منها التخصيص، كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ (الرعد: من الآية 26)؛ أي

(1) انظر: حسان تمام: البيان في روائع القرآن، ص 91.

(2) انظر: خليل عمارة: في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدة، السعودية، ط 1، 1984، ص 89، 90.

(3) دلائل الإعجاز، ص 148.

(4) انظر: أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 22.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

الله وحده هو الباسط والقادر. ومثل ذلك إذا تقدم المسند إليه وولي حرف النفي نحو: ما أنا قلت هذا . أي لم أقله مع أنه مقول، فأفاد نفي الفعل عنك وثبوته لغيرك⁽¹⁾، ومما يفيد تقديم المسند إليه على المسند الفعلي بالإضافة إلى التخصيص: تقوية الخبر أو الحكم وتحقيقهما، وتعجيل المسرة أو المساءة نحو: السفاح في دار صديقك⁽²⁾، وقصر المسند على المسند إليه والعكس. ويتبين كل هذا من خلال النماذج الآتية.

النماذج:

- 1- ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ (البقرة: من الآية 4) «وقوله (هُمْ يُوقِنُونَ) جيء بالمسند إليه مقدما على المسند الفعلي لإفادة تقوية الخبر»⁽³⁾ فالغرض الوظيفي من هذا التقديم هو تأكيد المسند إليه "هُمْ" للمسند "يُوقِنُونَ".
- 2- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: من الآية 15) «...فتقدم المسند إليه على الخبر الفعلي هنا لإفادة تقوي الحكم ثم يفيد مع ذلك قصر المسند على المسند إليه... على رأي الشيخ عبد القاهر وصاحب الكشف»⁽⁴⁾؛ أي الله العظيم سبحانه وتعالى يتولى أمرهم ويكفيهم .
- 3- ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ (البقرة: من الآية 30) «وتقدم المسند إليه على الخبر الفعلي دون حرف النفي يحتل أن يكون للتخصيص بحاصل ما دلّت عليه الجملة الاسمية من الدوام أي نحن الدائمون على التسبيح و التقديس دون هذا المخلوق والأظهر أن التقديم لمجرد التقوي نحو: هو يعطي الجزيل»⁽⁵⁾، وقد أفاد تقدم المسند إليه نحن (الملائكة) - كما هو معهود في تقديم المسند إليه الضمير خاصة - وظيفة الاعتناء؛ أي إظهار اعتنائهم بالتسبيح والتقديس ومداومتهم عليهما.
- 4- ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ﴾ (البقرة: من الآية 268) «وقدم اسم الشيطان مسندا إليه لأنّ تقديمه مؤذن بدم الحكم الذي سيق له الكلام وشؤمه لتحذير المسلمين من هذا الحكم، كما يقال في

(1) انظر: عبد القاهر الجرجاني في: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 63.

(2) انظر: التفتازاني: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، ص 97.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 241/1.

(4) المصدر نفسه، ص 293/1. وانظر: الزمخشري: تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل، وعبون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المصنف،

القاهرة، ط 2، 1977، 37/1.

(5) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 406/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

مثال علم المعاني (السفاح في دار صديقك)، ولأن في تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تقوي الحكم وتحقيقه.⁽¹⁾، تقديم الشيطان كانت له وظيفة ضمنية دون التصريح بها وهي أن هذا الاسم (الشيطان) لا يأتي معه إلا التحذير من غوايته والوعيد لمتبعيه وبالتالي عجل بذكره قبل أن يذكر سوء صنيعه.

1-2 تقديم الخبر:

يتقدم الخبر في البنية اللغوية لتحقيق الوظيفتين التواصليتين: تشويق السامع لما سيأتي بعده، وإبراز الاهتمام به، ويضيف ابن هشام دفع اللبس إذا وقع بسبب تأخيره⁽²⁾.
النماذج:

1- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّبِعُوا دِينَنَا قُلُوبُهُمْ مُّوَدِّعِينَ عَنْ آلِهَتِهِمْ وَبِأَنفُسِهِمْ مُمِيزِينَ﴾ (البقرة: 8) «وقوله (وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ...) خبر مقدم لا محالة... وقد كثر تقديم الخبر في مثل هذا التركيب لأن في تقديمه تنبيها للسامع على عجب ما سيذكر، وتشويقا لمعرفة ما يتم به الإخبار، ولو أخر لكان موقعه زائدا لحصول العلم بأن ما ذكره المتكلم لا يقع إلا من إنسان»⁽³⁾، تقديم الخبر في هذه الآية جعل له وظيفة خاصة ولو أحر لذهبت فائدته، وهو يدل على أن لكل كلمة في التركيب قيمتها في ذاتها وفي ترتيبها الخاص وما لا تحصل به الفائدة ينبغي ألا يذكر.

2- ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يِعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ (البقرة: من الآية 78) «ومنها خبر مقدم وتقديمه للتشويق إلى المسند إليه...»⁽⁴⁾؛ أي من اليهود طائفة أميون، والقارئ أو السامع لكتاب الله ينتظر ويشتاق إلى القول عنهم أو ما سيصدر في حقهم بعد تحديدهم بقوله (وَمِنْهُمْ).

3- ﴿تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: 134) «وتقديم المسندين على المسند إليهما في (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلكُمْ مَا كَسَبْتُمْ) لقصر المسند إليه على المسند؛ أي ما كسبت الأمة لا يتجاوزها إلى غيرها وما كسبت لا يتجاوزكم، وهو قصر إضافي لقلب اعتقاد المخاطبين فإنهم لغرورهم يزعمون أن ما كان لأسلافهم من الفضائل يزيل ما ارتكبه هم من

(1) المصدر السابق، 59/3.

(2) انظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، وضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 117/1.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 259/1، 260.

(4) المصدر نفسه، 573/1.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

المعاصي أو يحملهم عنهم أسلافهم»⁽¹⁾. راعى الشيخ ابن عاشور هنا في تحليله ملاسبات الخطاب وحال المخاطبين، وهذا النص لا يفهم معناه الأصلي إلا بمراعاة ذلك، فقلّب اعتقاد المخاطبين وهو الوظيفة الأساسية لهذه الآية حققتها هذه البنية بالذات والتي جاءت على صورة القصر الإضافي.

4- ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ^ط﴾ (البقرة: من الآية 226) «وتقديم "لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ" على

المبتدأ المسند إليه، وهو "تَرَبُّصُ" للاهتمام بهذه التوسعة التي وسع الله على الأزواج، وتشويق لذكر المسند إليه»⁽²⁾، حكم التربص هذا - (الانتظار الذي لا يترتب عليه إثم حتى إنهاء مدة أربعة أشهر) - قد يكون فرجا طالما انتظره هؤلاء خاصة منهم الذين يسعون إلى رضا الله والتوبة من الذنب، فبمجرد ذكر اسمهم مسبوقا بلام الملكية تشرّب أعناقهم سماعا لما سيصدر من المولى عزّ وجل من حكم في حقهم، وهذا الفهم أحالتنا عليه رتبة الخبر.

1-3 تقديم المجرور:

تقدّم المجرور على المتعلق به معنويا يحصل فائدة الاهتمام به أو قصره عليه أو لتخصيصه. وقد يكون لدفع اللبس عن المعنى.

النماذج:

1- ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ^ط﴾ (البقرة: من الآية 3) «تقديم المجرور المعمول على عامله وهو ينفقون لمجرد

الاهتمام بالرزق في عرف الناس فيكون في التقديم إيذان بأنهم ينفقون مع ما للرزق من المعزة على النفس...»⁽³⁾، وقد يكون في هذا التقديم إشارة إلى أن ما ينفقونه هو من رزق الله، وهو الذي أعطاه لهم ابتداء . ولهذا كانت رتبة الرزق قبل رتبة إنفاقه لتؤدّي كل هذه الدلالات.

2- ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً^ط وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ^ط﴾ (البقرة: 138) «...وفي تقديم

الجار والمجرور على عامله في قوله (لَهُ عَبِيدُونَ) إفادة قصر إضافي على النصارى الذين اصطبغوا بالمعبودية

(1) المصدر السابق، 735/1.

(2) نفسه، 385/2.

(3) نفسه، 236/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

لكنّهم عبدوا المسيح»⁽¹⁾؛ أي لم يعبدوه النصراني بل عبده المسلمون الذين صبغوا أنفسهم وأهليهم بصبغة الإسلام⁽²⁾.

3- ﴿وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَخَنُّ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ (البقرة: من الآية 139) «وتقديم المجرور في (لَنَا أَعْمَلُنَا) للاختصاص أي لنا أعمالنا لا أعمالكم»⁽³⁾؛ أي أعمالنا الخاصة التي فيها إخلاص للعبادة لا أعمالكم المشوبة بالشرك.

4- ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ (البقرة: من الآية 255) «وما تضمنه تقديم المجرور من قصر ذلك الملك عليه تعالى قصر قلب»⁽⁴⁾، بتقديم المجرور ردّ الله تعالى عمن يعتقدون أن الملك فيه شركاء .

1-4 تقديم المفعول به :

تمّ وظيفة الجملة بتكامل كل عناصرها، ويعد المفعول به في الجملة المتعدية الهدف أو نتيجة الحدث وهو أهم من الحدث⁽⁵⁾، وتقدم المفعول به تحكمه الوظيفة التداولية ففي الجملتين:

أ- قابل عمرو هنداً ب- هنداً قابل عمرو

فالجملة (أ) جواب لاستفهام، والجملة (ب) تعيين للمعلومة الواردة⁽⁶⁾، فالوظيفة هي التي حددت رتبة المفعول ونمط البنيتين.

يفسر ابن جني الدوافع النفسية والبيانية التي تقف وراء تقديم المفعول به. ويذكر منها: العناية، وذلك بتقديمه على الفاعل، نحو: ضرب عمرا زيد. وزيادة العناية وذلك بتقديمه على الفعل والفاعل نحو: عمرا ضرب زيد. والتظاهر بالعناية به وحينها يعقدونه رب الجملة، ويتجاوزون به حد الفضلة نحو: عمرو ضربه زيد. و عمرو ضرب زيد...⁽⁷⁾.

(1) المصدر السابق، 745/1.

(2) انظر: محمد سليمان الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط 5، 1994، ص 26.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 746/1.

(4) المصدر نفسه، 20/3.

(5) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 79.

(6) انظر: أحمد المتوكل: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، ص 15.

(7) انظر: الفصل الأول، ص 51.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

ويقول القرطبي عن تقديم المفعول به في الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: 5) :
 «... إن قيل: لِمَ قدم المفعول على الفعل؟ قيل له: اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم. يذكر أن أعرابيا سبّ آخر فأعرض المسبوب عنه، فقال له الساب: إياك أعني، فقال له الآخر: وعنك أعرض، فقدا الأهم. وأيضا لئلا يتقدم ذكر العبد والعبادة على المعبود، فلا يجوز نعبدك ونستعينك، ولا نعبد إياك ونستعين إياك...»⁽¹⁾. تؤدي البنية التي يتقدم فيها المفعول به بالإضافة إلى وظيفة العناية والاهتمام وظائف الحصر، والقصر، والتفصيل، ورد الخطأ في التعيين كقولك لمن اعتقد أنك عرفت إنسانا غير زيد: زيدا عرفت. ويوضح هذا تحليل الشيخ ابن عاشور للنماذج الآتية:
 النماذج:

1- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة: من الآية 40) «فتقدم المفعول هنا متعين للاختصاص ليحصل من الجملة إثبات ونفي واختير من طرق القصر طريق التقديم دون ما وإلا ليكون الحاصل بالمنطوق هو الأمر برهبة الله تعالى، ويكون النهي عن رهبة غيره حاصلا بالمفهوم إذا رهبوا الله تعالى حرصوا على الإيفاء بالعهد، ولما كانت رهبتهم أحبارهم تمنعهم من الإيفاء بالعهد أدمج النهي عن رهبة غير الله مع الأمر برهبة الله تعالى في صيغة واحدة... وتقدم المفعول مع اشتغال فعله بضميره أكد في إفادة التقديم الحصر من تقديم المفعول على الفعل غير المشتغل بضميره، فإيائي ارهبون أكد من نحو إيائي ارهبوا كما أشار إليه صاحب الكشف»⁽²⁾؛ فالتقديم في (وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ) اشتمل على إثبات الخشية لله وحده، والنهي عن خشية غيره.

2- ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 57) «وقوله (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) قدم فيه المفعول للقصر وقد حصل القصر أولا بمجرد الجمع بين النفي والإثبات ثم أكد بالتقديم لأنّ حالهم كحال من ينكي غيره كما قيل يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدوّ بعده»⁽³⁾؛ أي اقتصر ظلمهم على أنفسهم، والله أعزّ من أن يظلم.

(1) انظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، مكتبة رحاب، الجزائر، ط 4، 1410/1990، 1/192.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/454. وانظر: الزمخشري: تفسير الكشاف، 1/65.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/512.

3- ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: من الآية 87) «وتقديم المفعول هنا لما فيه من الدلالة على التفصيل فإنا سب أن يقدم ليدل على ذلك»⁽¹⁾، جاء التقديم هنا لتفصيل القول فيما حدث للمفعول به (فَرِيقًا) في الجملتين.

2- الحذف والذكر في الكلام ودلالاتهما الوظيفية

2-1 الحذف: يعتبر الحذف من أبرز الأساليب البلاغية التي تحقق للتراكيب وظائف دقيقة وعجيبة، وعنه يقول الجرجاني: «هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبْنِ، وهذه جملة قد تنكرها حتى تخبر، وتدفعها حتى تنظر»⁽²⁾.

واللغويون الأوائل يعدون الموقف الكلامي بظروفه كلاً واحداً فيقبلون بحذف عنصر أو أكثر من الكلام إذا وجد ما يدل عليه في سياق هذا الكلام، تقول العرب: (اللهم ضبعا وذئبا) في الدعاء على غنم أحدهم. ولا يخفى عليهم معناها، وإذا سألتهم ما يعنون قالوا: اللهم اجمع أو اجعل فيها ضبعا وذئبا. وكلهم يفسر ما ينوي⁽³⁾، وقد اعتبر ابن جني الحذف مما يدل على شجاعة العربية، ويرى أنه يمس كل عناصر التركيب حتى الحركة، لا مصادفة ولكن عن دليل حالي (المقام) أو مقالي (السياق)، يقول: «قد حذفت العرب الجملة والمفرد و الحرف و الحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته»⁽⁴⁾، والحذف اختصار للكلام لعلم المخاطب بما أريد به والعرب تحب الإيجاز وقد كثر الحذف في كل الكلام العربي البليغ «والمحذوفات في كتاب الله تعالى لعلم المخاطبين بها كثيرة جدا، وهي إذا أظهرت تم بها الكلام، وحذفها أوجز وأبلغ»⁽⁵⁾، بقي أن نشير هنا إلى أن هناك من المحدثين من يرى أن كثيرا مما اعتبره علماء اللغة من الحذف هو ليس بحذف، وذلك برفضه ضرورة مطابقة أطراف التركيب اللغوي (المسند والمسند إليه) لأطراف القضية المنطقية (الموضوع والمحمول). فلا يلزم عنده أن تتكوّن الجملة

(1) المصدر السابق، 598/1.

(2) الدلائل، ص 177.

(3) انظر: سيبويه: الكتاب، 254/1، 255.

(4) الخصائص، 360/2.

(5) ابن مضاء القرطبي: كتاب الرد على النحاة، دار المعارف، بمصر، ط3، (د ت)، ص 79.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

من مسند ومسند إليه، فهناك جمل إسنادية تتكون من ركن واحد مسند أو مسند إليه فقط ويستدل لذلك على أن الحالات التي رصدها اللغويون لحذف أحدهما دليل على عدم ضرورة وجودهما معا ليقابلا ركني القضية المنطقية⁽¹⁾، نشير هنا إلى أن جمهور النحاة قد اتفقوا على أن المسند إليه هو المحكوم عليه والمسند هو المحكوم به⁽²⁾. وللحذف في تراكيب اللغة وظائف دلالية هامة لولاه ما حققها التركيب نتعرض لشيء منها فيما اخترناه من تحليل وظيفي لابن عاشور لبعض تراكيب القرآن العظيم.

أ- حذف المسند إليه:

حذفت العرب المسند إليه المبتدأ «ومن المواضع التي يكثر فيها حذف المبتدأ: القطع والاستئناف؛ يبدأون بذكر الرجل ويقدمون بعض أمره، ثم يدعون الكلام الأول ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ»⁽³⁾، ولحذف المسند إليه أغراض منها: الاختصار والاحتراز عن العبث والسّام، تلبية غرض تشوق السائل بذكر ما يسأل عنه مباشرة كما هو في جواب الاستفهام أو بعد القول...، ضيق المقام عن إطالة الكلام لغم أو لتوجّع، نحو قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾⁽⁴⁾ (يوسف: من الآية 18) أي: فصبري صبر جميل، أو أمري⁽⁵⁾. صونه عن الذكر تعظيما له وتشريفا⁽⁶⁾، كما في الآيات: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾⁽⁷⁾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ (الشعراء: 23-28) أضمر موسى ﷺ اسم الله تعالى في إجابته عن أسئلة فرعون في ثلاثة مواضع قبل كلمة "رب" تشريفا له⁽⁸⁾،

(1) انظر: عبد الرحمن أيوب: دراسات نقدية في النحو العربي، مطبعة نجيم، القاهرة، 1957، ص 158، 159.

(2) انظر: عبد الجبار توأمة: القرائن المعنوية في النحو العربي، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، إشراف:

فرحات عياش، (1994-1995)، ص 44.

(3) الدلائل، ص 178.

(4) انظر: ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، ط 1، 2004، 776/2.

(5) انظر: طاهر سليمان حمودة: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1999، ص 106.

(6) انظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط 1، 2003، 378/2.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

صون اللسان عن ذكره تحقيراً له كما في الآية: ﴿صُمُّ بُكْمٌ﴾ (البقرة: من الآية 18)؛ أي هم أو المنافقون⁽¹⁾،

تعجيل المسرة بذكر المسند، نحو: كتابي، مالي⁽²⁾. كون المسند لا يصلح إلا له كقوله تعالى: ﴿تُولَجُ

أَلِيلٌ فِي النَّهَارِ وَتُولَجُ النَّهَارُ فِي أَلِيلٍ﴾ (آل عمران: من الآية 27)، والمراد الله سبحانه وتعالى. اختبار تنبه السامع له عند القرينة، لتخييل أن في تركه شهادة العقل، نحو:

قال لي: كيف أنت قلت: عليلٌ سهر دائم وحزن طويل

لم يقل: أنا عليل، لدلالة اللفظ والعقل عليه⁽³⁾، وهناك أغراض أخرى لحذف المسند إليه بين الشيخ ابن عاشور بعضها فيما يأتي:

النماذج:

1- ﴿صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة: 18) «... وحذف المسند إليه في هذا المقام استعمال

شائع عند العرب إذا ذكروا موصوفاً بأوصاف أو أخبار جعلوه كأنه قد عرف للسامع»⁽⁴⁾، يقصد بهؤلاء المنافقين الذين رجعوا عن نور الإسلام إلى ظلمة الكفر، وهم معروفون فعجل الله بذكر صفاتهم واستغنى عن ذكرهم لربما ليعجل بطمأننة قلوب المؤمنين بوصفهم بهذا الوصف.

2- ﴿أَلْحَقْ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة: 147) «خبر مبتدأ محذوف تقديره هذا

الحق، وحذف المسند إليه في مثل هذا مما جرى على متابعة الاستعمال في حذف المسند إليه بعد جريان ما يدل عليه»⁽⁵⁾؛ أي من ربك لا مما يخبرك به أهل الكتاب. وحذفه لدفع السأم لوجود ما يدل عليه.

3- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: من الآية 185) «... فقوله: شهر رمضان خبر مبتدأ محذوف

تقديره هي؛ أي الأيام المعدودات شهر رمضان والجملة مستأنفة بياناً، لأن قوله (أياماً معدودات) يثير سؤال السامع عن تعيين هذه الأيام، ويؤيد ذلك قراءة مجاهد شهراً بالنصب على البدلية من أياماً: بدل

(1) انظر: المرجع السابق، 378/2.

(2) انظر: الحمصي: مباحث في علم المعاني، ص 54. نشير هنا إلى أنه قد يختلط الأمر كون المحذوف هو المبتدأ أم الخبر، فالأولى هو أن يكون الخبر.

وانظر: السيوطي: الأشباه والنظائر في النحو، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2001، 52/2.

(3) انظر: التفتازاني: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، ص 69. وانظر: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 42.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 313/1.

(5) المصدر نفسه، 41/2.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

تفصيل... وحذف المسند إليه جار على طريقة الاستعمال في المسند إليه إذا تقدم من الكلام ما فيه تفصيل وتبيين لأحوال المسند إليه فهم يحذفون ضميره⁽¹⁾، وحذف المسند إليه هنا للتعجيل بالإجابة عن من يريدون تحديد الأيام المعدودات في الآية السابقة. نشير هنا إلى أن "شَهْرٌ" تحتمل أن تكون مبتدأ لخبر محذوف⁽²⁾.

ب- حذف المفعول به :

يشيع حذف المفعول في كلام العرب، ويتعمدون تناسيه⁽³⁾. وحذفه من البنية اللغوية لتأدية وظائف منها:
- إثبات حصول الفعل من الفاعل أو نفيه عنه على وجه الإطلاق، نحو: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الزمر: من الآية 9) .

- الاستغناء عنه بتقدم ذكره أو تقدم ما يدل عليه، نحو: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ عِنْدَهُ أُمَّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: 39)، حذف مفعول يُثَبِّتُ وهو: ما يشاء .

- توخي الإيجاز اعتمادا على اختصاص الفعل بالمفعول، نحو: أصغيت إليه. أي أذني.
- تفخيم المعنى بإيهام قرب الفعل من المفعول، نحو: قول البحري⁽⁴⁾:

شَجُوْ حُسَّادِهِ وَغِيْظُ عِدَائِهِ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعُ وَاعٍ
بمعنى أن يرى مبصرٌ محاسنه ويسمع واع أخباره.

- الاحتراز من إيهام خلاف المراد، نحو قول عمرو بن معدي كرب⁽⁵⁾:

فَلَوْ أَنَّ قَوْمِي أَنْطَقْتَنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ وَلَكِنَّ الرِّمَاحَ أَجَرَّتْ

يريد الشاعر إثبات أن الرماح أجرت لا أجرته، ولو عدى الفعل (أجرتني) لفهم أنها أجرته وهو غير مراده.

- البيان بعد الإيهام أو الإضمار على شريطة التفسير، نحو: ﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل: من الآية 9). أي ولو شاء هدايتكم .

- استهجان التصريح بذكر المفعول به .

(1) المصدر السابق، 169/2.

(2) انظر: العكبري: التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجليل، بيروت، ط2، 1987، 151/1.

(3) انظر: ابن يعيش: شرح المفصل، وضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001، 418/1.

(4)، (5) انظر: الدلائل، ص186.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

– الاحتراز من مواجهة المخاطب بما لا يليق، نحو قول البحتري⁽¹⁾:

قَدْ طَلَبْنَا فَلَمْ نَجِدْ لَكَ فِي السُّؤِّ دُودَ وَالْمُحَدِّ وَالْمَكَارِمِ مَثَلًا

بمعنى: قد طلبنا مثلاً. والمادح ينفي وجود المثل للممدوح، فكيف يقول بطلب المثل، ولهذا حذف.

– تعيين المفعول به حقيقة أو ادعاء، نحو: قضيت ليلتي أسبَحَ وأعْبُدُ. فلا يسبح ولا يعبد إلا الله.

النماذج:

1- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ﴾ (البقرة: من الآية 13) «وحذف

مفعول آمِنُوا استغناء عنه بالتشبيه في قوله (كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ) أو لأنه معلوم للسامعين»⁽²⁾. تحقيقاً

للخفة حذف المفعول لوجود ما يدل عليه، ولعلم المخاطبين بما يؤمنون.

2- ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية 20)

«مفعول شاء محذوف لدلالة الجواب عليه وذلك شأن فعل المشيئة والإرادة ونحوهما إذا وقع متصلاً بما

يصلح لأن يدل على مفعوله مثل وقوعه صلة لموصول يحتاج إلى خبر نحو ما شاء الله كان، أي ما شاء

كونه كان، ومثل وقوعه شرطاً للظهور أن الجواب هو دليل المفعول وكذلك إذا كان في الكلام

السابق قبل فعل المشيئة ما يدل على مفعول الفعل نحو قوله تعالى: ﴿سَنَقْرَأُكَ فَلَا تَنْسَى﴾⁽³⁾ إِلَّا مَا

شَاءَ اللَّهُ⁽⁴⁾ (الأعلى: من الآية 6، 7)، قال الشيخ في دلائل الإعجاز: إن البلاغة في أن يجاء به كذلك محذوفاً وقد

يتفق في بعضه أن يكون إظهار المفعول هو الأحسن»⁽³⁾. حذف المفعول هنا يكون أكثر تأثيراً في نفس

المستمع، وهذه إحدى أهم الوظائف التداولية التي يحققها التركيب البليغ.

3- ﴿وَاللَّهُ تَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (البقرة: من الآية 105) «ومفعول

المشيئة محذوف كما هو الشأن فيه إذا تقدم عليه كلام أو تأخر عنه أي من يشاء اختصاصه بالرحمة»⁽⁴⁾.

4- ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 22) «ومفعول تعلمون متروك لأن الفعل

(1) انظر: الحمصي: مباحث في علم المعاني، ص 227.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 286/1.

(3) المصدر نفسه، 321/1، 322.

(4) نفسه، 653/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

لم يقصد تعليقه بمفعول بل قصد إثباته لفاعله فقط فتزل الفعل منزلة اللازم»⁽¹⁾. قصد بالبنية اللغوية **تَعْلَمُونَ** - حسب المفسر - تحقق العلم ذاته لا إظهار طبيعة هذا العلم بذكر المفعول به ولهذا حذف.

5- ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة: من

الآية 58) « وقوله: (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) وعد بالزيادة من خيري الدنيا والآخرة ولذلك حذف مفعول نزيد »⁽²⁾. حذف المفعول به الثاني للفعل **سَنَزِيدُ** أدى وظيفة عدم حصر الزيادة وتحديدتها.

6- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 103)

«... وحذف مفعول **يَعْلَمُونَ** لدلالة (لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ)؛ أي لو كانوا يعلمون مثوبة الله لما اشتروا السحر»⁽³⁾. للاحتراز عن السأم والتكرار حذف المفعول.

7- ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّلْكُوهُ وَشَرِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية 223)

« وحذف مفعول **قَدِّمُوا** اختصاراً لظهوره؛ لأن التقديم هنا إعداد الحسنات فإنها بمنزلة الثقل الذي يقدمه المسافر»⁽⁴⁾، حذف المفعول يؤكد أن أفعال البر لا يمكن تعدادها وحصرها، وكل خير مهما صغر هو تقديم ليوم الملاقاة.

8- ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 282) «وقوله تعالى (وَإِنْ

تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ) حذف مفعول تفعلوا وهو معلوم، لأنه الإضرار المستفاد من لا يضار»⁽⁵⁾، بمعنى : تفعلوا الضرر. وحذف للإيجاز والتخفيف .

ج- حذف متعلق الفعل: قد يحذف متعلق الفعل لإفادة العموم وعدم التحديد، كما في النموذجين الآتين:

(1) المصدر السابق، 1/ 335.

(2) نفسه، 1/ 516.

(3) نفسه، ص 1/ 650.

(4) نفسه، 2/ 374.

(5) نفسه، 3/ 118.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

النموذجان:

- 1- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11) « ولعل المنافقين قد أخذوا من ضروب الإفساد بالجميع، فلذلك حذف متعلق تفسدوا تأكيداً للعموم المستفاد من وقوع الفعل في حيز النفي »⁽¹⁾، ولم يكن لهم إفساد واحد حتى يحدّد.
- 2- ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ (البقرة: من الآية 282) « والذي يظهر أن حذف المتعلق بفعل (دُعُوا) لإفادة شمول ما يُدْعَوْنَ لأجله في التعاقد: من تحمل، عند قصد الإشهاد، ومن أداء، عند الاحتياج إلى البينة »⁽²⁾؛ أي إذا دُعُوا لكل ما له علاقة بالإشهاد .

د- صور من الحذف:

حذف الكلمة المفردة :

تُحذف العرب المفردة إن دل الحال أو المقال أو التأدية الحركية (حركة اليدين، ملامح الوجه) أو الصوتية (النبر والتنغيم) عليها للإيجاز والتخفيف، ولما في ذلك من قوة التأثير، ويكون الحذف حينها أبلغ من الذكر، ومما شاع حذفه في كلام العرب الصفة، يقول أبو الفتح وهو يتكلم عن حذف الاسم: « وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها، وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل. وهم يريدون: ليل طويل. وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها. وذلك أنك تحسّ في كلام القائل لذلك من التطويح والتطريح والتفخيم والتعظيم ما يقوم مقام قوله: طويل أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملتته. وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ"الله" هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام، وإطالة الصوت بها وعليها، أي رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك. وكذلك تقول: سألناه فوجدناه إنساناً! وتمكّن الصوت بإنسان وتفخمه وتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنساناً سمحاً أو جواداً أو نحو ذلك. وكذلك إن ذمته ووصفته بالضيق قلت: سألناه وكان إنساناً! وتزوي وجهك وتقطبه فيغني ذلك عن قولك: إنساناً لثيماً أو لحزاً أو مبخلاً أو نحو ذلك »⁽³⁾.

(1) المصدر السابق ، 285/1.

(2) نفسه، 113/3.

(3) الخصائص، 370/2، 371.

النماذج:

1- ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: من الآية 88) «وَقَلِيلًا صِفَةً مَحذُوفٌ دَلَّ عَلَيْهِ الْفِعْلُ وَالتَّقْدِيرُ فَيَأْمَنَانَا قَلِيلًا وَمَا زَائِدَةٌ لِلْمَبَالِغَةِ فِي التَّقْلِيلِ»⁽¹⁾، الحذف هنا للإيجاز، ولدفع السأم.

2- ﴿وَمَا أَوْتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 136) «وَقَدْ دَلَّتْ كَلِمَةُ (يُن) عَلَى مَحذُوفٍ تَقْدِيرِهِ وَآخِرُ لَأَنَّ بَيْنَ تَقْتَضِي شَيْئَيْنِ فَأَكْثَرُ»⁽²⁾، تم الحذف لوجود الدليل على المحذوف، بغية الإيجاز.

3- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 165)، «فَالْفَاعِلُ الْمَحذُوفُ حَذَفَ هُنَا لِقَصْدِ التَّعْمِيمِ أَيْ كَيْفَمَا قَدَرْتَ حُبَّ مَحَبِّ اللَّهِ...»⁽³⁾.

حذف الجمل:

لم ينكر أهل العربية الحذف بكل أشكاله ما إن أُوْتِمِنَ اللبس، وله شواهد كثيرة في القرآن وفي كلام العرب ومن شواهد في القرآن ما ذهب إليه عبد القاهر من أن كلمة (الْحَنُّ) في الآية الكريمة: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْحَنِّ﴾ (الأَنْعَامُ: من الآية 100)، «مَنْصُوبَةٌ بِمَحذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ سَوْءَالُ مُقَدَّرٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ بَعْدَ كَلِمَةِ (شُرَكَاءَ): فَمَنْ جَعَلُوا شُرَكَاءَ لِلَّهِ تَعَالَى؟ قِيلَ: الْحَنُّ؛ أَيْ جَعَلُوا الْحَنَّ»⁽⁴⁾، نلاحظ هنا أنها حذفت جملة: جعلوا. ويذكر ابن هشام خمسة مواضع يحذف فيها الكلام بجملته⁽⁵⁾.

النماذج:

1- ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 30) «لَا حَاجَةَ هُنَا لِتَقْدِيرٍ وَمَا تَعْلَمُونَ بَعْدَ مَا لَا تَعْلَمُونَ لِأَنَّهُ مَعْرُوفٌ لِّكُلِّ سَامِعٍ، وَلِأَنَّ الْغَرَضَ لَمْ يَتَعَلَّقْ بِذِكْرِهِ وَإِنَّمَا تَعَلَّقَ بِذِكْرِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِمَا شَذَّ عَنْهُمْ»⁽⁶⁾، حذفت جملة (وما تعلمون) للتركيز على أن الله تعالى بكل شيء عليم.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 600/1.

(2) المصدر نفسه، 740/1.

(3) نفسه، 91/2.

(4) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص 181.

(5) مغني اللبيب عن كتب الأعراب، 814/2.

(6) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 407/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

2- ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: ٧٣)

73 « وقوله (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) الإشارة إلى محذوف للإيجاز أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله أي كذلك الإحياء يحيي الله الموتى »⁽¹⁾.

3- ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ﴾ (البقرة: من الآية 111) « كانت أو تعبيراً عن

المحذوف بأقل عبارة فينبغي أن يعدّ قسماً ثالثاً من أقسام الإيجاز وهو إيجاز حذف وقصر معاً.⁽²⁾، وهذا الإيجاز من ضمن ما يسمّى عند اللغويين المحدثين بالاعتقاد اللغوي.

2-2 الذكر:

الذكر هو الأصل ولا يعدل عنه إلا لغرض تأدية وظيفة تواصلية ويعتمد فيه على دلالة اللفظ الظاهر بخلاف الحذف الذي يعتمد فيه على دلالة العقل. والحالات التي تقتضي ذكر المسند إليه هي: إذا كان لا مقتضى لحذفه أو كان ذكره أحوط أو أريد به التنبيه على غباوة السامع أو زيادة الإيضاح والتقرير أو إظهار تعظيمه أو إهانته أو التبرك بذكره أو استلذاذه أو بسط الكلام حيث الإصغاء مطلوب⁽³⁾. ولا يقتصر الذكر على المسند إليه، بل تذكر كل الكلمات في مواضع يفترض فيها الحذف، ومنها ما تعرض إليه الشيخ ابن عاشور في تفسيره لسورة البقرة ومنه النموذجان الآتيان.

النموذجان:

1- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (البقرة: من الآية 59) «وإنما جاء بالظاهر في موضع المضمّر في قوله: (فَأَنْزَلْنَا

عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا) ولم يقل عليهم لئلا يتوهّم أن الرجز عمّ جميع بني إسرائيل»⁽⁴⁾. وإنما خص الذين بدلوا القول "العشرة"، فالذكر هنا كانت له وظيفة تخصيص الذين بدلوا القول من بني إسرائيل بإنزال الرجز عليهم .

(1) المصدر السابق، 561/1.

(2) نفسه، 673/1.

(3) انظر: التفਤازي: مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، ص 70، 71.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 516/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

2- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية 217) « وقوله: (قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ) إظهار لفظ القتال في مقام الإضمار ليكون الجواب صريحاً حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ. »⁽¹⁾، وظيفة الذكر هنا إزالة اللبس والدقة في الجواب.

3- الفصل والوصل في الكلام ودلالتهما الوظيفية

يهننا من الفصل والوصل ما يتعلق بالجملة لا ما يتعلق بالمفردات.

3-1 الفصل:

الفصل هو ترك عطف الجمل بعضها على بعض. والفصل هو الاستئناف، ونجده بين الجمل التي حالها مع التي قبلها حال الصفة مع الموصوف والتأكيد مع المؤكّد، كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا

إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف: من الآية 31)، كما يكون بين الجمل التي حالها مع ما قبلها حال الاسمين المتغايرين في الحكم، بحيث لا تقوم بينهما أي صلة معنوية⁽²⁾، « ومما يتعين فيه الفصل أن يوهم العطف وصلاً في الكلام غير المقصود على نحو ما تصور ذلك الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ

إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ﴾ (الله يستهزئ بهم) (البقرة: من الآيتين 14، 15)؛ فإنه لم تُوصل جملة لفظ الجلالة بما قبلها حتى لا تدخل فيه فيظن أن استهزاء الله بهم إنما يكون حين يخلون إلى شياطينهم، بل هو استهزاء متصل... لأنّ العبارة كأنها إجابة عن سؤال مقدر كأن السامعين حين عرفوا كلامهم تساءلوا عن مصيرهم وما يصنع الله بهم »⁽³⁾، وهناك قاعدة عامة يضعها عبد القاهر مفادها أنه إذا جاءت الجملة بعقب ما يقتضي سؤالاً فصلت عنه، وعلى هذا الأساس قسم علماء البلاغة الفصل (الاستئناف) إلى ثلاثة أضرب، وذلك بحسب السؤال الذي تتضمنه الجملة الأولى:

1) إما أن يكون السؤال عن سبب مطلق للحكم، وذلك إذا كان السامع يجهل السبب من أصله، ومنه قول الشاعر: قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق ، 325/2.

(2) انظر: دلائل الإعجاز، ص 254.

(3) شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص 178، 179.

(4) انظر: الدلائل، ص 250.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

الاستئناف في جملة: سهر... السؤال هو: ما بالك عليلاً؟ فكان الجواب: سهر دائم .

(2) وإما أن يكون عن سبب خاص؛ من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي^ج إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

بِالسُّوءِ﴾ (يوسف: من الآية 53)؛ كأنه قيل: هل النفس أمارة بالسوء؟ فقيل: إن النفس لأمارة بالسوء⁽¹⁾.

(3) السؤال عن غير السبب سواء كان عاماً أو خاصاً؛ كقوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا

قَالَ سَلَامٌ﴾ (الذاريات: من الآية 25)؛ وكأثماً قيل ماذا قال إبراهيم؟ فقيل سلام.

وللفصل البلاغي في البنيات اللغوية وظائف تواصلية إبلاغية تختلف حسب مقامات الكلام وظروف الخطاب، « ذلك بأن الفصل البلاغي ينمّ دائماً عن موقف انفعال قد يكون خوفاً أو غضباً أو استعجالاً أو استغراباً أو تعجباً، وغير ذلك من هذا النوع من المواقف الجدية»⁽²⁾.

وسائل الفصل كثيرة ومنها⁽³⁾: طرح الواو وهو المشهور، واو الاستئناف، الفاء، ثم، أم المنقطعة، بل، ضمير الفصل، الجملة المعترضة، الاستثناء المنقطع. ومن وظائفه التواصلية: الإيجاز، تثبيت المعنى وتوكيده، إيضاح المعنى وبيانه، التفصيل بعد الإجمال، الإجابة عن سؤال مقدر (الاستئناف). والاستئناف يكون لإزالة الغموض، وللتعليل، وللتعجب، وللتوكيد، ولبيان السبب. وفيما يلي نعرض نماذج من تفسير الشيخ ابن عاشور توضح بعض هذه الوظائف، وغيرها.

النماذج:

1- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ (البقرة: من الآية 16) « وفصلت الجملة عن التي قبلها لتفيد

تقرير معنى (ويعدهم في...) فمضمونها بمترلة التوكيد، وذلك مما يقتضي الفصل، ولتفيد تعليل مضمون جملة (ويعدهم...) فتكون استئنافاً بيانياً لسائل عن العلة، وهي أيضاً فذلّة للجمل السابقة الشارحة لأحوالهم»⁽⁴⁾. وظيفة الاستئناف في الآية توكيد وتعليل ما ورد في الآية السابقة وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ

يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾ (البقرة: 15)، دون استعمال أي وسيلة أخرى للتوكيد.

(1) انظر: القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 146.

(2) حسان تمام: البيان في روائع القرآن، ص 179، 180.

(3) انظر: منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1983، ص 39، 40.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 297/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

2- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ

أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَافِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ (البقرة: من الآية 114)

« وقوله (لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) استئناف ثان ولم يعطف على ما قبله ليكون مقصودا بالاستئناف اهتماما به لأن المعطوف لكونه تابعا لا يهتم به السامعون كمال الاهتمام»⁽¹⁾. ترك العطف في هذه الآية بغية لفت انتباه القارئ والسامع لما سيذكر من عقوبة.

3- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ

يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ (البقرة: 159) «استئناف كلام يعرف منه السامع تفصيل ما تقدم له

إجماله»⁽²⁾. جيء بالفصل هنا بغية الشروع في توضيح ما تقدم وتفصيل ما أجمل.

4- ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ ۖ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاطِلٍ

وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ (البقرة: 173) «استئناف بياني ذلك أن الإذن بأكل

الطيبات يثير سؤال من يسأل ما هي الطيبات فجاء هذا الاستئناف مبينا الحرمات وهي أضداد الطيبات، لتعرف الطيبات بطريق المضادة المستفادة من صيغة الحصر، وإنما سلك طريق بيان ضد الطيبات للاختصار؛ فإن الحرمات قليلة ولأن في هذا الحصر تعريضا بالمشركين الذين حرموا على أنفسهم كثيرا من الطيبات وأحلوا الميتة والدم»⁽³⁾، الآية تحيب السائل عن الطيبات التي هي غير ما حُصر ولكثرها لم تُعدَّد في الآية

السابقة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 172)

5- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ (البقرة: من الآية 185) «...والجملة مستأنفة بيانيا، لأن قوله

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ) (البقرة: من الآية 184)، يثير سؤال السامع عن تعيين هذه الأيام، ويؤيد ذلك قراءة مجاهد شهراً

(1) المصدر السابق، 682/1.

(2) نفسه، 66/2.

(3) نفسه، 115/2.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

بالنصب على البدلية من أياما: بدل تفصيل»⁽¹⁾، أفاد الفصل هنا تحديد هذه الأيام المحدودات التي سيُسأل عنها حتما ، وهي شهر رمضان.

6 - ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾﴾ (البقرة: من الآية 221) «...والجملة مستأنفة استئنافا بيانيا لتعليل النهي عن نكاح

المشركات وإنكاح المشركين»⁽²⁾، ورد النهي في نفس الآية في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ

حَتَّى يُؤْمِنَ ۚ وَلَا مُمْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۚ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا ۚ

وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 221) ، وجاء الاستئناف لذكر سبب النهي وهو

الدعوة إلى النار.

7 - ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: من الآية 257) « وقع قوله (اللَّهُ

وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا) الآية موقع التعليل لقوله (لَا أَنْفِصَامَ هَآ) (البقرة: من الآية 256)»⁽³⁾، جيء بالكلام

مفصولا لذكر العلة.

8 - ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ (البقرة: 274) «جملة مستأنفة تفيد تعميم أحوال فضائل الإنفاق

بعد أن خصص الكلام بالإنفاق للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله...»⁽⁴⁾، وظيفة الاستئناف في الآية هي الإشارة إلى التفصيل والتوضيح والإضافة.

9 - ﴿يَمَحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ (البقرة: 276) « استئناف

ليبيان سوء عاقبة الربا في الدنيا بعد أن بينت عاقبته في الآخرة، فهو استئناف بياني لتوقع سؤال من يسأل

(1) المصدر السابق ، 169/2.

(2) نفسه، 363/2 .

(3) نفسه، 30/3.

(4) نفسه، 77/3.

عن حال هؤلاء الذين لا ينتهون بموعظة الله» (1).

10- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: من الآية 285) «فالجمله استئناف ابتدائي

وضعت في هذا الموقع لمناسبة ما تقدم، وهو انتقال مؤذن بانتهاء السورة لأنه لما انتقل من أغراض متناسبة إلى غرض آخر: هو كالحاصل والفذلكة، فقد أشعر بأنه استوفى تلك الأغراض» (2).

3-2 الوصل:

نجد الوصل بين الجمل التي حالها مع التي قبلها حال الاسم يغير ما قبله في العطف، ولكنه يشاركه في الحكم. ولانعطف جملة على جملة إلا إذا كان بينهما مناسبة، ومن وسائل العطف: واو الاستئناف، الفاء، ثم، أم المنقطعة، بل، الجملة المعترضة، الاستثناء المنقطع. ويضيف الجرجاني "إن" (3). وهناك أدوات أخرى أضافها الزمخشري (على، لام الجر، إلى، قد، ربما، أداتا الشرط: إن وإذا) (4). ومن مواضع الوصل الحالات الثلاث الآتية:

أ/ إذا كانت الجملتان متفقتين في الخبرية لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَمِيتِ وَتُخْرِجُ

الْمَمِيتَ مِنَ الْحَيِّ وَتُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرِجُونَ﴾ (الروم: 19).

ب/ إذا اتفقت الجملتان في الإنشاء لفظاً ومعنى (5)، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ

شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ

﴿(البقرة: من الآية 150)﴾.

ج/ إذا اتفقت الجملتان في المعنى واختلفتا لفظاً (6)، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ

ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَىٰ ۖ وَاتَّقُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (١٨٩)

(1) المصدر السابق، 91/3.

(2) نفسه، 132/3.

(3) منير سلطان: الفصل والوصل في القرآن الكريم، ص 66.

(4) المرجع نفسه، ص 119 وما بعدها.

(5)، (6) انظر: حواس بري: المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص 97.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

(البقرة: من الآية 189) ⁽¹⁾. وهذه الحالات الثلاث يجملها البلاغيون فيما يسمى بالتوسط بين الكمالين (الاتصال والانقطاع) الذي يتحقق إذا اتفقت الجملتان في الخبرية أو الإنشائية، ولم يكن هناك ما يقتضي الفصل، وتجمع بين هاتين الجملتين مناسبة ورابطة قوية في المعنى.

ومما هو مهم الحديث عنه في موضوع الفصل والوصل ما يسمى فاء الفصيحة؛ قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ۖ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ ۖ﴾ (البقرة: من الآية 60). نكتفي في التعريف بهذه الفاء بما ذكره الشيخ ابن عاشور في تفسيره لهذه الآية، حيث يقول: «والفاء في قوله (فَانفَجَرَتْ) قالوا هي فاء الفصيحة ومعنى فاء الفصيحة أنها الفاء العاطفة إذ لم يصلح المذكور بعدها لأن يكون معطوفاً على المذكور قبلها فيتعين تقدير معطوف آخر بينهما يكون ما بعد الفاء معطوفاً عليه وهذه طريقة السكاكي فيها وهي المثلى. وقيل أنها التي تدل على محذوف قبلها فإن كان شرطاً فالفاء فاء الجواب وإن كان مفرداً فالفاء عاطفة ويشملها اسم فاء الفصيحة وهذه طريقة الجمهور على الوجهين فتسميتها بالفصيحة لأنها أفصحت عن محذوف، والتقدير في مثل هذا ضرب فانفجرت» ⁽²⁾، ومن وظائف الوصل التبليغية: إبراز المعطوف ووضع موضع الاهتمام، منح المعطوف نوعاً من الاستقلالية ⁽³⁾، أمن اللبس، التمييز تشريفاً، التناسب، التفسير، تقرير المعنى، الاختصاص، التوكيد، ونشير هنا إلى أن أدوات الوصل تساهم في توجيه وظائف البنيات اللغوية ومعانيها، وإلى بعض هذا وغيره يشير الشيخ ابن عاشور في النماذج الآتية.

النماذج:

1- ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾ (البقرة: من الآية 29) «وإفادة التراخي الرتبي هو المعتبر في عطف ثم للجمل سواء وافقت الترتيب الوجودي مع ذلك أو كان معطوفها متقدماً في الوجود» ⁽⁴⁾. هنا يشير المفسر إلى وظيفة أداة الوصل ذاتها "ثم" - التي هي جزء من وظيفة الوصل - في توجيه المعنى العام

(1) انظر: المرجع السابق، ص 97.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 518/1.

(3) انظر: الحمصي: مباحث في علم المعاني، ص 263.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 383 / 1.

للاية وهو التراخي الرّتي .

2- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾

﴿البقرة: 34﴾ «وعطف (فَسَجَدُوا) بفاء التعقيب يشير إلى مبادرة الملائكة بالامتثال ولم يصدّهم ما في نفوسهم من التخوّف من أن يكون هذا المخلوق مُظهر فساد وسفك دماء لأنّهم مترّهون عن المعاصي»⁽¹⁾، والوصل هنا يبيد كذلك نوعاً من الاهتمام (استجابة الملائكة لأمر ربهم فور تلقيه).

3- ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ (البقرة: من الآية 127) «وللإشارة إلى التفاوت بين

عمل إبراهيم وعمل إسماعيل أوقع العطف على الفاعل بعد ذكر المفعول والمتعلقات، وهذا من خصوصيات العربية في أسلوب العطف فيما ظهر لي ولا يحضرنى الآن مثله في كلام العرب، وذلك أنك إذا أردت أن تدل على التفاوت بين الفاعلين في صدور الفعل تجعل عطف أحدهما بعد انتهاء ما يتعلق بالفاعل الأول، وإذا أردت أن تجعل المعطوف والمعطوف عليه سواء في صدور الفعل تجعل المعطوف موالياً للمعطوف عليه»⁽²⁾. الوصل بالطريقة التي ذكرها المفسر؛ أي بترتيب المفردات الموصولة بشكل خاص له علاقة بأشكال الرتب ودلالاتها الوظيفية، فعمل إبراهيم أعظم من عمل إسماعيل -عليهما السلام- وكلاهما عظيم، ورفع القواعد في حد ذاته عمل متميز ويستحق الاهتمام، وهذا ما نلمسه من وصل الآية بما سبقها.

4- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكْمٌ عُمْىٰ فَهُمْ لَا

يَعْقِلُونَ﴾ (البقرة: 171) «وإنما عطفه بالواو هنا ولم يفصله كما فصل قوله (مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي

أَسْتَوْقَدَ نَارًا) (البقرة: 17) لأنه أريد هنا جعل هذه صفة مستقلة لهم في تلقي دعوة الإسلام ولو لم يعطفه لما صحّ ذلك.»⁽³⁾، ورد الوصل هنا لتأدية وظيفة الاستقلالية والتميز.

(1) المصدر السابق، 423/1.

(2) نفسه، 718/1.

(3) نفسه، 111/2.

الفصل الثاني ===== نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

5- ﴿ ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ﴾ (البقرة: من الآية 187) «واعلم أن ثم في عطف الجمل للتراخي الرتي وهو

اهتمام بتعيين وقت الإفطار»⁽¹⁾. الوصل للاهتمام بوقت الإفطار الذي هو من شروط صحة ركن الصوم.

6- ﴿ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ

أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾ (البقرة: من الآية 222) «... فكان مقتضى الظاهر أن تكون جملة ولا تقربوهن مفصولة بدون

عطف، لأنها مؤكدة لمضمون جملة فاعتزلوا النساء في المحيض ومبينة للاعتزال وكلا الأمرين يقتضي الفصل، ولكن خولف مقتضى الظاهر اهتماما بهذا الحكم ليكون النهي عن القربان مقصودا بالذات معطوفا على التشريعات»⁽²⁾.

7- ﴿ وَلِلْمُطَلَّقاتِ مَتَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: 241) «عطف على جملة (وَالَّذِينَ

يَتَوَقَّونَ مِنْكُمْ) (البقرة: 234) جعل استيفاء لأحكام المتعة للمطلقات، بعد أن تقدم حكم متعة المطلقات

قبل المسيس وقبل الفرض، فعمم بهذه الآية طلب المتعة للمطلقات كلهن. فاللام في قوله (وَلِلْمُطَلَّقاتِ

مَتَعٌ) لام الاستحقاق. والتعريف في المطلقات يفيد الاستغراق. »⁽³⁾، وصلت هذه الآية بما قبلها للاهتمام بالأحكام التي تنص عليها وتفصلها.

8- ﴿ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: من الآية 268) «عطف على جملة

(الْشَّيْطَانُ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ) لإظهار الفرق بين ما تدعو إليه وساوس الشيطان وما تدعو إليه أوامر الله

تعالى »⁽⁴⁾، استعمل الوصل في الآية كوسيلة للتمييز بين الوعدين.

9- ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ﴾ (البقرة: من الآية 282) «عطف على (فَاكْتُبُوهُ)، وهو غيره وليس

بيانا له إذ لو كان بيانا لما اقترن بالواو»⁽⁵⁾ يؤدي الوصل هنا وظيفة الاستقلالية والتمييز.

(1) المصدر السابق، 184/2.

(2) نفسه، 366/2.

(3) نفسه، 474/2.

(4) نفسه، 60/3.

(5) نفسه، 105/3.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

10- ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ

فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ (البقرة: من الآية 284) « وعطف قوله (وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) بالواو دون الفاء للدلالة على أن الحكم الذي تضمنه مقصود بالذات، وأن ما قبله كالتمهيد له»⁽¹⁾. جاء الوصل في هذه الآية ليؤدي وظيفة الاهتمام بالحكم الذي تقره وليبرزه.

4- التعريف و التكثير ودلالتهما الوظيفية

4-1 التعريف :

المعرفة هو كل اسم خصّ الواحد من جنسه.

أ- التعريف بـ (ال)

يدل التعريف بـ (ال) على العهد أو الجنس نحو: "جاء الرجل" أي الرجل المعهود الذي أخبرتك عنه، و"جاء الرجل" أي الكامل في الرجولة. وتقول "أحب الكتاب" فقد تشير بذلك إلى كتاب معين أو إلى جنس الكتاب⁽²⁾، و"ال" التي هي للجنس قسمان منها ما يراد به الماهية ومنها ما يراد به الاستغراق لجميع الأفراد، يقول الشيخ ابن عاشور عند تفسيره للآية الكريمة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ (البقرة: من الآية 25): « إِنَّ "أل المعرفة" تأتي للعهد وتأتي للجنس مراداً به الماهية وللجنس مراداً به جميع أفرادها التي لا قرار له في غيرها فإذا أرادوا منها الاستغراق نظروا فإن وجدوا قرينة الاستغراق ظاهرة من لفظ أو سياق نحو: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ (إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا) (العصر: 2، 3)... اقتنعوا بصيغة المفرد لأنّه الأصل الأخف وإن رأوا قرينة الاستغراق خفية أو مفقودة عدلوا إلى صيغة الجمع للدلالة الصيغة على عدة أفراد لا على فرد واحد ولما كان تعريف العهد لا يتوجه إلى عدد من الأفراد غالباً تعين أن تعريفها للاستغراق»⁽³⁾؛ والألف واللام في الصالحات للجنس المفرد لا للعموم^(*)، والاستغراق نوعان: حقيقي

(1) المصدر السابق ، 130/3.

(2) انظر: فاضل صالح السمرائي: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص86.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 353/1.

(*) لأنه لا يمكن عمل جميع الصالحات. يقول أبو حيان الأندلسي: «والفرق بين لام الجنس إذا دخلت على المفرد وبينها إذا دخلت على الجمع أنها في المفرد يحتمل أن يراد بها واحد من الجنس وفي الجمع لا يحتمل» تفسير البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد لأبي حيان، وكتاب الدر اللقيط لتلميذه

تاج الدين بن مكتوم القيسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط2، 1992، 111/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

وعرفني وفي هذا الصدد يوضح ابن عاشور-وهو يتحدث عن "ال تعريف" في كلمة (اللَّعْنُونَ) في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ (البقرة: من الآية 159): «والتعريف في (اللَّعْنُونَ) للاستغراق وهو استغراق عرفي أي يلعنهم كل لا عن... واعلم أن لام الاستغراق العرفي واسطة بين لام الحقيقة ولام الاستغراق الحقيقي. وإنما عدل إلى التعريف مع أنه كالنكرة مبالغة في تحقيقه حتى كأنه صار معروفا لأن المنكر مجهول، أو يكون التعريف للعهد أي يلعنهم الذين لعنهم من الأنبياء الذين أوصوا بإعلان العهد وأن لا يكتموه». (1)

والألف واللام في الخبر تكون على رأي الجرجاني على معنى الجنس، ولها في ذلك وجوه (2):

1/ قصر جنس المعنى على المخبر عنه لقصد المبالغة، نحو: زيد هو الجواد، وعمر هو الشجاع. أي الكامل.
2/ أن تُقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر عن المخبر عنه لا لقصد المبالغة، بل لاعتباره لا يوجد إلا منه، ولا يكون ذلك إلا إذا قيدت المعنى بشيء يخصه، وذلك كنحو أن يقيد بالحال، والوقت، كقولك: هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا.

3/ ألا يقصد قصر المعنى في جنسه على المذكور، وهو الذي عليه قول الخنساء:

إذا قبح البكاء على قتيل رأيتُ بكاءك الحسن الجميلا

أرادت أن تقره في جنس ما حُسنته الحُسْن الظاهر الذي لا ينكره أحد.

ويضيف الجرجاني غرضا آخر للخبر المعرف بالألف واللام وهو بيان أن المسند إليه تنطبق عليه الصفة الموجودة في المسند، كقولك: هو البطل المحامي... تريد أن تقول لصاحبك: هل سمعت بالبطل المحامي؟ (3).

ونشير هنا إلى أن تعريف المبتدأ وتنكيهه عند "المتوكل" لا يعتمد المعيار التركيبي المعروف ("دخول الألف واللام"، "الإضافة"...)، بل يعتمد معيارا تداوليا وهو "إحالية" المبتدأ؛ يقول: «نعتبر أن عبارة ما عبارة "إحالية" إذا كان المخاطب قادرا على التعرف على ما تحيل عليه العبارة أي إذا كانت المعلومات التي تحملها العبارة كفيلة بجعل المخاطب يهتدي إلى الحال عليه المقصود» (4)، وهذا هو معنى التعريف عموما

(1) المصدر السابق، 68/2، 69.

(2) انظر: الدلائل، ص 204، 206.

(3) انظر: المرجع نفسه، ص 207.

(4) المتوكل: المبتدأ في اللغة العربية نحو وصف وظيفي-تداولي، مجلة: في اللسانيات واللسانيات العربية، جمعية الفلسفة بالمغرب، 1988، ص 100.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

مهما كانت وسيلته. ونحاول أن نختصر الوظائف التداولية للبنيات اللغوية التي يعرف فيها المبتدأ أو الخبر أو الفاعل، فمن وظائف تعريف المبتدأ: الإشارة إلى معهود بين المتكلم والمخاطب، الدلالة على جنس المسند إليه، الدلالة على فرد مبهم (غير معين) من أفراد الجنس، الدلالة على الشمل والاستغراق، توحي أقصر طريق لإحضار المسند إليه في ذهن السامع، تعظيم المضاف إليه، أو تحقيره، إذا تعذر التفصيل أو امتنع.

ومن وظائف تعريف الخبر: إفادة السامع بأمر معهود من المسند إليه، إفادة كمال الصفة في الخبر، قصر الخبر على المبتدأ وتخصيصه به حقيقة أو ادعاء، قصر المبتدأ على الخبر، إظهار الخبر في صورة المعهود من المسند إليه، إفادة استحقاق المبتدأ للخبر.

ومن وظائف تعريف الفاعل: أ- بالعلمية: إحضاره بعينه في ذهن السامع باسم مختص به، تعظيمه، إهانته واحتقاره، التلذذ بذكره، التبرك به.

ب- بالإشارة: تمييزه أكمل تمييز، بيان حاله في القرب أو التوسط أو البعد، تعظيمه أو تحقيره أو غير ذلك مما تدل عليه قرائن الكلام. ومن أراد التفصيل أو التمثيل لهذه الوظائف يرجع إلى كتب البلاغة وعلم المعاني. وفي النماذج التي بين أيدينا من تفسير التحرير والتنوير ما يوضح الكثير من هذا ويزيد عليه.

النماذج:

1- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 53) « والمراد من "الْكِتَاب" التوراة التي أوتيتها موسى فالتعريف للعهد ⁽¹⁾، فالتعريف بال أغنانا عن ذكر التوراة لما عهدناه مما أوتيه موسى ﷺ.

2- ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنَكْفُرُ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 91)، « واللام في الحق للجنس والمقصود اشتها المسند إليه... فليست اللام هنا مفيدة للحصر لأن تعريف المسند باللام لا تطرد إفادته الحصر على ما في دلائل الإعجاز. وقيل يفيد الحصر باعتبار القيد أعني قوله مصدقا أي هو المنحصر في كونه حقا مع كونه مصدقا... ⁽²⁾، ال في كلمة "الْحَقُّ" دلت على أن الحق المقصود هنا معروف ومعهود ولا داعي لذكر محددات له أو موضحات.

3- ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَى﴾ (البقرة: من الآية 120) « والتعريف في أَهْدَى تعريف الجنس الدال

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 501/1.

(2) المصدر نفسه، 608/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

على الاستغراق ففيه طريقان من طرق الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق معنى القصر وتأكيده للعناية به ... »⁽¹⁾، دل التعريف بـ ال على أن هدى الله هو كل الهدى وأفاد مع ضمير الفصل القصر أي لا هدى غيره.

4- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّهٗ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ

يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة: 159) «والتعريف في الناس للاستغراق لأن الله أنزل الشرائع لهدى الناس كلهم وهو استغراق عر في أي الناس المشرع لهم»⁽²⁾، التعريف لاستغراق الأفراد الذين بلغوا بالبينات والهدى.

5- ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ (البقرة: 183) «فالتعريف في الصِّيَام في الآية تعريف العهد الذهني، أي كتب عليكم جنس الصيام المعروف. وقد كان العرب يعرفون الصوم»⁽³⁾، ال أدت وظيفة الإحالة على نفس الصوم الذي كان معروفا قبل الإسلام.

6- ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾

﴿(البقرة: 193)﴾ «فالتعريف في الدِّين تعريف الجنس، لأن الدين من أسماء المواهي التي لا أفراد لها في الخارج فلا يحتمل تعرفه معنى الاستغراق. واللام الداخلة على اسم الجلالة لام الاختصاص أي حتى يكون جنس الدين مختصا بالله تعالى.»⁽⁴⁾؛ فاللام الأولى لام التعريف في "الدِّين" لجنس الدين المحدد والواحد، واللام الثانية في "لِلَّهِ" جيء بها لتؤدي وظيفة التخصيص؛ أي تخصيص هذا الدين بالله سبحانه وتعالى.

7- ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ (البقرة: من الآية 210) «والتعريف في (الْأَمْر) إما للجنس

مرادا منه الاستغراق أي قضيت الأمور كلها، وإما للعهد أي أمر هؤلاء أي عقابهم أو الأمر المعهود للناس

(1) المصدر السابق، 694/1 .

(2) نفسه، 67/2.

(3) نفسه، 155/2.

(4) نفسه، 208/2.

كلهم وهو الجزاء. (1).

8- ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ...﴾ (البقرة: من الآية 285) «وَأَلْ فِي الرَّسُولِ للعهد، وهو علم بالغلبة على محمد ﷺ» (2)، دلت ال على العهدة فالرسول معهود ومعروف عند المخاطبين.

ب- التعريف بـ (الموصول)

التعريف بالموصول للفاعل يكون في البنيات اللغوية لتؤدي الوظائف الآتية: الاستعاضة عن عدم علم المخاطب أو المتكلم بغير الصلة من الأحوال المختصة بالفاعل، نحو: رجع الذي سافر أمس، استهجان التصريح باسمه "الفاعل"، زيادة التقرير، التفخيم والتهويل، ومما ذكره المفسر من وظائف يوضحه النموذجان:

1- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 6).

« فالإتيان بذكرهم [الَّذِينَ كَفَرُوا] بالتعريف بالموصول إما أن يكون لتعريف العهد مراداً منه قوم معهودون كأبي حميل، والوليد بن المغيرة... وإما أن الموصول لتعريف الجنس المفيد للاستغراق على أن المراد بالكفر أبلغ أنواعه بقرينة قوله (لَا يُؤْمِنُونَ) فيكون عاماً مخصوصاً بالجنس لمشاهدة من آمن منهم أو يكون مراداً به الخصوص بالقرينة» (3).

2- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ (البقرة: من الآية 16) «والموصول في قوله (الَّذِينَ اشْتَرُوا) بمعنى المعرف بلام الجنس فيفيد التركيب قصر المسند على المسند إليه وهو قصر ادعائي باعتبار أنهم بلغوا الغاية في اشتراء الضلالة والحرص عليها» (4). فالتعريف بالموصول هنا شبيه بالتعريف بلام الجنس. وهو يؤدي وظيفة زيادة الإقرار بما فعلوا.

قبل أن نتطرق للتذكير نشير إلى أن المعارف عند ابن يعيش خمس، وعند ابن هشام ست (5).

(1) المصدر السابق، 287/2.

(2) نفسه، 132/3.

(3) نفسه، 248/1.

(4) نفسه، 299/1.

(5) انظر: شرح المفصل، 424/1. وانظر: شرح شذور الذهب، تحقيق محمد محمد تامر، وآخران، الزهراء، 2004، ص 130-150.

4-2 التنكير:

النكرة هو كل اسم شائع في جنسه ولا يُخصَّ به واحد دون آخر، نحو: رجل و فرس. ويدل التنكير على الواحد أو الجنس، ويوضح هذا قول سيبويه: « يقول الرجل "أتاني رجل" يريد واحدا في العدد لا اثنين فتقول: "ما أتاك رجل" أي أتاك أكثر من ذلك. ثم يقول "أتاني رجل لا امرأة" فتقول: "ما أتاك رجل" أي امرأة أتتك. ويقول: "أتاني اليوم رجل" أي في قوته ونفاذه فتقول "ما أتاك رجل" أي أتاك الضعفاء. فإذا قال: "ما أتاك أحد" صار نفيا عاما لهذا كله»⁽¹⁾. ونجد الجرجاني يبيد بعض أسرار التنكير في حديثه عن

تنكير لفظة (حَيَوَة) في الآية: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوَةٍ﴾ (البقرة: من الآية 96) فإنه نكّر لفظة حياة لأن المعنى على الازدياد من الحياة لا على الحياة من أصلها، فالحرص يكون على ما يستقبل لا على الماضي، فهم يحرصون مهما عاشوا على أن يزدادوا إلى حياتهم حياة أي جزءا من حياة وليست الحياة المعروفة. ومثل هذا في الآية الكريمة: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوَةٌ﴾ (البقرة: من الآية 179) لأن القصاص لا ينشأ عنه الحياة من أصلها وإنما ينشأ عنه ما يستأنف منها، والحياة التي يرُدُّها القصاص إنما هي لمن يردعه خوف القصاص، أي يعلم أنه إذا قُتل قُتل، بمعنى أنها ليست شاملة لكل الناس ولهذا اختير التنكير⁽²⁾، ومن الوظائف التواصلية التداولية التي يؤديها تنكير المبتدأ: إفادة الأفراد، إفادة النوعية، التعظيم، التحقير، التكثير، التقليل، إفادة التعميم، تفخيم معنى الدعاء.

ومن وظائف تنكير الخبر: التفخيم والتعظيم، إرادة كمال الصفة فيه، التحقير، عدم الحاجة إلى غرض من أغراض التعريف.

ومن وظائف تنكير الفاعل: الدلالة على الأفراد، إفادة النوعية، التعظيم، التحقير، التكثير، التقليل. ويذكر لنا الشيخ ابن عاشور في تفسيره الكثير من هذه الوظائف، ننقل بعضها في النماذج الآتية.

النماذج:

1- ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 7) «... ووصف العذاب بالعظيم دليل على أن تنكير عذاب

للتوعية وذلك اهتمام بالتنصيص على عظمه...»⁽³⁾، وظيفة إفادة التعظيم للعذاب فرضت أن تكون البنية

(1) الكتاب، 27/1.

(2) انظر: الدلائل، ص 290، 291.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1 / 258.

اللغوية للفظَة عَذَاب نكرة.

2- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ (البقرة: 23) «التنكير للإفراد أو النوعية أي بسورة واحدة من نوع السور، وذلك صادق بأقل سورة ترجمت باسم يخصها»⁽¹⁾، أفاد التنكير في كلمة "سورة" الأفراد والتقليل والنوعية.

3- ﴿وَدَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: من الآية 25) «وتنكير جنات وتعريف الأنهار جيء به هكذا للتفنن ولعدم إعادة التنكير مرّة ثانية»⁽²⁾، اختلفت اللفظتان من حيث التعريف والتنكير لدفع السأم الذي قد ينجم عن إعادة التنكير وهو غرض تواصلية.

4- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ (البقرة: من الآية 48) «وتنكير النفس في الموضعين وهو في حيز النفي يفيد عموم النفوس»⁽³⁾. فالتنكير في "نفس" صيغ في البنية اللغوية لتؤدي وظيفة التعميم.

5- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 89) «وقد عدل عن أن يقال فلما جاءهم الكتاب ليكون اللفظ أشمل فيشمل الكتاب والرسول الذي جاء به فإنه لا يجيء كتاب إلا مع رسول»⁽⁴⁾.

6- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ سَوَّاهُ قُلُوبًا يَكُفُّونَ عَنَّا وَهُمْ أَغْنَىٰ عَنَّا وَإِنَّا لَكَاظِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 246) «وتنكير نبيء لهم للإشارة إلى أن محل العبرة ليس هو شخص النبيء فلا حاجة إلى تعيينه، وإنما المقصود حال القوم وهذا دأب القرآن في قصصه، وهذا النبيء هو صمويل وهو بالعربية شمويل بالشين المعجمة ولذلك لم يقل: إذ قالوا لنبيهم، إذ لم يكن هذا النبيء معهودا عند السامعين حتى يعرف لهم بالإضافة»⁽⁵⁾، ورد التنكير هنا لعدم الحاجة إلى غرض من أغراض التعريف، وليحيل على الحديث عن حال القوم وما

(1) المصدر السابق، 337/1.

(2) نفسه، 355/1.

(3) نفسه، 485/1.

(4) نفسه، 602/1.

(5) نفسه، 485/2.

قالوه لا على النبي ذاته.

7- ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى ۚ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ (البقرة: 263) «وتنكير

(قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ) للتقليل، أي أقل قول معروف خير من صدقة يتبعها أذى.»⁽¹⁾، التنكير هنا كاف لتؤدي

لفظة قَوْل وظيفة تواصلية هي التقليل.

8- ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ﴾ (البقرة: من الآية 279) «وتنكير حرب لقصد تعظيم

أمرها»⁽²⁾، وظيفة التنكير هي التعظيم.

5- القصر ودلالاته الوظيفية

القصر أو (الحصر) يتضمن معنى التوكيد و التخصيص. يقول الدكتور مهدي المخزومي: «القصر: طريقة من طرائق التوكيد، يهدف به المتكلم إلى تثبيت غرضه في ذهن السامع، وإزالة ما في نفسه من شك فيه، والتوكيد بالقصر أقوى طرائق التوكيد، وأدلها على تثبيت ما يراد تثبيته أو تقريره.»⁽³⁾، وينقسم باعتبار طرفيه إلى: قصر صفة على موصوف، و قصر موصوف على صفة. وباعتبار الحقيقة والواقع إلى: قصر حقيقي، وقصر إضافي. وباعتبار حال المخاطب إلى: قصر قلب، وقصر أفراد، وقصر تعيين. وجملة القصر تكون اسمية للدوام.

وسائله ووظائفه التواصلية: للقصر أساليب ووسائل عديدة، تؤدي وظائف تواصلية مختلفة حسب مقامات الخطاب وحال المخاطبين تقتصر هنا على ذكر بعض منها:

1- النفي والاستثناء: ويكون هذا التركيب اللغوي لتأدية وظائف تواصلية تداولية منها: دفع الإنكار والشك، تحديد المعنى وتعيينه ابتداء من غير أن يكون ثمة منكر ينكر أو شك يشك، تمكين المعنى وتقريره في النفس.

2- القصر بـ(إنما): ومن الوظائف التي يؤديها -بالإضافة إلى وظيفة التخصيص-: التنبيه على خطأ أو غفلة بتذكير المخاطب بأمر ثابت معلوم، الادّعاء والمبالغة، التعريض.

3- القصر بالعطف بـ(لا) أو (بل): ومن الوظائف التي يؤديها: تصحيح خطأ المخاطب وقلب اعتقاده

(1) المصدر السابق، 47/3.

(2) نفسه، 94/3.

(3) مهدي المخزومي: في النحو العربي، قواعد وتطبيق، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406، ص210.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

(تكون لقصر القلب دائما).

4- القصر بضمير الفصل و بـ لام الجنس في المسند : ومن وظائفه: إبطال ادعاء وإثبات عكسه، إبراز حقيقة وتقريرها.

5- القصر بتقديم ما حقه التأخير: ويكون لزيادة التمكن والتقرير.
النماذج:

1- ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11) «وأفاد إنَّما هنا قصر الموصوف على الصفة ردّا على قول من قال لهم لا تفسدوا... فردوا عليهم بقصر القلب وليس هو قصرا حقيقيا لأن قصر الموصوف على الصفة لا يكون حقيقيا ولأنَّ حرف إنَّما يختص بقصر القلب كما في دلائل الإعجاز واختير في كلامهم حرف إنَّما لأنَّه يخاطب به مخاطب مصرّ على الخطأ كما في دلائل الإعجاز»⁽¹⁾. الوظيفة التواصلية للقصر هنا هي تصحيح خطأ المخاطبين وقلب اعتقادهم.

2- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 12) «رَدَّ عليهم في غرورهم وحصرهم أنفسهم في الصّلاح فرد عليهم بطريق من طرق القصر هو أبلغ فيه من الطريق الذي قالوه لأنَّ تعريف المسند يفيد قصر المسند على المسند إليه فيفيد قوله (أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ) قصر الإفساد عليهم... وقد أكّد قصر الفساد عليهم بضمير الفصل...»⁽²⁾، القصر هنا لإبطال ادعائهم الصّلاح وإثبات أنهم مفسدون.

3- ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (البقرة: من الآية 28) «وتقديم المتعلق على عامله مفيد القصر وهو قصر حقيقي سيق للمخاطبين»⁽³⁾، القصر لزيادة تأكيد وتقرير حقيقة الرجوع إلى الله تعالى.

4- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة: من الآية 29) «وجملة (هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ) قصر حقيقي سيق للمخاطبين من المشركين الذين لاشكّ عندهم في أنّ الله خالق ما في الأرض...»⁽⁴⁾.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 285/1.

(2) المصدر نفسه، 285/1، 286.

(3) نفسه، 377/1.

(4) نفسه، 379/1.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

أفادت بنية القصر هذه إبراز حقيقة أن الله هو الخالق وحده.

5- ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ (البقرة: من الآية 102) «والذي يظهر في

تفسير هذه الجملة أن قولهما (إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ) قصر ادعائي للمبالغة»⁽¹⁾، القصر في هذه الآية للدعاء والمبالغة.

6- ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 102) «وقد أفادت الآية بجمعها بين إثبات الضر ونفي النفع الذي هو ضده مفاد الحصر، كأنه قيل ويتعلمون ما ليس إلا ضرا»⁽²⁾. ورد الجمع بين الإثبات والنفي في التركيب ليؤدّي وظيفة الحصر.

7- ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ﴾ (البقرة: من الآية 120) «ففيه طريقان من طرق الحصر هما ضمير الفصل وتعريف الجزأين وفي الجمع بينهما إفادة تحقيق القصر وتأكيده للعناية به فأيهما اعتبرته طريق قصر كان الآخر تأكيداً للقصر وللخير أيضاً... فقد اجتمع في هذه الجملة عدة مؤكّدات هي حرف إن والقصر، إذ القصر تأكيد على تأكيد كما في المفتاح فهو في قوة مؤكّدين، مع تأكيد القصر بضمير الفصل وهي تنحل إلى أربعة مؤكّدات لأن القصر بمتزلة تأكّدين»⁽³⁾.

6- وسائل التوكيد ودلالاتها الوظيفية :

توكيد الكلام هو تثبيته، وللتوكيد أساليب عديدة منها:

- 1- التوكيد بإن: الأصل في (إن) إفادة توكيد نسبة المسند إلى المسند إليه.
- 2- التوكيد بالقسم: يؤدّي القسم بأحرف وأسماء وأفعال.
- 3- التوكيد بـ(أما): وقد يبلغ التوكيد بأمّا درجة القصر.
- 4- التوكيد بـ(قد): تختصّ (قد) بالدخول على الفعل المثبت، ووظيفتها العامة هي توكيده ماضياً أو مضارعاً.

5- التوكيد بالسين أو سوف: تدخل السين و سوف على الفعل المضارع.

6- التوكيد باللام: تؤكّد مضمون الجملة إذا كانت لام الابتداء .

(1) المصدر السابق، 643/1.

(2) نفسه، 645/1.

(3) نفسه، 694/1.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

- 7- التوكيد بالتَّوْن: تلحق هذه النون فعل الأمر والفعل المضارع الدال على الاستقبال.
 - 8- تكرار الخطاب بلفظه أو بمعناه.
 - 9- اختيار ألفاظ أو صيغ أو أدوات دون أخرى.
- وهناك وسائل أخرى للتوكيد نجد بعضها في الآيات المرفقة مع النماذج التفسيرية الآتية (*).

الوظائف التواصلية لتوكيد الجملة:

- الردّ على المنكر.
- إزالة الشك والتردد عن نفس المخاطب.
- إفادة الارتباط والائتلاف (تدخل "إنّ" على كلام يعلّل ما قبله ويبين سببه أو يقويه).
- تثبيت المستفهم على جواب لا شك فيه.
- تعليل كلام سابق وتقويته والاحتجاج له. (يكثر هذا الغرض مع التوكيد بـ(إنّ)).
- إفادة التهكم. (يكثر ذلك مع التوكيد بـ(إنّ)).
- توجيه الانتباه إلى اللفظ الذي يليها؛ أي تجعله في موضع العناية والاهتمام وتختص بهذه الوظيفة

"أما" . نحو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (الضحى:9).

- تأكيد الوعد أو الوعيد. (يختص بهذه الوظيفة السّين وسوف من بين صور التوكيد).
- تقريب الماضي من الحال. (يختص بهذه الوظيفة (قد) من بين صور التوكيد).
- تقوية العناية بالفعل. (تختص نون التوكيد بهذه الوظيفة).

النماذج:

- 1- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة:6) «وتصدير الجملة بحرف التأكيد إمّا لمجرد الاهتمام بالخبر، وغرابته دون رد الإنكار أو الشك لأنّ الخطاب للنبي ﷺ وللأمة... وقد تكون إنّ لرد الشك تخريجا للكلام على خلاف مقتضى الظاهر... وقد نقل عن المبرد أنّ إنّ لا تأتي لرد الإنكار بل لرد الشك»⁽¹⁾، فالوظيفة التواصلية التي يؤديها حرف التوكيد هي الاهتمام بالخبر.

(*) انظر: النموذج 7، ص 104.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 247/1، 248.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

2- ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: من الآية 17) «هذه الجملة تتضمن تقريراً لمضمون (ذَهَبَ

اللَّهُ بِنُورِهِمْ) (البقرة: من الآية 17)... والقصد منه زيادة إيضاح الحالة التي صاروا إليها فإنَّ للدلالة الصريحة من الارتسام في ذهن السامع ما ليس للدلالة الضمنية... وقد يذهل السامع عما صاروا إليه عند هاته الحالة فيكون قوله بعد ذلك (وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ) تذكيراً بذلك وتنبيهاً إليه «⁽¹⁾، وظيفة تكرار المعنى هنا زيادة الإيضاح، والتذكير، والتنبيه إلى ما سبق.

3- ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة: من الآية 24) «ولذلك حسن موقع لن الدالة على نفي المستقبل فالنفي بما أكد من النفي بلا، ولهذا قال سيويه لا لنفي يفعل، ولن لنفي سيفعل...»⁽²⁾، استعملت الأداة "لن" هنا بدل "لا" لتؤدي وظيفة زيادة تأكيد النفي.

4- ﴿وَنَشَرُوا النَّارَ ءَامِنُونَ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة: من

الآية 25) «وقوله (من تحتها) يظهر أنه قيد كاشف قصد منه زيادة إحضار حالة جري الأنهار... فهذا الوصف جيء به لتصوير الحالة لقصد الترغيب»⁽³⁾. زيادة إحضار الحالة قصد منها وظيفة تواصلية هي تأكيد الأمر والترغيب فيه.

5- ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: من الآية 74) «والتوكيد بيان للاهتمام بالخبر وهذا الاهتمام يؤذن بالتعليل...»⁽⁴⁾، وظيفة التوكيد بيان هنا تعليل كلام سابق وتقويته والاحتجاج له.

6- ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ»

أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 80) «وذكر الاتحاد دون أعاهدتم أو عاهدكم لما في

(1) المصدر السابق، 310/1.

(2) المصدر نفسه، 342/1.

(3) نفسه، 355 /1.

(4) نفسه، 565/1.

الاتخاذ من تأكيد العهد و(عند) لزيادة التأكيد يقولون اتخذ يدا عند فلان»⁽¹⁾.
استعمل لفظا "الاتخاذ" و"عند" للعهد لزيادة توكيده.

7- ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ أَهْدَىٰ ۖ وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ

مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ (البقرة: من الآية 120) «وقد اشتملت جملة (وَلَئِنْ أَتَبَعْتُ أَهْوَاءَهُمْ) إلى آخرها على تحذير من الطمع في استدناء اليهود أو النصارى بشيء من استرضائهم طمعا في إسلامهم بتألف قلوبهم فأكد ذلك التحذير بعشرة مؤكدات وهي القسم المدلول عليه باللام الموطئة للقسم. وتأكيد جملة الجزاء بأن. وبلام الابتداء في خبرها. واسمية جملة الجزاء وهي (مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ). وتأكيد النفي بمن في قوله مِنْ وَلِيٍّ. والإجمال ثم التفصيل بذكر اسم الموصول وتبيينه بقوله مِنَ الْعِلْمِ. وجعل الذي جاء (أي أنزل إليه) هو العلم كله لعدم الاعتداد بغيره لنقصانه. وتأكيد من ولي يعطف ولا نصير الذي هو آيل إلى معناه وإن اختلف مفهومه، فهو كالتأكيد بالمرادف.»⁽²⁾.

7- اختيار الصيغ "بناء وزمنا" ودلالاته الوظيفية

تُفضّل صيغة دون أخرى سواء من حيث البناء الصرفي أو الزمن لتأدية وظائف لغوية خاصة في ظروف ومقامات معينة، ومما يبرز ذلك:

7-1 اختيار صيغة بعينها:

أ- إفادة الثبوت والتجدد بين الاسم والفعل:

قد يصلح الفعل في مواقع ومواقف لتأدية وظيفة لا يؤديها الاسم والعكس⁽³⁾، فمما يدل عليه الاسم في عمومته الثبوت بخلاف الفعل فهو يدل على التجدد، وعن هذا يقول الجرجاني -وهو يعدد الفروق في الخبر-: «... فالذي يليه من فروق الخبر هو الفرق في الإثبات إذا كان بالاسم وبينه إذا كان بالفعل، وهو فرق لطيف تمس الحاجة في علم البلاغة إليه، وبيانه أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدد شيء بعد شيء. وأما الفعل فموضوعه على أنه يقتضي تجدد المعنى المثبت به شيئا بعد شيء، فإذا قلت: (زيد منطلق)، فقد أثبت الانطلاق فعلاً له من غير أن تجعله يتجدد ويحدث منه شيئا

(1) المصدر السابق، 580/1.

(2) نفسه، 695/1.

(3) انظر: عبد الفتاح لاشين: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، ص 98.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

فشيئاً... وأما الفعل فإنه يقصد فيه إلى ذلك فإذا قلت (زيد هاهو ذا ينطلق) فقد زعمت أن الانطلاق يقع منه جزءاً فجزءاً وجعلته يزاوله ويزجيه»⁽¹⁾.

ب- الصلة بين المظهر الصوتي والمحتوى الدلالي :

أقر علماء اللغة بأن هناك علاقة وطيدة بين بناء الكلمة ومعناها، فهذا ابن جني يعقد باباً في كتابه الخصائص بعنوان: قوة اللفظ لقوة المعنى، وذكر فيه أن زيادة اللفظ قد تكون وسيلة إلى زيادة المعنى ومثل له بقولهم: خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون معنى اخشوشن لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو، وكذلك أعشب واعشوشب وحلى واحلولى وخلق واخلوق، ونحوها؛ فالصيغة الثانية تدل على التكثير؛ أي شدة الخشونة، وكثرة العشب... ومثله باب فَعَلَ وافتعل، نحو: قدر واقتدر، قال سبحانه: ﴿أَخَذَ عَزِيزُ

مُقْتَدِرٌ ۝﴾ (القمر: من الآية 42) قال: فمقتدر هنا أوفق من قادر من حيث كان الموضع لتفخيم الأمر وشدة

الأخذ وشبهه بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۝﴾ (البقرة: من الآية 286) وعلمه بأن كسب الحسنة بالمقارنة مع اكتساب السيئة أمر يسير ومستصغر⁽²⁾، فكل زيادة في بناء اللفظ تنجم عنها زيادة في معناه.

ج- العدول عن معتاد الصيغ :

العدول هو الخروج عن الأصل ويتمثل في ترك الصيغة الشائعة واستعمال صيغة أخرى أقل تواتراً لغرض وظيفي قد يكون توخيًا للدقة، أو تجنباً للثقل أو السأم أو لدعم المعنى أو تكثيره وفي هذا يقول ابن جني: « ونحو من تكثير اللفظ لتكثير المعنى العدول عن معتاد حاله وذلك فُعَالٌ في معنى فَعِيلٌ نحو: طُوال فهو أبلغ معنى من طويل... ففُعَالٌ -لعمري- وإن كانت أخت فَعِيلٌ في باب الصفة فإن فَعِيلًا أخص بالباب من فُعَالٍ، ألا تراه أشد انقياداً منه؛ تقول: جميل، ولا تقول: جُمَال... فلما كانت فَعِيلٌ هي الباب المطرد وأريدت المبالغة عدلت إلى فُعَالٍ فصارعت فُعَالٌ بذلك فُعَالًا. والمعنى الجامع بينهما خروج كل واحد منهما عن أصله، أما فُعَالٌ فبالزيادة، وأما فُعَالٌ فبالانحراف به عن فَعِيلٍ»⁽³⁾.

النماذج:

1- ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ (البقرة: من الآية 3) الإقامة تدل على المواظبة والتكرار «الإقامة مصدر أقام الذي هو

(1) الدلائل، ص 200.

(2) انظر: الخصائص، 265/3.

(3) المرجع نفسه، 268/3.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

معدى قام ، عدي إليه بالهمزة الدالة على الجعل ⁽¹⁾ «⁽¹⁾، اختيار فعل أقام بدل قام هنا لإفادة المواظبة والتكرار، وهو المطلوب في أداء فريضة الصلاة.

2- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (البقرة: 11) «والإفساد فعل ما به الفساد والهمزة فيه للجعل أي جعل الأشياء فاسدة في الأرض» ⁽²⁾، زيدت الهمزة لفعل فسد لإفادة معنى الجعل والمساهمة.

3- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ (البقرة: من الآية 16) «أشار أهل اللسان إلى أن فاعل هذه المطاوعة هو الذي قبل الفعل والتزمه فدلوا بذلك على أنه أخذ شيئاً لرغبة فيه» ⁽³⁾، صيغة افتعل تدل على المطاوعة واللين.

4- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ (البقرة: من الآية 25) «وقوله (مُطَهَّرَةٌ) هو بزنة الإفراد ولكن العرب تعدل عن الجمع مع التأنيث كثيراً لثقلهما لأن التأنيث خلاف المألوف والجمع كذلك فإذا اجتمعا تفادوا عن الجمع بالإفراد» ⁽⁴⁾، المألوف هو مطهّرات وعدل عنه تجنباً للثقل.

5- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 34) «والذي أراه أحسن الوجوه في معنى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) أن مقتضى الظاهر أن يقول "وكفر" كما قال "أبى واستكبر" فعدل عن مقتضى الظاهر إلى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) لدلالة كان في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها، والمعنى أبى واستكبر وكفر» ⁽⁵⁾.

6- ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة: من الآية 35) «فالنهي عن القربان أبلغ من

(1) المصدر السابق، 231/1.

(2) نفسه، 1/ 284.

(3) نفسه، 1/ 298.

(4) نفسه، 1/ 357.

(5) نفسه، 1/ 427.

الفصل الثاني ===== نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

التهى عن الأكل لأن القرب من الشيء ينشئ داعية وميلاً»⁽¹⁾، اختار تقرباً بدل تأكلاً توخياً للدقة في تأدية المعنى المقصود.

7- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ

فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ (البقرة: 36) «فالذي أراه أن جمع الضمير مراد به التثنية لكرهية

توالي المثنيات بالإظهار والإضمار من قوله (وَكُلًّا مِنْهَا رَغَدًا) (البقرة: من الآية 35) والعرب يستثقلون ذلك»⁽²⁾، ورد الفعل بصيغة الجمع تجنباً للثقل الذي ينجم عن تثنيته.

8- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 40) «وقوله تعالى: وَأَوْفُوا بِعَهْدِي.

هو فعل مهموز من "وفى"... ولما كان المجرد متعدياً للمفعول ولم يكن في المهموز زيادة تعدية للتساوي بين قولك وفيته حقه وأوفيته حقه تعينت الزيادة لمجرد المبالغة في التوفية...»⁽³⁾، الزيادة في بناء الفعل كانت لأداء وظيفة المبالغة والتأكيد.

9- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: من الآية 55) « وإنما عدي نؤمن باللام

لتضمينه معنى الإقرار بالله ولن نقرّ لك بالصدق والذي دلّ على هذا الفعل المحذوف هو اللام وهي طريقة التضمنين»⁽⁴⁾، الفعل نؤمن ضمّن معنى الفعل نقرّ ليكون أكثر دقة في التعبير عن الإيمان الذي هو الصدق في الإقرار بالله ووحدانيته.

10- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 59) « وتبديل القول تبديل جميع

ما قاله الله لهم، وما حدثهم الناس عن حال القرية وللإشارة إلى جميع هذا بني فعل قيل إلى المجهول إيجازاً. »⁽⁵⁾ لم يذكر مقول القول للإيجاز، ولتحقيق هذا بني الفعل قال إلى المجهول.

(1) المصدر السابق، 432/1.

(2) نفسه، 435 / 1.

(3) نفسه، 452 / 1.

(4) نفسه، 506/1.

(5) نفسه ، 516/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

11- ﴿مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ (البقرة: من الآية 71) «و(مُسَلَّمَةٌ) أي سليمة من عيوب نوعها فهو اسم مفعول من سلمت المبني للمفعول وكثيرا ما تذكر الصفات التي تعرض في أصل الخلقة بصيغة البناء للمجهول في الفعل والوصف إذ لا يخطر على بال المتكلم تعيين فاعل ذلك ومن هذا معظم الأفعال التي التزم فيها البناء للمجهول»⁽¹⁾، ورد اسم المفعول المصوغ من المبني للمجهول بدل الصيغ الأخرى (اسم الفاعل، الصفة المشبهة...) لعدم الحاجة لذكر الفاعل.

12- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: من الآية 124) «والابتلاء افتعال من البلاء، وصيغة الافتعال هنا للمبالغة»⁽²⁾، الزيادة في بناء الفعل ابْتَلَى دلت على المبالغة.

13- ﴿وَيُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ (البقرة: من الآية 228) «و"أحق" قيل: هو بمعنى اسم الفاعل مسلوب المفاضلة، أتى به لإفادة قوة حقهم، وذلك مما يستعمل فيه صيغة أفعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (العنكبوت: من الآية 45) لاسيما إن لم يذكر بعدها مفضل عليه بحرف من، وقيل: هو تفضيل على بابه، والمفضل عليه محذوف»⁽³⁾.

14- ﴿الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ﴾ (البقرة: من الآية 229) «ويجوز أن يكون إمساك وتسريح مصدرين جُعلا بدلين من فعليهما، على طريقة المفعول المطلق الآتي بدلا من فعله، وأصلهما النصب، ثم عدل عن النصب إلى الرفع لإفادة معنى الدوام، كما عدل عن النصب إلى الرفع في قوله تعالى: (قَالَ سَلَامٌ) (هود: من الآية 69) ... فيكون مفيدا معنى الأمر، بالنيابة عن فعله، ومفيد الدوام بإيراد المصدرين مرفوعين، والتقدير فأمسكوا أو سرحوا»⁽⁴⁾.

7-2 اختيار زمن بعينه ترد فيه الصيغة :

تحتزم تراكيب اللغة العربية زمن ورود الصيغ ودلالاته؛ فالتكلم الفصيح يختار عن قصد زمنا معينا ترد

(1) المصدر السابق، 555/1.

(2) نفسه، 701 / 1.

(3) نفسه، 395/2.

(4) نفسه، 406 / 2.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

فيه الصيغة لتأدية وظيفة لغوية لا تؤدي غيره، ومن الوظائف اللغوية التي يؤديها الفعل حسب زمنه:

1- مما يؤديه الفعل المضارع-حسب الحال والمقام- الوظائف التبليغية الآتية: الدلالة على تكرار الفعل ووقوعه مرة بعد أخرى، الدلالة على التجدد، الدلالة على الحال والحدوث، يستعمل لاستحضار الحالة (فضيحة أو منشودة...)، إذا كان منغيا يدل على الاستمرار إلى زمن الحال، وإذا كان مسبوقا بقدر دل على التكرير مثل ربما.

2- وما يؤديه الفعل الماضي-حسب الحال والمقام كذلك- الوظائف التبليغية الآتية: الدلالة على الشمولية لاقتضائه تحقق وقوع الفعل أو قرب وقوعه، التنبيه على تحقيق الفعل، نفيه لا يستلزم الاستمرار إلى زمن الحال بخلاف نفي المضارع. وفي النماذج التي فسرهما الشيخ ابن عاشور ما يدل على كل هذا.

النماذج:

1- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ (البقرة: 3) «صيغة المضارع الدالة على التجدد إيذانا بتجدد إيمانهم بالغيب... إذ لم يكونوا متصفين بذلك إلا بعد أن جاءهم هدى القرآن»⁽¹⁾، فقد كانوا يكفرون بالبعث والميعاد⁽²⁾.

2- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَا أَيُّهَا الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8) «وقوله (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) جيء في نفي قولهم بالجملة الاسمية ولم يجيء على وزان قولهم ءَامَنَّا بأن يقال وما آمنوا لأنهم لما أثبتوا الإيمان لأنفسهم كان الإتيان بالماضي أشمل حالا لاقتضائه تحقق الإيمان فيما مضى بالصراحة ودوامه بالالتزام، لأن الأصل ألا يتغير الاعتقاد بلا موجب، كيف والدين هو هو، ولما أريد نفي الإيمان عنهم كان نفيه في الماضي لا يستلزم عدم تحققه في الحال بل الاستقبال فكان قوله (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) دالا على انتفائه في الماضي بالأولى...»⁽³⁾.

3- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: الآية 15) «وجيء في قوله (اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ) بإفادة التجدد من الفعل المضارع؛

(1) المصدر السابق ، 229/1.

(2) انظر: المصدر نفسه، 230/1.

(3) نفسه، 264/1، 265.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

أي تجدد إملاء الله لهم زمانا إلى أن يأخذهم العذاب»⁽¹⁾؛ فالله سبحانه وتعالى ينزل بهم الهوان ما بقوا يستهزئون بالمسلمين⁽²⁾.

4- ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: من الآية 30) «وأوثر التعبير بالفعل المضارع في قوله (يُفْسِدُ) و (يَسْفِكُ) لأن المضارع يدل على التجدد والحدوث دون الدوام لأنهما ليس بمستمريين من البشر»⁽³⁾. دل المضارع على أن الإفساد والسفك أفعال طارئة غير دائمة عند الإنسان.

5- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ قَالَوا أَلَعَنْ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَنِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ (البقرة: 71) «واختير الفعل المضارع في تثير وتسقي لأنه الأنسب بذلول إذ الوصف شبيه بالمضارع ولأن المضارع دال على الحال»⁽⁴⁾، دل الفعلان تثير وتسقي على زمن الحال؛ ففي هذه الحالة البقرة لا يذلها العمل وتحث الأرض غير أنها لا ترفع المياه لسقي الزروع.

6- ﴿فَذَنِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ﴿٧١﴾ (البقرة: من الآية 71) «وذهب قوم إلى أن كاد إن نفيت بصيغة المضارع فهي لنفي المقاربة وإن نفيت بصيغة الماضي فهي للإثبات وشبهته إن جاءت كذلك في الآيتين (لَمْ يَكْدِ يَرْلُهَا) (النور: من الآية 40) (وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) وأن نفي الفعل الماضي لا يستلزم الاستمرار إلى زمن الحال بخلاف نفي المضارع»⁽⁵⁾، دلّ نفي كاد في صيغة الماضي على إثبات عدم فعلهم لعدم وجود البقرة الموصوفة غير أن هذا النفي لم يستمر ووجدوها بعد عسر فذبحوها.

7- ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ ﴿٨٧﴾ (البقرة: من الآية 87) «وجاء في تقتلون بالمضارع عوضا عن الماضي لاستحضار الحالة الفظيعة وهي حالة قتلهم رسلهم»⁽⁶⁾.
(1) المصدر السابق، 294/1.

(2) انظر: محمد سليمان الأشقر: زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، ص5.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 403/1.

(4) المصدر نفسه، 555/1.

(5) نفسه، 559/1.

(6) نفسه، 598/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

8- ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: من الآية 91) « والإتيان بالمضارع

في قوله (تَقْتُلُونَ) مع أن القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة وقرينة ذلك قوله من قبل» (1).

9- ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ (البقرة: من الآية 144) « وحيء بالمضارع مع قد للدلالة على التجدد

والمقصود تجدد لازمه ليكون تأكيداً لذلك اللازم وهو الوعد، فمن أجل ذلك غلب على قد الداخلة على المضارع أن تكون للتكثير مثل ربما يفعل» (2).

10- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة:

166) «وحيء بالفعل بعد إذ هنا ماضياً مع أنه مستقبل في المعنى لأنه إنما يحصل في الآخرة تنبيهها على تحقق وقوعه فإن درجت على أن إذ لا تخرج عن كونها ظرفاً للماضي على رأي جمهور النحاة فهي واقعة موقع التحقيق مثل الفعل الماضي الذي معها فتكون ترشيحاً للتبعية، وإن درجت على أنها ترد ظرفاً للمستقبل وهو الأصح ونسبه في التسهيل إلى بعض النحاة» (3)، أورد "تبرأ" بصيغة الماضي بدل "يتبرأ" المضارع للإشارة إلى أنه واقع بهم لا محالة.

11- ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ إِلَى اللَّهِ تَرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة: من الآية 210) «... والفعل الماضي هنا مراد منه

المستقبل، ولكنه أتى فيه بالماضي تنبيهاً على تحقيق وقوعه أو قرب وقوعه» (4)، جاء قُضِيَ بدل يُقَضَى للدلالة على القرب والتحقق الأكيد للفعل .

8- نوع الجملة ودلالاته الوظيفية :

نقصد بنوع الجملة هنا الجملة الفعلية والجملة الاسمية.

من الوظائف التداولية لاختيار الجملة الفعلية للتعبير بها: الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل، الدلالة على التجدد والحدوث. ومن الوظائف التداولية لاختيار الجملة الاسمية: الاهتمام بشأن الفاعل، الدلالة على الدوام والثبات.

(1) المصدر السابق، 608/1.

(2) نفسه، 27/2.

(3) نفسه، 96/2.

(4) نفسه، 287/2.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

النماذج:

1- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8) «الجملة الفعلية تدلّ على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكي بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا والجملة الاسمية تدلّ على الاهتمام بشأن الفاعل أي أن القائلين آمنا لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية»⁽¹⁾، لما كان الاهتمام بالفعل قولهم (ءَامَنَّا) كانت الجملة فعلية، ولما كان الاهتمام بالقائلين جاءت اسمية (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ).

2- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّاتِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: 62) «والتعبير في نفي الخوف بالخبر الاسمي وهو "لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ" لإفادة نفي جنس الخوف نفياً قاراً، لدلالة الجملة الاسمية على الدوام والثبات، والتعبير في نفي خوف بالخبر الفعلي وهو يَحْزَنُونَ لإفادة تخصيصهم بنفي الحزن في الآخرة أي بخلاف غير المؤمنين»⁽²⁾، النفي الدائم للخوف - أظن في الدنيا وفي الآخرة - استعملت له الجملة الاسمية لدلالاتها على الدوام، واستعملت الفعلية لنفي الحزن عن المؤمنين في الآخرة وهنا دلت على زمن محدد.

3- ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ (البقرة: من الآية 83) «وقوله (وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ) جملة حالية ولكونها اسمية أفادت أن الإعراض وصف ثابت لهم وعادة معروفة منهم كما أشار إليه في الكشف...»⁽³⁾.

9- الدلالات الوظيفية لبعض الأدوات:

في الجملة عناصر وظيفية أساسية (المسند والمسند إليه) وعناصر إضافية (الظرف، الحال، الأدوات...)

(1) المصدر السابق، 1/ 265.

(2) نفسه، 1/ 540، 541.

(3) نفسه، 1/ 584. وانظر: الزمخشري: تفسير الكشاف، 1/ 78.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

تتباين أهميتها في التواصل حسب المقام والغرض من الكلام. يقول د. يحيى أحمد: « المسند وهو ينقل أقل درجة من دينامية الاتصال. المسند إليه وهو ينقل أعلى درجة من دينامية الاتصال. وبعد هاتين الوحدتين أو قبلهما أو بينهما تأتي الوحدة الانتقالية *Transition* وتكون غالبا من العناصر الإضافية (الظرف، الحال) أو العناصر التي نحتاج إليها لاستقامة الجملة نحويا (أدوات النسخ، أدوات الشرط الخ)»⁽¹⁾. نشير هنا إلى أن الكاتب يستخدم المسند بمعنى المسند إليه والعكس⁽²⁾، بمعنى أن المسند هو الذي ينقل أعلى درجة من دينامية الاتصال، والحادثة التي رواها عبد القاهر عن الكندي الفيلسوف وأبي العباس النحوي، تبين بوضوح أهمية الأدوات ووظائفها في التواصل وتوجيه مقاصد الكلام⁽³⁾.

النماذج:

1- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: 12) «وحرف ألا للتنبيه إعلانا لوصفهم بالفساد... وموقع حرف الاستدراك هنا لأن الكلام دفع لما أثبتوه لأنفسهم من الخلوص للإصلاح فرفع ذلك التوهم بحرف الاستدراك»⁽⁴⁾. الوظيفة التواصلية لاستعمال أداة "ألا" هنا هو التنبيه على أن ما أثبتوا من صلاح لأنفسهم هو الخطأ.

2- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة: الآية 24) «ولذلك حسن موقع لن الدالة على نفي المستقبل فالنفي بها أكد من النفي بلا، ولهذا قال سيبويه لا لنفي يفعل، ولن لنفي سيفعل...»⁽⁵⁾، تدل لن هنا على تأكيد نفي الفعل في المستقبل.

3- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة: الآية 61) « والتعبير بلن المفيدة لتأييد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده فإن التأييد يفيد استغراق النفي في جميع أجزاء الأبد أولها وآخرها فلن في نفي الأفعال مثل لا التبرئة في نفي

(1) الاتجاه الوظيفي، ودوره في تحليل اللغة، ص 78.

(2) انظر: المرجع نفسه، هامش ص 78.

(3) انظر: مضمون الحادثة في الفصل الأول، ص 45.

(4) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 286/1.

(5) المصدر نفسه، 342/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

النكرات»⁽¹⁾. فهم قد أكدوا ضجرهم وعدم صبرهم وتحملهم بالنفي المؤبد بلن.

4- ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ (البقرة: من الآية 80) «وعبر عن نفيم بحرف لن الدال على

تأبيد النفي تأكيداً لانتفاء العذاب عنهم بعد تأكيد، ولدلالة لن على استغراق الأزمان تأتي الاستثناء من عموم الأزمنة بقوله: (إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً) على وجه التفرع... والوصف بمعدودة مؤذن بالقلّة»⁽²⁾.

5- ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 120) «والنفي بلن مبالغة في

التأيس لأنها لنفي المستقبل وتأبيده»⁽³⁾، النفي بلن للتعبير على أن يأسهم بلغ حدا لا يطاق.

6- ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ (البقرة: من الآية 137) «والباء في قوله (بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ

به) للملابسة وليست للتعدي أي إيماناً مماثلاً لإيمانهم»⁽⁴⁾، الوظيفة التبليغية للباء هي إفادة التطابق

المشترط في الإيمان.

7- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمَ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا﴾ (البقرة: من الآية 167) «و(لو) في

قوله "لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ" مستعملة في التمني وهو استعمال كثير لحرف (لو) وأصلها الشرطية حذف

شرطها وجوابها، استعيرت للتمني بعلاقة الزوم لأن الشيء العسير المنال يكثر تمنيه، وسد المصدر مسد

الشرط والجواب، وتقدير الكلام لو ثبتت لنا كرة لتبرأنا منهم.»⁽⁵⁾، استعملت لو هنا لوظيفة التمني

لشيء صعب المنال.

8- ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوْا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ﴾ (البقرة: 168) «ومن في قوله (مِمَّا فِي الْأَرْضِ) للتبعيض، فالتبعيض راجع إلى كون المأكول

(1) المصدر السابق، 522/1.

(2) نفسه، 579/1.

(3) نفسه، 693/1.

(4) نفسه، 741/1.

(5) نفسه، 98/2.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

بعضاً من كل نوع»⁽¹⁾، لا يمكن أن يأكل الناس كل ما في الأرض وللتعبير عن هذا استعملت "من".

9 - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ ءَابَاؤُهُمْ

لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170) «وإنما خُص هذا النوع بحرفي (إن - ولو) في كلام

العرب لدلالتهما على ندرة حصول الشرط أو امتناعه، إلا أنه إذا كان ذلك الشرط نادر الحصول جاءوا معه بأن...، وإذا كان ممتنع الحصول في نفس الأمر جاءوا معه بلو كما في هذه الآية، وربما أتوا بلو لشرط شديد الندرة، للدلالة على أنه قريب من الممتنع، فيكون استعمال لو معه مجازاً مرسلًا تبعياً». ⁽²⁾، صُدِّرت هذه البنية اللغوية بلو لتدل على امتناع حصول الشرط.

10 - ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ (البقرة: من الآية 177) «وعلى في قوله (عَلَى حُبِّهِ)... تفيد مفاد كلمة مع

وتدل على معنى الاحتراس كما هي في قوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا﴾ (الإنسان من الآية 8)» ⁽³⁾.

11 - ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 184) «وجيء في الشرط بكلمة

(إن) لأن علمهم بالأمرين من شأنه ألا يكون محققاً؛ لخباء الفائدتين [فوائده في الدنيا وثوابه في الآخرة].» ⁽⁴⁾. دلت إن هنا على استبعاد تحقق الشرط.

12 - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: من الآية

206) «وقوله "بالإثم" الباء فيه للمصاحبة أي أخذته العزة الملازمة للإثم والظلم وهو احتراس لأن من العزة

ما هو محمود قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (المنافقون: من الآية 8)؛ أي فمنعته من قبول

الموعظة وأبقته حليف الإثم الذي اعتاده لا يرفعوي عنه وهما قرينان.» ⁽⁵⁾. تدل الباء على أن كثيراً من العزة

(1) المصدر السابق ، 2 / 102.

(2) نفسه، 2/109.

(3) نفسه، 2/130.

(4) نفسه، 2/168.

(5) نفسه، 2/271.

قرين للإثْم مع ما في هذا من احتِراس.

13- ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ

وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلاَّ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾

(البقرة: 214) «ومتى استفهام مستعمل في استبطاء زمان النصر» ⁽¹⁾. دلت "متى" في هذا المقام على شدة انتظار النصر.

14- ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢١٥﴾»... وأدخل الفاء في خبر الموصول للتنبيه على

تسبب استحقاق الأجر على الإنفاق لأن المبتدأ لما كان مشتملاً على صلة مقصود منها التعميم، والتعليل، والإيماء إلى علة بناء الخبر على المبتدأ-وهي ينفقون-صح إدخال الفاء في خبره كما تدخل في جواب الشرط، لأن أصل الفاء الدلالة على التسبب وما أدخلت في جواب الشرط إلا لذلك» ⁽²⁾، الوظيفة التبليغية للفاء في هذه البنية اللغوية هي الدلالة على أن الإنفاق يؤدي إلى الأجر والأمن وعدم الحزن.

15- ﴿وَأَعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢١٦﴾

(البقرة: من الآية 286) «وفي التفريع بالفاء إيدان بتأكيد طلب إجابة الدعاء بالنصر» ⁽³⁾.

10- خروج الأساليب والأدوات عن معناها الأصلي لغرض تواصلية النماذج:

1- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا﴾ (البقرة: من الآية 28) «والاستفهام هنا مستعمل في الإنكار

والتعجب بدليل (وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا)» ⁽⁴⁾. خرج الاستفهام بكيف عن معناه الأصلي ليؤدي وظيفة تواصلية تتمثل في التحذير من الكفر بالله وإنكاره.

(1) المصدر السابق، 316/2.

(2) نفسه، 77/3.

(3) نفسه، 142/3.

(4) نفسه، 374/1.

2- ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (البقرة: من الآية 30) « والاستفهام مشوب بالتعجب،

فمراد الله من خلق الأرض صلاحها»⁽¹⁾ دلت أداة الاستفهام على التعجب من الإفساد في الأرض.

3- ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ

مُبِينٌ﴾ (البقرة: 168) «فإن تفيد معنى التعليل والربط في مثل هذا وتغني غناء الفاء وهو شأنها بعد الأمر

والنهي على ما في دلائل الإعجاز، ومثله قول بشار:

بكرًا صاحبي قبل الهجير
إن ذاك النجاح في التكير»⁽²⁾.

خرجت "إن" هنا عن المعنى المألوف لها لتغني عن الفاء الرابطة والمسببة.

المبدأ الثالث: تحقيق الكفائتين التداولية والنفسية

1- الكفاية التداولية :

تتحقق الكفاية التداولية في اللغات الطبيعية، والتي من ضمنها اللغة العربية^(*)، إذا كان هناك تفاعل بين البنية اللغوية بخصائصها ووظيفتها في إطار المبادئ والقواعد التي تحكم التفاعل اللغوي، فالتراكيب وأشكالها تابعة لوظيفتها التداولية في الواقع اللغوي، « ويترتب عن ذلك أن العبارات اللغوية يجب أن تعد لا كذوات منعزلة بل كأدوات يستعملها المتكلم داخل سياق تحدده العبارات السابقة»⁽³⁾. وفي التراث العربي نجد النحاة والبلاغيين قد راعوا في تحليلاتهم اللغوية التفاعل القائم بين بنية الخطاب أو المقال ومقتضيات واقع إنجاز أي المقام، فاستنتجوا ورصدوا وظائف تداولية للغة والتي منها ظاهرة "التخصيص" وظاهرة "العناية" وظاهرة "التوكيد" وظاهرة "الحصر"⁽⁴⁾، والمفهوم الوظيفي الذي يقدمه "فرباس" للجملة والذي يسميه دينامية الاتصال يحدده انطلاقاً من السياق الفعلي لها⁽⁵⁾، فأداة التعريف مثلاً تجعل الكلمة في (1) المصدر السابق، 403/1.

(2) نفسه، 104/2.

(*) وحول كون اللغة العربية لغة طبيعية يلجأ عبد القادر الفاسي الفهري إلى افتراض نفي أن تكون العربية غير طبيعية أو معقدة. انظر: اللسانيات

واللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1985، ص134.

(3) المتوكل: قضايا اللغة العربية، ص19.

(4) انظر: المتوكل: الوظائف التداولية، ص8.

(5) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي، ودوره في تحليل اللغة، ص77.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

بعض التراكيب أقل دينامية أو أقل تفاعلا فهي يشار بها إلى شيء معهود أو معروف لدى المخاطب⁽¹⁾، و«توزيع درجات دينامية الاتصال في الجملة هو حيلة تضافر ثلاثة عوامل هي : السياق، نسق الجملة، والبنية الدلالية. أما المجال الذي تتوزع خلاله دينامية الاتصال فهو الحدث الكلامي بأكمله.»⁽²⁾، ويظهر لنا مدى مراعاة تحقق الكفاية التداولية في تحليلات الشيخ ابن عاشور- وإن لم يقصد ذلك- في إبراز التفاعل والتناسق الموجود بين البنيات اللغوية بوجوهها المختلفة ووظيفتها التواصلية التي وجدت من أجلها وذلك أثناء الواقع التواصلية وفي إطار التداول.

النماذج:

1- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة:2) «فإن قوله تعالى ذَلِكَ الْكِتَابُ مع قرب الكتاب للناطق بآياته عدول عن إشارة القريب إلى البعيد فأفاد التعظيم»⁽³⁾، أشار بذلك التي تشير للبعيد إلى قريب (القرآن الكريم قريب من الناطق بآياته) لتعظيمه، وهذا العدول أظهر مدى التفاعل بين البنية والوظيفة أثناء الكلام .

2- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة:34) «...وأما الإتيان بخبر كان (مِنَ الْكَافِرِينَ) دون أن يقول وكان كافرا...على أن الواحد يزداد تمسكا بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة... ولم يكن يومئذ جمع من الكافرين بل كان إبليس وحيدا في الكفر...»⁽⁴⁾، عبر بصيغة الجماعة لغرض وظيفي تداولي هو أن الجماعة عند تأييدها لموقف تزيد من تمسك صاحبه به .

3- ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: من الآية 51) «وقوله وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ حال مقيدة لاتخاذتم ليكون اتخاذ مقترنا بالظلم من مبدئه إلى مناهة وفائدة الحال الإشعار بانقطاع عذرهم فيما صنعوا»⁽⁵⁾، دلّ وجود عبارة الحال على أن اتخاذ العجل هو ظلم لا عذر لهم فيه.

(1) انظر: المرجع السابق، ص 79.

(2) نفسه، ص 80.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 297/1.

(4) المصدر نفسه، 427/1.

(5) نفسه، 500/1.

4- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ (البقرة: من الآية 55) «ووجه العدول عن أن

يقول عياناً إلى قوله جهرة لأن جهرة أفصح لفظاً لخفته، فإنه مبدوء بحرف حلق والابتداء بحرف الحلق أتعب للحلق من وقوعه في وسط الكلام ولسلامته من حرف العلة وكذلك يجتبي البلغاء بعض الألفاظ على بعض لحسن وقعها في الكلام وخفتها على السمع وللقرآن السهم المعلى في ذلك وهو في غاية الفصاحة»⁽¹⁾، اختار لفظ "جَهْرَةً" لأنها تؤدي الغرض التواصل، وفيها مراعاة لحال الناطق بها، والمستمع لها.

5- ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ تُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: من الآية 61) «ومقتضى الظاهر أن يقال أن يخرج لنا فعدل عن ذلك إلى الإتيان بفعل مجزوم في صورة جواب طلبهم إيماء إلى أنهم واثقون بأنه إن دعا ربه أجابه حتى كأن إخراج ما تنبت الأرض يحصل بمجرد دعاء موسى ربه»⁽²⁾، يظهر التفاعل بين البنية والوظيفة في هذا التركيب في دلالة الفعل عند عدم تحليله بأن على ثقتهم بمكانة موسى عند الله **وَعَلَىٰ**.

6- ﴿قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَّا

سَأَلْتُمْ﴾ (البقرة: من الآية 61)؛ و اقتران الجملة بأن المؤكدة لتزليلهم مترلة من يشك لبعد عهدهم بما سألوه حتى يشكون هل يجدونه من شدة شوقهم، والحب بسوء الظن مغرى»⁽³⁾، نُزِّلُوا باستعمال إن مترلة الشاك في الاستجابة لسؤاله، ولهذا كان التأكيد.

7- ﴿فَذَنُّوْهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: من الآية 71) «وذهب قوم منهم أبو الفتح بن جني وعبد

القاهر وابن مالك في التسهيل إلى أن أصل كاد أن يكون نفيها لنفي الفعل بالأولى كما قال الجمهور إلا أنها قد يستعمل نفيها للدلالة على وقوع الفعل بعد بقاء وجهه وبعد أن كان بعيداً في الظن أن يقع وأشار عبد القاهر إلى أن ذلك استعمال جرى في العرف»⁽⁴⁾، استعمال كاد دلّ على أن فعل الذبح وقع بعدما ظنوا عدم وقوعه، وهنا يظهر تفاعل البنية مع الوظيفة.

(1) المصدر السابق، 507/1.

(2) نفسه، 522 / 1.

(3) نفسه، 526/1.

(4) نفسه، 558/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

8- ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ (البقرة: من الآية 75) «والفاء لتفريع الاستفهام الإنكاري أو التعجبي على جملة (ثُمَّ قَسَتْ) (البقرة: من الآية 74) أو على مجموع الجمل السابقة لأن جميعها مما يقتضي اليأس من إيمانهم بما جاء به النبي ﷺ فكأنه قيل فلا تطمعوا أن يؤمنوا لكم، أو فاعجبوا من طمعكم...»⁽¹⁾، يفهم من سياق ومقام الكلام أن الاستفهام يدل على النفي.

9- ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: من الآية 112) «وجمع الضمير في قوله (وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) اعتباراً بعموم مَنْ، كما أفرد الضمير في قوله (وجهه وهو محسن) اعتباراً بإفراد اللفظ وهذا من تفنن العربية لدفع سامة التكرار.»⁽²⁾، روعي في هذا التركيب حال المخاطبين وذلك بدفع السأم عنهم، وفي هذا نلمس التفاعل بين بنية اللغة وخصائصها.

10- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ (البقرة: من الآية 119) «وجيء بالمسند إليه ضمير الجلالة تشرifa للنبي ﷺ بعزّ الحضور لمقام التكلم مع الخالق تعالى وتقدس كأن الله يشافهه بهذا الكلام بدون واسطة فلذا لم يقل له إن الله أرسلك»⁽³⁾، جيء بصيغة المخاطب لإظهار مكانة النبي ﷺ عند الله سبحانه وتعالى.

11- ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ (البقرة: من الآية 120) «والتصريح بلا النافية بعد حرف العطف في قوله (وَلَا النَّصَارَىٰ) للتنصيص على استقلالهم بالنفي وعدم الاقتناع باتباع حرف العطف لأنهم كانوا يظن بهم خلاف ذلك لإظهارهم شيئاً من المودة للمسلمين»⁽⁴⁾، استقل نفي رضا النصارى بغية إظهار موقفهم وكشف ما أسروا.

12- ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (البقرة: من الآية 124) «وتقديم المفعول وهو لفظ إبراهيم لأن المقصود تشريف إبراهيم بإضافة اسم رب إلى اسمه مع مراعاة الإيجاز فلذلك لم يقل و إذا ابتلى الله

(1) المصدر السابق، 566/1.

(2) نفسه، 675/1.

(3) نفسه، 691/1.

(4) نفسه، 693/1.

إبراهيم»⁽¹⁾، التقديم هنا للاهتمام والتشريف، وإظهار المكانة.

13- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ

أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ (البقرة: 159) «وقوله (أُولَٰئِكَ) إشارة إلى الذين يكتُمون، وسط اسم الإشارة بين اسم إن وخبرها للتنبيه على أن الحكم الوارد بعد ذلك قد صاروا أحرىء به...»⁽²⁾، للتعبير على أن اللعنة حربة بالكاتمين لما أنزل الله استعمل اسم الإشارة فاصلاً بين المبتدأ وخبره، وفي هذا الفصل كذلك إبراز لهذا الحكم.

14- ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ (البقرة: 172) «والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر لأن في الاسم الظاهر إشعاراً بالإلهية فكأنه يومئ إلى ألا تشكر الأصنام»⁽³⁾، في إظهار لفظ الجلالة تعظيم له وفيه إشارة إلى وجوب شكر رازق الطيبات وعبادته وتحريم شكر الأصنام وعبادتها.

15- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُم عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ (البقرة: من الآية 253) «وحيء بالإشارة لما فيه من الدلالة على الاستحضار حتى كأن جماعة الرسل حاضرة للسامع... وقرن اسم الإشارة بكاف البعد تنويها بمراتبهم كقوله (ذلك الكتاب)»⁽⁴⁾، في الإشارة للقريب بصيغة البعيد تشريف وتنويه.

2- الكفاية النفسية :

يكون النحو كافياً نفسياً إذا طبقت نماذج النماذج النفسية (الواقعية النفسية)؛ أي يطابق ما في ذهن المتكلم ما في ذهن السامع أثناء إنتاج الكلام وفهمه، فيكون السلوك اللغوي، أو الكلام الملفوظ ظلاً يتبع الكلام النفسي، ويتولى هذا العقلُ بصنع الفكرة قبل النطق بها. ولذا «يلغي النحو الوظيفي من نموذج النحو القواعد التي شكك في "واقعيتها النفسية" كالقواعد التحويلية على سبيل المثال»⁽⁵⁾، وذلك لكون

(1) المصدر السابق، 702/1.

(2) نفسه، 67/2.

(3) نفسه، 114/2.

(4) نفسه، 05/3.

(5) أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص 10.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

القواعد التحويلية ترى أن الكثير من البنيات اللغوية تنتج عن طريق التحويل بواسطة الحذف أو الزيادة أو التقديم أو التأخير... بخلاف النحو الوظيفي الذي يرى أنها تُنتج هكذا ولا تحويل فيها، والشكل الذي قيلت به هو أصلها الذي يطابق واقعها النفسي والتداولي. من ذلك الحذف في التركيب مثلاً يكون أولى للفهم وأنس للنفس من الإظهار أو النطق. يقول "الرماني" عن حذف الجواب في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر: 73): «وإنما صار الحذف في هذا أبلغ من الذكر لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان»⁽¹⁾.

النماذج:

- 1- ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: من الآية 25) وقوله (وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) احتراس من توهم الانقطاع بما تعودوا من انقطاع اللذات في الدنيا⁽²⁾، في الآية مراعاة لما قد تذهب إليه أنفس المخاطبين وذلك بقطع ما قد يتوهمون.
- 2- ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 34) «...وغير أسلوب إسناد القول إلى الله فأتي به مسنداً إلى ضمير العظمة (وَإِذْ قُلْنَا) وأتي به في الآية السابقة مسنداً إلى ربّ النبي (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ) (البقرة: من الآية 30) للفتن ولأنّ القول هنا تضمن أمراً بفعل فيه غضاظة على المأمورين فناسبه إظهار عظمة الأمر وأمّا القول السابق فمجرد إعلام من الله بمراده ليظهر رأيهم»⁽³⁾، يوضح هذا التحليل أنّ اختلاف البنيات اللغوية يكون تابعا لوظائفها التواصلية، وهذا ما يبين تفاعل البنية كيفما كان شكلها مع وظيفتها.
- 3- ﴿يَبْنَیٰٓ إِسْرَءِیْلَ اذْكُرُوا نِعْمَتَیَ الَّتِیْ اَنْعَمْتُ عَلَیْكُمْ وَاَوْفُوا بِعَهْدِیْ اَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَاِیَّیْ فَارْهَبُوْنَ﴾

(1) شفيق السيد: البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1996، ص18.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 357/1.

(3) المصدر نفسه، 421/1.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

﴿البقرة: 40﴾ «افتتاح خطابهم بهذا التذكير [بالنعم] تهينة لنفوسهم إلى تلقي الخطاب بسلامة طوية

وإنصاف (أوفوا بعهدي)» ⁽¹⁾ التذكير بالنعم قبل الأمر المراد فيه تحضير للنفس لقبوله.

4- ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿البقرة: من الآية 51﴾ «وحذف المفعول الثاني لاتخاذتم لظهوره وعلمهم به ولشناعة ذكره وتقديره معبودا أو إلها» ⁽²⁾، لم يذكر المفعول الثاني تترها عن ذكره ولكي لا يظن المخاطب في كونه معبودا.

5- ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ﴿البقرة: من الآية 52﴾ «وقوله لعلكم تشكرون رجاء لحصول شكرهم وعدل عن لام التعليل إيماء إلى أن شكرهم مع ذلك أمر يتطرقه احتمال التخلف فذكر حرف الرجاء دون حرف التعليل من بديع البلاغة» ⁽³⁾. عبر عن احتمال تخلف شكرهم انطلاقا من معرفة خبايا أنفسهم بأداة الترجي دون حرف التعليل، وهذه البنية أدت بدقة وظيفة تصوير حالهم.

6- ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿البقرة: من الآية 58، 59﴾ «وفائدة إظهار لفظ القول دون أن يقال فبدلوه لدفع توهم أنهم بدلوا لفظ حطة خاصة وامثلوا ما عدا ذلك لأنه لو كان كذلك لكان الأمر هيئا» ⁽⁴⁾.

7- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿البقرة: 62﴾ «فمجيء (إن) هنا لمجرد الاهتمام بالخبر وتحقيقه لدفع توهم أن ما سبق من المذمات شامل لجميع اليهود» ⁽⁵⁾، ليؤكد خروج الذين آمنوا بالله وباليوم الآخر وعملوا الصالحات من جملة اليهود مما سبق من الذم استعمل "إن".

(1) المصدر السابق، 1/ 452.

(2) نفسه، 1/ 499.

(3) نفسه، 1/ 501.

(4) نفسه، 1/ 516.

(5) نفسه، 1/ 531.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

8- ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ (البقرة: ٨٧، ٨٨)

وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ (البقرة: من الآيتين 87، 88) «ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وإبعاد لهم عن مقام الحضور فهو من الالتفات الذي نكته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفضاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه»⁽¹⁾، وقع الالتفات للإشعار بقبح كفرهم .

9- ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: 98)

«...ولهذا ذكر اسم الجلالة بلفظه الظاهر ولم يقل فَإِنِّي عَدُوٌّ أَوْ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لما يشعر به الظاهر هنا من القدرة العظيمة على حد قول الخليفة "أمير المؤمنين يأمر بكذا" حثا على الامتثال»⁽²⁾، أظهر لفظ الجلالة للفت الانتباه وشدّ الأنفس وإبراز العظمة.

10- ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة: من الآية 165)

«وجواب لو محذوف لقصد التفخيم وتحويل الأمر لتذهب النفس في تصويره كل مذهب ممكن»⁽³⁾، ذكر جواب لو ينهي مخاوفهم ويحدد ما هُددوا به، ولذا كان الحذف أكثر تأثيرا على أنفسهم .

11- ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: 166)

«وجملة (رَأَوُا الْعَذَابَ) حالية... وهي مغنية عن الاستئناف الذي يقتضيه المقام لأن السامع يتساءل عن موجب هذا التبرؤ فإنه غريب فيقال رأوا العذاب فلما أريد تصوير الحال وتحويل الاستفظاع عدل عن الاستئناف إلى الحال»⁽⁴⁾، عدل عن الاستئناف إلى الحال لنقل فضاة الموقف.

12- ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: من الآية 211)

(1) المصدر السابق، 599/1.

(2) نفسه، 624/1.

(3) نفسه، 94/2.

(4) نفسه، 97/2.

الفصل الثاني = نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

«وإظهار اسم الجلالة هنا مع أن مقتضى الظاهر أن يقال: فإنه شديد العقاب، لإدخال الروع في ضمير السامع وتربية المهابة»⁽¹⁾.

13- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية 217) «وقوله: "قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ" إظهار لفظ القتال في مقام الإضمار ليكون الجواب صريحا حتى لا يتوهم أن الشهر الحرام هو الكبير وليكون الجواب على طبق السؤال في اللفظ»⁽²⁾، أظهر لفظ القتال للدقة ولإزالة اللبس.

14- ﴿تِلْكَ أَلُمُوسُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِّنْهُمْ مَّنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (البقرة: من الآية 253) «وقد خص الله من جملة الرسل بعضا بصفات يتعين بها المقصود منهم، أو بذكر اسمه، فذكر ثلاثا إذ قال: منهم من كلم الله، وهذا موسى عليه السلام لاشتهاره بهذه الخصلة العظيمة في القرآن، وذكر عيسى عليه السلام، ووسط بينهما الإيمان إلى محمد ﷺ بوصفه، بقوله: (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ). وقوله: (وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ) يتعين أن يكون المراد من البعض هنا واحدا من الرسل معين لا طائفة... وعليه فالعدول من التصريح باسم أو بالوصف المشهور به لقصد دفع الاحتشام عن المبلغ الذي هو المقصود من هذا الوصف وهو محمد ﷺ، والعرب تعبر بالبعض عن النفس كما في قول لبيد:

تَرَاكُ أَمَكْنَةُ إِذَا لَمْ أَرْضَهَا أَوْ يَعْتَلِقُ بَعْضَ النَفُوسِ حَمَامُهَا
أَرَادَ نَفْسَهُ»⁽³⁾.

15- ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ كُنَّا سَآئِفًا أَوْ آخِطَانًا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: من الآية 286) «وقوله (رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا) الخ فصل بين الجملتين المتعاطفتين، بإعادة النداء، مع أنه مستغنى عنه، لأن مخاطبة المنادى مغنية عن

(1) المصدر السابق، 293/2.

(2) نفسه، 325/2.

(3) نفسه، 06/3.

الفصل الثاني نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير

إعادة النداء لكن قصد من إعادته إظهار التذلل «⁽¹⁾. قصد بإعادة النداء التأكيد على فضل الدعاء وإظهار التذلل إلى الله سبحانه وتعالى.

(1) المصدر السابق ، 140/3.

الفصل الثالث

السُّمَات الوظيفية عند ابن عاشور

(ملاحح المنحى الوظيفى فى تفسير التحرير والتنوير)

بعدما تطرقنا لمبادئ النحو الوظيفي في الفصل الثاني لا حظنا أنّ أغلبها طبّق في تفسير الشيخ ابن عاشور والشواهد على ذلك كثيرة وهي مسجلة مرتبة حسب أرقام الآيات في سورة البقرة وهي نماذج حيّة - تجنّبنا فيها التكرار إلا ما ندر رغم دلالة العديد منها على سمات وظيفية كثيرة - تدلّ على وظيفية الشيخ ابن عاشور، وبعد الاستقراء والتمحيص في هذه النماذج وجدنا أنه يعتبر أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل ونلمس هذا من خلال كل شواهد التفسيرية، ولا يخفى أن هذا المبدأ الوظيفي تفرقه المدارس الحديثة الوظيفية وغير الوظيفية، يقول المسدي: «ولما انصبت الرؤية العلمية الحديثة على الحد بالوظيفة أكثر من الحد بالبنية العضوية... فإن اللغة قد غدت وحدها الكفيلة بإعطاء المرء مقوماته الإنسانية عبر تمكينه من إجراء العملية التواصلية»⁽¹⁾، وما يعكس النهج الوظيفي للشيخ ابن عاشور في تفسيره وفي نظراته اللغوية ملامح المنحى الوظيفي وسمات الوظيفية التي تظهر من خلال ما يأتي:

1- الربط بين البنية والوظيفة:

ترى جل المدارس الوظيفية أنّ البنية انعكاس للوظيفة ووجدت من أجلها فكما هي الألفاظ خدم للمعاني البنية خدم للوظيفة ولا يمكن وجود الأولى إلا للثانية، وهذا المبدأ اعتُبر أساساً ونقطة انطلاق لكل تحليل وظيفي؛ فتحليل البنى يكون انطلاقاً من تعبيرها عن وظيفة خصت بها في ظروف مقامية خاصة وفي سياقات معينة، وعلى أساس من هذا يكون الكلام وبنية التركيب وشكله «ويدو لنا شخصياً أن إشارة العرب القدماء إلى أن الوظائف الدلالية لها دور في تحديد رتبة المكونات لا تخلو من معقولة، على مستوى الحدس على الأقل»⁽²⁾، والوظيفية العربية ممثلة في الشيخين الجرجاني والسكاكي لم تكن تهمل في تحليلها توجيه الوظيفة للكلام وبنياته اللغوية وما تفرضه الوظائف التداولية من بنيات خاصة «ويعني هذا بعبارة أخرى أنهم اعتبروا في تحليلهم لهذه المجموعة من الظواهر أن الوظائف التداولية (التخصيص، العناية، الحصر...) تحدد بنية الجملة التي تسند إلى أحد مكوناتها. فالمكون "قصيدة" في الجملة: قصيدة ألفت (لا كتاباً)، مثلاً، يحتلّ الموقع الصدر لأنه حامل لوظيفة تداولية معينة: وظيفة التخصيص»⁽³⁾، وقد ذكرنا فيما سبق أن الشيخ ابن عاشور كان متأثراً بما تأثر بالشيخين الجرجاني والسكاكي وهما أحسن ممثل للوظيفية العربية، فقد لاحظنا اهتمامه الشديد بالارتباط التداولي بين البنية والوظيفة. يمثل ما وجدناه عند الشيخين

(1) اللسانيات وأسسها المعرفية، ص 36.

(2) المتوكل : الوظائف التداولية، ص 50.

(3) المرجع نفسه، ص 8.

وأحيانا بصورة أدق وأوضح⁽¹⁾.

2- الانطلاق من الواقع الاستعمالي (المقام وسياق الحال):

المقام: هو مجموع العلاقات والملايسات والظروف الاجتماعية التي تكون أساسا لدراسة السلوك اللغوي مرتبطا بالسلوك الاجتماعي، وهو غالبا ما يعرف بسياق الحال (المقام)، وهو كل ما يشترك بين المرسل والمتلقي في الوضعية الثقافية والنفسية، والتجارب والمعارف⁽²⁾، ويحدد معنى المقام قاليسون وكوست *Galisson et Coste*: «المقام هو مجموع شروط إنتاج القول، وهي الشروط الخارجة عن القول ذاته»⁽³⁾.

وقد حظي المقام في كل الدراسات اللغوية السابقة باهتمام كبير وذلك لتأثيره البارز في إنتاج الكلام أولا وتوجيه معناه ثانيا؛ فمن قواعدهم في البلاغة: لكلّ مقام مقال -مراعاة سياق الحال... وفي النحو: التخصيص - العناية - الحصر... وفي التفسير: أسباب التزول، وفي الأصول: المطلق المقيد، العام الخاص، الضرورات تقدر بمقاديرها، وفي كل هذا دلالة على أنّ الجمل لا تولد وحدها بدون سياق أو إحالة قبلية أو بعدية سواء كانت لغوية أو غير لغوية.

وعناصر المقام كما حصرها "فند ليش *Wunderlich*" هي: المشاركون في التبليغ: - المتكلمون والمستمعون - مكان التفاعل - القول (اللغوية، شبه اللغوية وغير اللغوية) - مقاصد المتكلمين *Intention* - ترقبات *Attentes* المتكلم والمستمع - مساهمة المشاركين في الموضوع - معارفهم اللغوية - المعايير الاجتماعية - شخصياتهم وأدوارهم⁽⁴⁾.

وممن دعا إلى دراسة المعنى وتحليله بالاعتماد على المقام (*Context of situation*) اللغوي المعاصر فيرث (*Firth* 1960) فقد دعا إلى الاعتماد على المقام لكشف ظروف الكلام وملايساته، وكل هذا أشار إليه علماء اللغة العرب القدامى ويظهر من خلال اهتمامهم بطرفي الخطاب (المخاطب والمخاطب)، من ذلك قول الشاعر:

على الحكم المآتي يوماً إذا قضى * قضيته أن لا يجورَ ويقصدُ

(1) انظر: النماذج المحللة في الفصل الثاني.

(2) انظر: عبد الجبار توامة: *زمن الفعل في اللغة العربية*، قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص 10، 11.

(3) قاليسون وكوست في: *الجيلالي دلاش*: مدخل إلى اللسانيات التداولية، ص 41.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص 40، 41.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

فقد ذكر القدماء أنه ينبغي القطع وعدم الوصل بين الفعلين أن / لا يجوزَ / و / يقصدُ / بعدم الإشراف بينهما في النصب حتى لا ينتقض المعنى، وسياق الحال يوضح ذلك. ولا يعني أنهم في تحليلهم هذا يركزون على العلامة الإعرابية بقدر ما يركزون على الوظيفة التداولية لهذا التركيب في حدود ما يقتضيه سياق الحال أو المقام الذي يرد فيه، «ومعلوم أن الوظيفة لا تتشكل أو تؤدّي إلا في سياق، وهو ما يدعى عند علماء اللغة المعاصرين بالموقف الكلامي، وعند علماء العرب بقرينة المقام.»⁽¹⁾، وعن اهتمام اللغويين العرب بالمقام يقول المتوكل: «واللافت للنظر في معالجتهم لهذه الظواهر [التخصيص، العناية، التوكيد، الحصر] أنهم علّلوا الخصائص البنيوية المميزة للبنىات المعنية بالأمر انطلاقاً من أنماط المقامات التي تنجز فيها»⁽²⁾.

ومن أمثلة التحليلات الوظيفية عند علماء اللغة العرب ضرورة حمل حتى على الابتداء وعدم نصب ما يليها من الفعل. كقول حسان بن ثابت:

يُغشّون حتى ما تهرُّ كلابهم لا يسألون عن السّواد المُقبل⁽³⁾.

لأن المقام مدح، وغرض الشاعر تقرير كرم آل ممدوحه عند السامع فاتخذ من عدم نباح كلابهم كناية على كثرة ضيوفهم، وأنهم في سعة ولا يخافون كثرة الجموع إن نزلوا منازلهم. ولو نصب (لا تهرُّ) لجعله غاية للغشيان وهو مناف للمعنى المقامي المقصود⁽⁴⁾.

وللسّياق دور كبير في توجيه معنى العبارات ودلالات المفردات فما نجده حسناً وفصيحا في سياق تواصلية معين يكون مرفوضاً ومحالاً في سياق آخر، هذا «ولا بد من ملاحظة الضغوط السياقية في الجملة الكلامية، فتوزيع الوحدات الصغرى فيها يخضع لضغوط متجانسة.»⁽⁵⁾، كما أن السياق والعناصر الخارجة عن الإطار التركيبي للغة يساعدان على تحديد وظائف البنىات اللغوية.

والمنحى الوظيفي يربط بين النظام اللغوي وكيفية استعماله لتأدية وظيفة التواصل، انطلاقاً من ظروف المقام، ويتمثل هذا الرّبط في ثلاثة مظاهر⁽⁶⁾:

(1) صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص 208.

(2) المتوكل: الوظائف التداولية، ص 8.

(3) انظر: الدلائل: ص 441.

(4) انظر: الكتاب، 19/3، وانظر: عز الدين مجدوب: المنوال النحوي العربي، ص 169.

(5) محمد الحناش: البنيوية في اللسانيات، ص 335.

(6) انظر: يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص 71، 72.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

1- الخيارات المتعدّدة المتاحة للمتكلّم من الأبنية والتراكيب المختلفة، فكل تركيب يؤدي وظيفة مختلفة عن وظيفة التركيب الآخر.

2- امتداد جذور اللغة إلى البنى الاجتماعية، فلا يمكن فصل اللغة عن الثقافة: التراث والعادات والتقاليد.

3- مساهمة عناصر اللغة مجتمعة في أداء الوظيفة التبليغية التي يريد المتكلّم توصيلها.

وهذه المظاهر الثلاثة لم يهملها لغويو مدرسة براغ فقد كانوا يجمعون في تحليلهم للكلام ومحتواه الدلالي (*Semantic content*) بين مستويات اللغة (النحوي والأسلوبي) وحقائق العالم الخارجي (مشاعر مستعملي اللغة، معطيات ومتغيرات البيئة...)؛ فلم يكن تحليلهم تجريديا يفصل المعنى عن الاستعمال اللغوي، وإنما اتخذ منحى وظيفيا، وهذه الفكرة شاعت أكثر ووظفت توظيفا مثاليا مع مدرسة لندن من خلال نظرية سياق الحال⁽¹⁾.

ولكي يتم تحليل معنى الجملة حسب مقتضيات سياق "الحال"، ينبغي الأخذ بعين الاعتبار العناصر التالية⁽²⁾:

1- الحقائق المتعلقة بالمشاركين في الحدث اللغوي، كأن نذكر مثلا إذا كان المشارك طفلا أو رجلا ناضجا ذا مكانة اجتماعية مرموقة، أو امرأة. ويندرج تحت هذا العنوان الخلفية الثقافية للمتكلّمين.

2- الأحداث اللغوية نفسها، أي العبارات المنطوقة بالفعل وكيفية نطق الجملة أو الجمل من حيث التنغيم والنبر الخلافي، وما يصاحب هذه الأحداث اللغوية من مظاهر لغوية غير منطوقة، كحكة اليدين وتعابير الوجه.

3- الأمور المادية التي لها صلة مباشرة بالحدث اللغوي (*Relevant objects*).

4- أثر العبارات اللغوية المنطوقة فعلا (أي ما يستتبع المنطق من سلوك اعتمادا على العبارات المنطوقة) فقد تؤثر جملة ما على أحد السامعين، ولكن لا تترك نفس الأثر في سامع آخر لاختلاف العادات والتقاليد. والنماذج التي يراعي فيها ابن عاشور الواقع الاستعمالي وسياق الحال اللذين يحققان ما يسمى في الدرس الوظيفي المعاصر بالكفاية التداولية كثيرة ومنها اخترنا:

* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8) «وفي التعبير يقول في مثل هذا المقام إيماء إلى أن ذلك قول غير مطابق للواقع لأن الخبر المحكي عن الغير إذا لم يتعلق الغرض

(1) انظر: المرجع السابق، ص 75.

(2) انظر: المرجع نفسه، ص 82، 83.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

بذكر نصه وحكي بلفظ يقول، أوماً ذلك إلى أنه غير مطابق لاعتقاده أو أن المتكلم يكذبه في ذلك، ففيه تمهيد لقوله (وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ) ⁽¹⁾.

* ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ (البقرة: من الآية 24) «مفعول تفعلوا محذوف يدلّ عليه السياق؛ أي فإن لم تفعلوا ذلك، أي الإتيان بسورة مثله» ⁽²⁾.

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ ﴿١٢﴾﴾ (البقرة: 63) «وضمائر الخطاب لتحميل الخلف تبعات السلف كيلا يقعوا في مثلها وليستغفروا لأسلافهم عنها» ⁽³⁾، يفهم هذا انطلاقاً من السياق الذي وردت فيه الآية.

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: من الآية 83) «وقوله (لَا

تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ) خبر في معنى الأمر ومجيء الخبر للأمر أبلغ من صيغة الأمر لأن الخبر مستعمل في غير معناه لعلاقة مشاهمة الأمر الموثوق بامتثاله بالشيء الحاصل حتى أنه يخبر عنه» ⁽⁴⁾، سياق الحال وما ورد من آيات أخرى جاءت بصيغة الأمر هو الذي يحيل على هذا المعنى.

* ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: من

الآية 144) «وقد دل التعريف في قوله (أَنَّهُ الْحَقُّ) على القصر أي يعلمون أن الاستقبال للكعبة هو الحق دون غيره» ⁽⁵⁾، من السياق الذي وردت فيه الآية يتضح المقصود بالحق.

* ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ (البقرة: 155) «(وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ) معطوفة على (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ) والخطاب للرّسول

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1/ 263.

(2) المصدر نفسه، 1/ 342.

(3) نفسه، 1/ 541، 542.

(4) نفسه، 1/ 582.

(5) نفسه، 2/ 34.

عليه السلام بمناسبة أنه ممن شمله قوله (وَلَبَلُونَكُمْ) وهو عطف إنشاء على خبر ولا ضير فيه عند من تحقق أساليب العرب ورأى في كلامهم كثرة عطف الخبر على الإنشاء وعكسه»⁽¹⁾.

* ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: 166) «وجملة (رَأَوُا الْعَذَابَ) حالية أي تبرعوا في حال رؤيتهم العذاب... فموقع الحال هنا حسن جدا وهي مغنية عن الاستئناف الذي يقتضيه المقام لأن السامع يتساءل عن موجب هذا التبرؤ فإنه غريب فيقال رأوا العذاب فلما أريد تصوير الحال وتحويل الاستفظاع عدل عن الاستئناف إلى الحال»⁽²⁾.

* ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ (البقرة: من الآية 166) «فالباء في (بهم) للملابسة أي تقطعت الأسباب ملتبسة بهم أي فسقطوا ، وهذا المعنى هو محل التشبيه لأنّ الحبل لو تقطع غير ملابس للمرتقي عليه لما كان في ذلك ضرر إذ يمسك بالنخلة ويتطلب سببا آخر يترل فيه، ولذلك لم يقل وتقطعت أسبابهم أو نحوه، فمن قال إن الباء بمعنى عن أو للسببية أو التعدية فقد بعد عن البلاغة»⁽³⁾.

* ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية 217) «فالنكرة هنا للعموم بقرينة المقام، إذ لا خصوصية لقتال قوم دون آخرين، ولا لقتل في شهر دون غيره»⁽⁴⁾.

* ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 282) «واعلم أنه ليس التكرير بمقصود على التعظيم بل مقامه كل مقام يراد منه تسجيل انتساب الفعل إلى صاحب الاسم المكرر... وقد وقع التكرير متعاقبا في قوله تعالى في سورة آل عمران ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُودُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (آل عمران: 78)»⁽⁵⁾.

(1) المصدر السابق، 56/2 .

(2) نفسه، 97/2 .

(3) نفسه، 98/2 .

(4) نفسه، 326/2 .

(5) نفسه، 120/3 .

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

ويقدر بعضهم نسبة تأثير عناصر الموقف الخارجي في توجيه معنى الكلام وتحديد وظيفته بدرجة عالية، تبلغ سبعين في المائة من درجة تأثير الكلام في مواقف الخطاب، بخلاف الدلالة التعبيرية فتأثيرها يتدنى مستواه إلى الثلاثين في المائة⁽¹⁾.

والمنحى الوظيفي لا يفصل بنية الجملة عن وظيفتها بل يرى أنهما يخلقان معا في لحظة واحدة لحظة تفاعل المتكلم مع الحدث فلا يُصدر المتكلم الجملة عارية ثم يكسيها ثوب المعنى، يقول هاليدي: « إن السياق جزء من التخطيط الكلي... ليس هناك انفصال بين ماذا نقول وكيف نقول اللغة إنما تكون لغة من طريق الاستعمال في سياق الحال. وكل ما فيها مرتبط بالسياق.»⁽²⁾، فالتعدّي واللزوم مثلا عند هاليدي يتمثل في العلاقات التي تنشأ بين النشاط *Process type* "والمشاركين" *Participants*⁽³⁾، ومثال تحليل الجملة عند الوظيفيين السياقيين:

منح	المدير	سكرتيرته	إجازة	مرضية
نشاط مجاوز	عامل	مستفيد	هدف	صفة

فالنشاط هو منح، والمشاركون هم: المدير، سكرتيرته، إجازة. والوظائف اللغوية تؤدي عن طريق الجملة بكل عناصرها المتكاملة⁽⁴⁾.

3- المزج بين النحو والبلاغة - علم المعاني خصوصا- في التحليل الوظيفي:

ما سماه البلاغيون بعد عبد القاهر بعلم المعاني سماه هو علم معاني النحو، ومن هذه التسمية نستشف العلاقة الحقيقية بين علم المعاني والنحو فقد مزج بينهما وسماهما باسم علم واحد⁽⁵⁾، وهذه التسمية هي تسمية وظيفية تمزج بين الفئتين وتركز في تحليل البنيات والتراكيب اللغوية على علاقتها بوظائفها التداولية؛

(1) انظر: نهاد الموسى: نحو اللسانيات الاجتماعية في العربية، المجلة العربية للدراسات اللغوية، م144، ص13. نقلا عن: (صاحب أبو جناح:

دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، ص215).

(2). Halliday 1978, P33. نقلا عن: (يحيى أحمد: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص84).

(3) انظر: الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، ص90.

(4) انظر: المرجع نفسه، ص92، 93.

(5) انظر: الفصل الأول، ص52.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

فالفصل بينهما محلّ بروح الدراسة اللغوية، وقد عاب إبراهيم مصطفى على الذين فصلوا بين الدّرسين واعتبر فصلهم هذا مزهقا لروح الفكرة ومضلّلا⁽¹⁾، ومن دَعَوْا إلى المزج بين النحو وعلم المعاني ورفضوا الفصل بينهما الدكتور جعفر دك الباب حين يقول: « فإننا نرفض فصل دراسة علم المعاني عن دراسة علم النحو بمفهومه الواسع (صرف العربية ونحوها)، وندعو إلى توحيدهما معا في علم واحد »⁽²⁾، وعلى أساس من هذا المزج قامت نظرية النظم عند الإمام عبد القاهر، حيث يقول: « وإذ قد عرفت أن مدار أمر النظم على معاني النحو، وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أن تكون فيه »⁽³⁾؛ فالنظم هو تجسيد معاني النحو التي يبني عليها الكلام بحسب أوجه وأشكال بنياته المترتبة عن اختلاف الوظائف المنوطة بها (مقاصدها وأغراضها)، والنظم عنده « أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تهجت فلا تزيع عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها »⁽⁴⁾.

فالعناية بالنحو والبلاغة معا واعتبارهما كلا واحدا متكاملا أمر لا مناص منه في عملية التواصل التي هي الوظيفة الأساسية للغة، يقول الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح: « إذا اكتفينا في تعليم العربية بجانب السلامة اللغوية، أي يجعل الطالب قادرا على تطبيق القواعد النحوية وحدها دون مراعاة ما تستلزمه عملية الخطاب، أي دون القواعد البلاغية كان تعليمنا هذا ناقصا، وتجاهلنا بذلك أن الملكة اللغوية بكاملها وفي جملتها هي مهارة التصرف في بنى اللغة بما يقتضيه حال الحديث، أي القدرة على التبليغ الفعّال بما تواضع عليه أهل اللغة، وبعبارة أخرى أيضا القدرة على الاتصال اللغوي في جميع الأحوال بما يقتضيه الوضع اللغوي وهذه الأحوال معا من لفظ سليم ومناسب »⁽⁵⁾، والشيخ ابن عاشور اقتفى أثر من مزجوا بين النحو والبلاغة وخصوصا علم المعاني وطبق ذلك في تحليلاته اللغوية الوظيفية، ومما لمسنا فيه هذا المزج في تفسيره النماذج الآتية:

* ﴿وَتَرَكَّهُمْ فِي ظُلُمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ (البقرة: من الآية 17) « ومفعول لا يبصرون محذوف لقصد عموم نفي

(1) انظر: إحياء النحو، ص 19. وانظر الفصل الأول، ص 60.

(2) النظرية اللغوية العربية الحديثة، ص 156.

(3) الدلائل، ص 132.

(4) المرجع نفسه، ص 127.

(5) الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص 26.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

المبصرات فتزل الفعل منزلة اللازم ولا يقدر له مفعول كأنه قيل لا إحساس لا بصر لهم⁽¹⁾، حديثه عن وظيفة الحذف ونزول الفعل المتعدي منزلة اللازم فيه مزج بين علم المعاني والنحو.

* ﴿فَذَنِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ (البقرة: الآية 71) «عطفت الفاء جملة (فَذَنِّحُوهَا) على مقدر معلوم وهو فوجدوها أو فظفروا بها أو نحو ذلك و هذا من إيجاز الحذف الاقتصاري ولما ناب المعطوف في الموقع عن المعطوف عليه صحّ أن نقول الفاء فيه للفصيحة لأنها وقعت موقع جملة محذوفة فيها فاء للفصيحة، ولك أن تقول إن فاء الفصيحة ما أفصحت عن مقدر مطلقاً...»⁽²⁾، تحدث هنا عن الحذف والعطف والتقدير.

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة: من الآية 83) «وقوله (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) هو مما أخذ عليهم الميثاق به وهو أمر مؤكد لما دل عليه تقديم المتعلق على متعلقه وهما (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) وأصله وإحسانا بالوالدين، والمصدر بدل من فعله والتقدير وأحسنوا (بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) ولا يريكم أنه معمول مصدر وهو لا يتقدم على عامله على مذهب البصريين لأنّ تلك دعوى واهية»⁽³⁾. يتمثل المزج بين علم المعاني والنحو في الحديث عن التقديم، وعن التعلق، وعن معمول المصدر وموقف البصريين من تقديمه.

* ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: من الآية 117) «هو بالرفع خبر محذوف على طريقة حذف المسند إليه لاتباع الاستعمال كما تقدم في قوله تعالى (صُمُّكُمْ) وذلك من جنس ما يسمونه بالنتع المقطوع»⁽⁴⁾، حذف المسند إليه درس في علم المعاني، والخبر والنتع المقطوع درسان نحويان.

4- مشاهمة الدرس الوظيفي المعاصر في أكثر مبادئه:

لاحظنا في النماذج التطبيقية في الفصل الثاني - وهو التطبيق العملي لأكثر مبادئ النحو الوظيفي - أنّ تحليلات الشيخ ابن عاشور للآيات القرآنية كانت في أغلبها لا تبتعد عما أقره الدرس الوظيفي التداولي

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 312/1.

(2) المصدر نفسه، 556/1.

(3) نفسه، 583/1.

(4) نفسه، 686/1.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

المعاصر. يمثل ما وجدناه عند من تأثر بهم من علماء العربية القدامى وخصوصاً من مثلوا الوظيفية العربية أحسن تمثيل⁽¹⁾، كالجرجاني والسكاكي من بعده، ويجدر بنا الإقرار «أنّ اللغويين العرب القدامى لم يكونوا بعيدين عن "روح" الدرس الوظيفي-التداولي المعاصر، لكن هذا لا يعني "تطابق" التصورات والمبادئ والمنطلقات»⁽²⁾، والدكتور أحمد المتوكل من الأوائل الذين كشفوا عن التشابه الحاصل بين الفكر اللغوي العربي القديم وما توصل إليه الفكر اللساني الوظيفي التداولي المعاصر وخاصة ما تعلق بآليات التحليل اللغوي المعتمدة في رصد الترابط القائم بين البنية والوظيفة⁽³⁾، وذلك بعد بحث ودراسة معمّقين^(*) في التراث اللغوي العربي والدرس اللساني الوظيفي المعاصر مما دفع به إلى أن يدعو إلى ضرورة أن يكون بينهما قرض واقتراض، إذ نجده يقول: «توصلنا في هذه المحاولة إلى أن النظرية الثاوية خلف مختلف العلوم اللغوية (النحو، اللغة، البلاغة، فقه اللغة...) نظرية تداولية وأنها بالتالي قابلة للتداول (بمعنى القرض والاقتراض) مع النظريات التداولية الحديثة ومنها نظرية النحو الوظيفي. وسيمكننا عقد الحوار بين الفكر اللغوي العربي القديم والنحو الوظيفي، فضلاً عن تمحيص مشروعيته، من تحقيق هدفين اثنين :

-إغناء النحو الوظيفي بتحليلات ومفاهيم يستلزمها وصف الوظائف الخمس^(**) في اللغة العربية خاصة، دون أن يمس اقتراض هذه التحليلات والمفاهيم بالمبادئ المعتمدة في النحو الوظيفي أو ببنية النحو المقترحة. - وتقييم مجموعة من الأوصاف المقترحة في النحو العربي أو البلاغة العربية بالنسبة لوظيفة المبتدأ ووظيفة السبيل ("والتابع" بصفة أعم) وظواهر (التخصيص) و(الحصر) و(العناية) و(التوكيد) وغيرها.⁽⁴⁾ وهذه الظواهر الأخيرة هي من أهم الوظائف التواصلية التداولية التي تؤديها البنيات اللغوية.

ويعترف بفضل تراثنا العربي كل من اطلع على كنوزه وأسراره، يقول مارتينييه -وهو يجيب عن أسئلة الوعر- : «وأنا أقول إنّ كثيراً من البحوث العربية ساعدت بل ساهمت في بناء ما يسمى علم اللسانيات الحديث»⁽⁵⁾. وبفعل تأثر الشيخ ابن عاشور بالأفذاذ من علماء هذه اللغة نصل إلى أن تحليلاته اللغوية في

(1) انظر: الفصل الأول، ص43، وما بعدها.

(2) مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص43.

(3) انظر: المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص41.

(*) تكشف ذلك أبحاثه ودراساته.

(**) الوظائف التداولية الخمس هي: المبتدأ، الخور، البؤرة، المنادى، الذيل. (انظر: أحمد المتوكل: الوظائف التداولية).

(4) الوظائف التداولية، ص11.

(5) مازن الوعر: دراسات لسانية تطبيقية، ص285.

تفسيره لم تكن بعيدة عن روح الدرس الوظيفي التداولي المعاصر، ولم تكن بعيدة عن كثير من منطلقاته ومبادئ المنهجية، ومما يعكس التشابه في المبادئ المنهجية الوظيفية النماذج التي تعرضنا لها في الفصل الثاني والتي تبين ذلك بوضوح، ونكرر هنا للتمثيل النموذجين الآتيين:

*﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: 8) «الجملة الفعلية

تدل على الاهتمام بشأن الفعل دون الفاعل فلذلك حكي بها كلامهم لأنهم لما رأوا المسلمين يتطلبون معرفة حصول إيمانهم قالوا آمنا والجملة الاسمية تدل على الاهتمام بشأن الفاعل أي أن القائِلين آمنا لم يقع منهم إيمان فالاهتمام بهم في الفعل المنفي تسجيل لكذبهم وهذا من مواطن الفروق بين الجملتين الفعلية والاسمية، وهو مصدّق بقاعدة إفادة التقديم الاهتمام مطلقا وإن أهملوا التنبيه على جريان تلك القاعدة عندما ذكروا الفروق بين الجملة الفعلية والاسمية في كتب المعاني وأشار إليه صاحب الكشف هنا بكلام دقيق الدلالة»⁽¹⁾، وهاته دعوة للانتباه للجانب الوظيفي للتراكيب وتبعية البنية للوظيفة.

*﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: من الآية 228) «عطف على الجملة قبلها، لشدة

المناسبة، وللاتحاد في الحكم وهو التربص، إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة، ولذلك لم يقدم قوله (الطَّلُقُ مَرَّتَانٍ) على قوله (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ) لأن هذه الآي جاءت متناسقة، منتظمة على حسب مناسبات الانتقال على عادة القرآن في إبداع الأحكام، وإلقائها، بأسلوب سهل لا تسأم له النفس، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس»⁽²⁾، يظهر في هذا الوصف اللغوي للشيخ ابن عاشور أنه يوضح ما تحقق في هذا التركيب القرآني من كفاية تداولية؛ وذلك بحديثه عن شدة المناسبة بين الجملتين، وما تحقق فيه من كفاية نفسية وذلك بحديثه عن أسلوب الآي؛ وهو الأسلوب السهل الذي لا تسأم له النفس .

5- تحليل الظواهر المبنوية:

يعلّل الاتجاه الوظيفي الظواهر المبنوية انطلاقا من الوظيفة المحددة لها وهي إتاحة التواصل بأي شكل من أشكاله المختلفة حسب المقام وحال المخاطبين، هذه الوظيفة التي بدورها تحدد الخصائص المبنوية (الصرفية، التركيبية، المعجمية...) للعبارة اللغوية؛ «فالبنية التركيبية والصرفية تعكس إلى حد بعيد الخصائص المرتبطة بوظيفة التواصل، بحيث يمكن اعتبار بعض مقومات هذه البنية وسائل للتعبير عن الأغراض

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 265/1.

(2) المصدر نفسه، 388/2.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

التواصلية التي يسعى المتكلم إلى تحقيقها في طبقات مقامية معينة⁽¹⁾، وقريب من هذا ما نجده عند سيبويه، فاللغة عنده لا تنفك عن ملابسات استعمالها؛ فتحلل بنيتها وتفسر ظواهرها انطلاقاً من معطيات نظامها الداخلي، وما تستمد به من معطيات السياق الاجتماعي⁽²⁾، على خلاف ما كان قد ظهر في القرن الخامس الهجري من ضعف اللغة، «وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو، ومدلول الألفاظ المفردة، والجمل المركبة، والانصراف عن معاني الأساليب ومغازي التركيب، وعدم الاحتفال بتصريف القول ومناحيه»⁽³⁾، وكثير هم أولئك الذين يدعون إلى عدم الاشتغال بقوانين النحو وحدوده، والتقيد بما تمليه على حساب كشف أسرار اللغة والبيان العالي لأساليبها، فغير بعيد مما دُعي إليه آنفاً نجد بنت الشاطئ -في معرض حديثها عن حذف أو تقدير جواب الشرط- تقول: «... وإنما أطلت الوقوف هنا، قصداً إلى التنبيه إلى ما يلقانا في ظواهر أسلوبية في القرآن الكريم، لم تأت على المقرر من قواعد النحاة وأحكام البلاغيين المدرسين، فيشغلنا عن البيان العالي، تسوية الصنعة النحوية أو البلاغية، بالتأويل فيه والتقدير...»⁽⁴⁾.

كما لا يعتمد تعليل الظواهر المبنوية على ما يميزها من خصائص بنوية كترتيب ألفاظها وعباراتها فحسب، بل يعتمد كذلك على مدى تحقيقها للترتيب والقبول في عقل ونفس المخاطب والمخاطب؛ يقول الجرجاني: «فلو أن واضع اللغة كان قد قال "ربض" مكان "ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتبها على حسب ترتيب المعاني في النفس؛ فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض... ليس الغرض بنظم الكلم أن توالى ألفاظها في النطق، بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل.»⁽⁵⁾ وهذا ما يعني في نظرية النحو الوظيفي مدى تحقيق الكفائيتين التداولية والنفسية. فالجرجاني يراعي مدى اختيار الأساليب أو البنيات اللغوية الملائمة لتحقيق الوظيفة التواصلية المنوطة بها ويشير إلى هذا بقوله: «واعلم أن غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته والأساس الذي وضعته أن أتوصل إلى بيان أمر المعاني كيف

(1) المتوكل: اللسانيات الوظيفية، ص 65.

(2) انظر: محمد حماسة عبد اللطيف: النحو والدلالة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 1، 2000، ص 116.

(3) الجرجاني: أسرار البلاغة، من مقدمة الكتاب للشيخ محمد رشيد رضا، ص -ز-.

(4) عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ: التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر، ط 4، 1982، 30/2.

(5) الدلائل، ص 102.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفصل أجناسها وأنواعها، وأتبع خاصها ومشاعها، وأبين أحوالها في كرم منصبها من العقل وتمكنها في نصابه وقرب رحمها منه أو بعدها حين تنسب عنه...»⁽¹⁾، والشيخ ابن عاشور يراعي كل هذا في تحليلاته اللغوية، فنجدّه يعلل الظواهر المبنوية لعبارات اللغة وجملها ويخرج كنوز اللغة ويكشف عن أسرارها بالنظر إلى وظائفها، وظروف إنتاجها، وللتمثيل على ذلك أخذنا من تفسيره النماذج الآتية:

* ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 37) «جاء بالفاء

إيذاناً بمبادرة آدم بطلب العفو. والتلقي استقبال إكرام ومسرة، قال تعالى: ﴿وَتَلَقَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ﴾

(الأنبياء: 103) ووجه دلالة على ذلك أنه صيغة تَفَعَّلَ من لقيه وهي دالة على التكلف لحصوله وتطلبه وإنما

يتكلف ويتطلب لقاء الأمر المحبوب بخلاف لاقى فلا يدل على كون الملاقى محبوباً»⁽²⁾.

* ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

﴿البقرة: 63﴾ «وضمائر الخطاب لتحميل الخلف تبعات السلف كيلا يقعوا في مثلها وليستغفروا

لأسلافهم عنها»⁽³⁾.

* ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ (البقرة: من الآية 167)

«وعدل عن الجملة الفعلية بأن يقال (وما يخرجون) إلى الاسمية للدلالة على أن هذا الحكم ثابت أنه من صفاتهم، وليس لتقديم المسند إليه هنا نكته، إلا أنه الأصل في التعبير بالجملة الاسمية في مثل هذا إذ لا تتأتى بسوى هذا التقديم، فليس في التقديم دلالة على اختصاص لما علمت ولأن التقديم على المسند المشتق لا يفيد الاختصاص عند جمهور أئمة المعاني، بل الاختصاص مفروض في تقديمه على المسند الفعلي خاصة، ولأجل ذلك صرح صاحب الكشاف تبعاً للشيخ عبد القاهر بأن موقع الضمير هنا كموقعه في قول المعذل البكري: هم يفرشون البلد كل طمرة وأجرد سبّاق بيد المغاليا

(1) الأسرار، ص 19.

(2) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 437/1.

(3) المصدر نفسه، 1 / 541، 542.

في دلالة على قوة أمرهم فيما أسند إليهم لا على الاختصاص اهـ.

وادعى صاحب المفتاح أن تقديم المسند إليه على المسند المشتق قد يفيد الاختصاص كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ (هود: 91) «⁽¹⁾».

* ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى

حُبِّهِ﴾ (البقرة: الآية 177) «وتعريف (والكتاب) تعريف الجنس المفيد للاستغراق أي آمن بكتب الله مثل التوراة والإنجيل والقرآن، ووجه التعبير بصيغة المفرد أنها أخف مع عدم التباس التعريف بأن يكون للعهد؛ لأن عطف النبيين على الكتاب قرينة على أن اللام في الكتاب للاستغراق فأوثر صيغة المفرد طلباً لخفة اللفظ... والذي ينبغي اعتماده أن استغراق المفرد والجمع في المعرف باللام وفي المنفي بلا التبرئة سواء، وإنما يختلف تعبير أهل اللسان مرة بصيغة الأفراد ومرة بصيغة الجمع تبعاً لحكاية الصورة المستحضرة في ذهن المتكلم والمناسبة لمقام الكلام...» ⁽²⁾.

6 - الإفادة من العلوم اللغوية في التحليل والتفسير:

اللغة ظاهرة اجتماعية لا يخلو منها مجال من مجالات الحياة، مما يؤكد أنه لامناص من أن تتصل بعلوم هذه المجالات، وتحقق وظيفتها الأساسية وهي عملية الإبلاغ في صلب المجتمع بكل مقوماته الثقافية والحضارية، ولا يمكن فصل علوم اللغة بعضها عن بعض ولا عن باقي العلوم الأخرى، وتماشياً مع هذا نجد الشيخ ابن عاشور يأخذ من كل فن لغوي -وغير لغوي أحياناً- ويفيد به القارئ والمستبصر فيتطرق في تفسيره لقضايا لغوية في الدلالة والمعجم وفي البلاغة، وفي النحو، وفي الصرف وفي علم الأصول، وقضايا متعلقة بعلوم أخرى منشورة في كل أجزاء التفسير، وتجنباً للإطالة نركّز في بحثنا هذا على قليل مما هو متعلق بعلوم اللغة.

وطبيعة اللغة تفرض قيام الاتصال بين علم اللغة والعلوم الأخرى، ثم «إن الدعوة إلى (استقلال) علم اللغة، و(شكليته) أثبتت عجزها عن فهم (طبيعة) اللغة فهما صحيحاً، ولا مناص من الاعتراف بضرورة الاستعانة بعدد من العلوم استعانة أساسية، وبخاصة علم النفس والرياضة والفلسفة والنقد الأدبي. وقد يكون مفيداً أن نؤكد مرة أخرى أن كبار اللغويين كانوا يصدر عن تأثر بعلماء من ميادين أخرى،

(1) المصدر السابق، 100/2، 101.

(2) نفسه، 129/2، 130.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

تأثر سوسير بدور كايم، وتأثر ساير بفرانز بوعز، وتأثر بلومفيلد بالسلوكيين، وتأثر شومسكي بديكارت والعقليين. وهذه الظاهرة كافية في الدلالة على (صحة) الاتجاه العربي القديم حين اتصل بالفقه و الكلام والمنطق وعلوم العصر على العموم.⁽¹⁾

والنص الذي يتناوله ابن عاشور بالدراسة والتحليل وهو النص القرآني نص اجتماعي نزل في بيئة ومجتمع عربيين أبحر ببيانه علماء اللغة فأخذوا منه الكثير من شواهد لغتهم، وعليه اعتمدوا في وضع قواعدهم ولذا نشأت كل العلوم اللغوية العربية في كنف القرآن الكريم وفي مناخه الفكري العربي الإسلامي، يقول د.عبده الراجحي: «إنّ النحو العربي كان صورة صحيحة للمناخ الفكري العام في الحياة الإسلامية، وبخاصة في مراحل النشأة.»⁽²⁾

وكل العلوم اللغوية تسعى جاهدة إلى توضيح معانيه وتفسير ظواهره وهذا هو الذي جعلها متكاملة لا يمكن فصلها، تشترك في دراسة نص واحد وهو النص القرآني، ويرى أحد الباحثين أنّ ظاهرة التكامل هذه تحمل مدلولين⁽³⁾:

- شمولية القرآن الكريم مما جعل آليات قراءته وفهمه متعدّدة متضافرة.
 - أنّ "الوظيفية العربية" لا يرى وجهها الأنصع، ولا تدرك حقيقتها، إلا إذا نظر إليها في إطارها الثقافي العام ونسقها الكلي الجامع لشتى العلوم العربية/الإسلامية.
- وما دامت الوظيفية لا تفصل الكلام عن مقام إنتاجه وحال المتكلم/المستمع أثناء الاتصال؛ فالمتكلم يختار من البنيات والتراكيب الدقيقة دلالياً والسليمة نحويًا ما يناسب نفسية من يخاطب ومقام الحديث وبهذا يكون الكلام مؤثراً ويتحقق ما تفرضه البلاغة التي هي «العمدة في الإيصال على اختلاف أنواعه وأشكاله مشافهة وتحريراً، نثراً أم شعراً، في مقام انقباض أو مقام أنس، ففي كل هذه المستويات البلاغة موجودة لأن المعبر يتحتم عليه أن يختار العبارة التي تناسب المقام وتستجيب لحال الحديث»⁽⁴⁾، كما لا يخفى أن للأدب العربي القديم وخاصة الشعر الجاهلي أهمية كبيرة في توضيح معاني القرآن الكريم؛ وذلك لكونه متزلاً بلغة العرب ويراعي سجايهم وبيئاتهم واختار الله سبحانه وتعالى لغتهم لتكون لغة لكتابه؛ «لأنها

(1) عبده الراجحي: النحو العربي والدرس الحديث، ص161.

(2) المرجع نفسه، ص159.

(3) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص43.

(4) الحاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، ص26.

أصلح اللغات، جمع معان، وإيجاز عبارة وسهولة على جري الألسن وسرعة حفظ وجمال وقع على الأسماع»⁽¹⁾، وما يدل على أنّ الشيخ ابن عاشور يفيد من كلّ علوم اللغة في تفسيره كثير، ونكتفي بالنماذج الآتية :

* ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: من الآية 25) «...وقوله (مُطَهَّرَةٌ) هو بزنة الأفراد ولكن العرب تعدل عن الجمع مع التأنيث كثيرا لثقلهما لأن التأنيث خلاف المألوف والجمع كذلك فإذا اجتمعا تفادوا عن الجمع بالأفراد»⁽²⁾، نجده هنا قد علّل الظاهرة اللغوية صرفيا، انطلاقا من أصول العرب في كلامها.

* ﴿وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: من الآية 128) «حق رأى أن يتعدى إلى مفعول واحد... فإذا دخل عليه همز التعدية تعدى إلى مفعولين، وأما تعدية أرى إلى ثلاثة مفاعيل فهو خلاف الأصل وهو استعمال خاص... وكذلك فعل علم وأخواته من باب ظن كله ومثله باب كان وأخواتها، ألا ترى أنك لو عدلت عن المفعول الثاني في باب ظن أو عن الخبر في باب كان إلى الإتيان بمصدر في موضع الاسم في أفعال هذين البابين لاستغنيت عن الخبر و المفعول الثاني فتقول كان حضور فلان؛ أي حصل وعلمت بمجيء صاحبك وظننت طلوع الشمس... وبهذا يتبين أن الصواب أن يعد الخبر في باب كان والمفعول الثاني في باب ظن أحوالا لازمة لتمام الفائدة وأن إطلاق اسم الخبر أو المفعول على ذلك تسامح وعبارة قديمة»⁽³⁾، يقر الشيخ هنا قاعدة نحوية ما شاعت عند علماء النحو.

* ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ (البقرة: من الآية 135) «ووجه الحصر حاصل من جزم تهتدوا في جواب الأمر فإنه على تقدير شرط يفيد مفهوم الشرط أن من لم يكن يهوديا لا يراه اليهود مهتديا ومن لم يكن نصرانيا لا يراه النصارى مهتديا أي نفوا الهدى عن متبع ملة إبراهيم وهذا غاية غرورهم»⁽⁴⁾، جمع الشيخ هنا بين النحو والدلالة.

(1) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 187/13.

(2) المصدر نفسه، 357/1.

(3) نفسه، 722/1.

(4) نفسه، 736/1.

* ﴿وَالْهَكْمُ إِلَهُ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: 163) «والإخبار عن إلهكم بإله تكرير ليجرى عليه الوصف بواحد والمقصود وإلهكم واحد لكنه وسط لفظ إله بين المبتدأ والخبر لتقرير معنى الألوهية في المخبر عنه كما تقول عالم المدينة عالم فائق، وليجيء ما كان أصله خبراً مجيء النعت فيفيد أنه وصف ثابت للموصوف لأنه صار نعتاً إذ أصل النعت أن يكون وصفاً ثابتاً وأصل الخبر أن يكون وصفاً حادثاً، وهذا استعمال متبع في فصيح الكلام أن يعاد الاسم أو الفعل بعد ذكره ليبني عليه وصف أو متعلق كقوله إلهاً واحداً»⁽¹⁾، هنا مزج بين البلاغة والنحو والعقائد.

* ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ (البقرة: من الآية 189) «و(اتقى) فعل متزل منزلة اللازم، لأن المراد به من اتصف بالتقوى الشرعية بامتنال المأمورات واجتناب المنهيات.»⁽²⁾، مزج هذا التحليل بين النحو وقواعد شرعية.

* ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 244) «وقدم وصف سميع، وهو أخص من عليم، اهتماماً به هنا لأن معظم أحوال القتال في سبيل الله من الأمور المسموعة، مثل جلبة الجيش، وقعقة السلاح، وصهيل الخيل.»⁽³⁾، مزج الشيخ هنا بين البلاغة وعلم المعاجم.

7- إبراز مغازي التراكيب وأسرار الأساليب:

يسعى الشيخ ابن عاشور إلى إبراز ما يخفى على القارئ غير المتخصص أو حتى المتخصص أحياناً من معاني الكثير من التراكيب اللغوية وما وراء رسم حروفها، وهذا الذي خفي قد يكون هو الغاية من توظيف هذه التراكيب في هذا المقام أو ذاك، وهو الذي أريد به الإفصاح والبيان عن غرض المتكلم ومقصده، هذا البيان الذي هو وظيفة اللغة منذ نشأتها، قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ

الْبَيَانَ﴾ (الرحمن: 3، 4). ومما يساهم في توضيح معاني تراكيب اللغة مقامات استعمالها وظروف إنتاجها، فقد يرتبط فهم الكلام وتفسيره وتأثيره بنوع النشاط الذي يمارسه الإنسان في حياته اليومية، ففهم الآيات:

﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (١٧) ﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (١٨) ﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ

نُصِبَتْ﴾ (١٩) ﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (٢٠) (سورة الغاشية: 17-20) من الطبيعي أن يختلف بين "أهل المدر"،

(1) المصدر السابق، 74، 75.

(2) نفسه، 198/2.

(3) نفسه، 480/2.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

و"أهل الوبر"، فقد يتساءل الأول ما علاقة الإبل بالسّماء والجبال والأرض ولكن لا يصعب فهمها عند الثاني بل يتمثلها خياله ربما بعد تلقيها مباشرة وذلك لكونها ارتبطت بمصدر رزقه وسبيل عيشه اليومي فمطعمه وملبسه ومشربه من المواشي، «ولذا يصرفون عنايتهم إلى أكثرها نفعا وهي الإبل، ثم إذا كان انتفاعهم بها لا يتحصل إلا بأن ترعى وتشرب كان جل مرمى غرضهم نزول المطر، وأهم مسارح النظر عندهم السماء، ثم إذا كانوا مضطرين إلى مأوى يؤويهم، وإلى حصن يتحصنون فيه، ولا مأوى ولا حصن إلا الجبال، فما ظنك التفات خاطرهم إليها إذا تعذر مكثهم في منزل، ومن لأصحاب مواش بذلك، كان عقد المهمة عندهم بالتنقل من أرض إلى سواها من عزم الأمور»⁽¹⁾؛ فالبدوي لا يستغرب هذا العد، ولا هذا الترتيب؛ لأن صور هذه المخلوقات ملازمة لعينيه وعالقة بخياله، وعلى العكس من ذلك المدرى، لذا فإنه يظن هذا النسق والترتيب معينا⁽²⁾، فالسكاكي بتحليله هذا وتوضيحه للوظيفة التي أدتها الآيات وهي بهذا الشكل والترتيب يكون قد كشف لنا عمّا قد يغيب عن أفهامنا ولا ندرك مغزاه، ومن النماذج التي يبرز فيها الشيخ ابن عاشور بعض أسرار التراكيب نقصر على:

* ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَرِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (البقرة: من الآية 7) «وفي تقديم السمع على البصر في موقعه من القرآن دليل على أنه أفضل فائدة لصاحبه من البصر، فإن التقديم مؤذن بأهمية المقدم وذلك لأن السمع آلة لتلقي المعارف التي بها كمال العقل وهو وسيلة بلوغ دعوة الأنبياء إلى أفهام الأمم على وجه أكمل من بلوغها بواسطة البصر لو فقد السمع...»⁽³⁾.

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أَوَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170) «وإنما خص هذا النوع بحرفي (إن - ولو) في كلام العرب لدلالتهما على ندرة حصول الشرط أو امتناعه، إلا أنه إذا كان ذلك الشرط نادر الحصول جاءوا معه بأن...، وإذا كان ممتنع الحصول في نفس الأمر جاءوا معه بلو كما في هذه الآية، وربما أتوا بلو لشرط شديد الندرة، للدلالة على أنه قريب من الممتنع، فيكون استعمال لو معه مجازا مرسلا تبعيا...»⁽⁴⁾.

(1) السكاكي: مفتاح العلوم، ص 257.

(2) انظر: محمد خطاي: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991، ص 122.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 258/1.

(4) المصدر نفسه، 109/2.

* ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُورُ﴾ (البقرة: 210) « وحرف (هل) مفيد للاستفهام ومفيد التحقيق ويظهر أنه موضوع للاستفهام عن أمر يراد تحقيقه، فلذلك قال أئمة المعاني إنَّ هل لطلب تحصيل نسبة حكمية تحصل في علم المستفهم وقال الزمخشري في الكشاف: إنَّ أصل هل أنها مرادفة قد في الاستفهام خاصة. »⁽¹⁾.

8- إجلاء الحقيقة الكامنة أمام المشككين:

تتسع اللغة للتعبير عن كل المقاصد والأغراض سواء كانت تدعو للإيمان أو للكفر وقد يحاول بعض دعاة الكفر والإلحاد تغييب المقصد الحقيقي لبعض الآيات والتشكيك في المعنى الذي تهدف إلى ترسيخه أو الدفاع عنه... والشيخ هنا يكشف عن سوء صنيعهم وتلبيسهم... وقد لا يتأتى ذلك إلا بالكشف عن صور البيان ووجوه الإعجاز البلاغي فيه، « من حيث إنَّ الكشف عن وجوه الإعجاز البلاغي للقرآن يؤول في كثير من الأحيان إلى تفسير بياني لبعض آياته، كما كان الدافع في بعض من الحالات رد مزاعم الطاعنين، وجلاء الحقيقة أمام المشككين الذين دقت على أفهامهم أسرار بيانه، وخفيت عليهم لطائف نظمه »⁽²⁾، وهاهي ذي نماذج من تفسير الشيخ ابن عاشور توضح ذلك:

* ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة: 51) ثُمَّ عَفَوْنَا

عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (البقرة: 51، 52) « وعطف جملة (اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ) من بعده بحرف ثم الذي هو في عطف الجمل للتراخي الترتيبي للإشارة إلى ترتيب في درجات عظم هذه الأحوال وعطف (ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ) أيضا لتراخي مرتبة العفو العظيم عن عظم جرمهم فروع في هذا التراخي أنَّ ما تضمنته هذه الجمل عظام أمور في الخير وضده تنبيهها على عظم سعة رحمة الله بهم قبل المعصية وبعدها »⁽³⁾.

* ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ﴾ (البقرة: الآية 75) « واللام في قوله (لَكُمْ) لتضمنين يؤمنوا معنى يقرّوا

وكأنَّ فيه تلميحا إلى أنَّ إيمانهم بصدق الرّسول حاصل ولكنهم يكابرون ويحدون على نحو قوله تعالى:

(1) المصدر السابق، 2 / 282.

(2) شفيق السيد: البحث البلاغي عند العرب، ص 49.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 1 / 499.

﴿الَّذِينَ اتَّيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾^ط (البقرة: من الآية 146) فما أبدع نسج القرآن»⁽¹⁾

* ﴿بَلَىٰ مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^ط (البقرة: 81)

«والقصر المستفاد من التعريف في قوله (فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) قصر إضافي لقلب اعتقادهم»⁽²⁾.

* ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾^ط (البقرة: من الآية 87)

«وقدم الظرف ليكون مواليا للاستفهام المراد منه التعجب ليظهر أن محل التعجب هو استمرار ذلك منهم الدال على أنه سحجة لهم وليس ذلك لعارض عرض في بعض الرسل وفي بعض الأزمنة والتقدير أفاستكبرتم كلما جاءكم رسول فقدم الظرف للاهتمام لأنه محل العجب»⁽³⁾.

* ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا بِمِثْلِ مَا ءَامَنُتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾^ط (البقرة: من الآية 137) «وجاء الشرط هنا بحرف إن المفيدة للشك في حصول شرطها إيذاناً بأن إيمانهم غير مرجو»⁽⁴⁾.

* ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً وَخُنُّ لَهُ عَبْدُونَ﴾^ط (البقرة: 138) «...وفي تقديم الجار والمجرور على عامله في قوله له عابدون إفادة قصر إضافي على النصارى الذين اصطبغوا بالمعبودية لكنهم عبدوا المسيح»⁽⁵⁾.

* ﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِينَ يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عُمَىٰ فَهُمْ لَا

يَعْقِلُونَ﴾^ط (البقرة: 171) «وإنما عطفه بالواو هنا ولم يفصله كما فصل قوله (مِثْلُهُمْ كَمِثْلِ الَّذِينَ

أَسْتَوْقَدَ نَارًا) (البقرة: من الآية 17) لأنه أريد هنا جعل هذه صفة مستقلة لهم في تلقي دعوة الإسلام ولو لم يعطفه

(1) المصدر السابق، 567/1.

(2) نفسه، 581/1.

(3) نفسه، 598/1.

(4) نفسه، 741/1.

(5) نفسه، 745/1.

لما صحّ ذلك. (1).

* ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: ١٧٥)

175 «... وإن جعلته مبتدأ مستقلاً مع جملة فالحملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان سبب انغماسهم في عذاب النار، لأنه وعيد عظيم جداً يستوجب أن يسأل عنه السائل فيبين بأنهم أخذوا الضلال ونبذوا الهدى واختاروا العذاب ونبذوا المغفرة، ومجيء المسند إليه حينئذ اسم إشارة لتفطيع حالهم؛ لأنه يشير لهم بوصفهم السابق وهو كتمان ما أنزل الله من الكتاب.» (2).

* ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: الآية 209)

«وجيء في الشرط بأن لندرة حصول هذا الزل من الذين آمنوا أو لعدم رغبة المتكلم في حصوله إن كان الخطاب لمن آمن بظاهره دون قلبه.» (3).

* ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ

الْأُمُورُ﴾ (سَلَبَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ مِنْ ءَايَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ

فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة: 210، 211) «وعلى احتمال أن يكون الضمير في (يَنْظُرُونَ) لأهل

الكتاب: أي بني إسرائيل فالعدول على الإضمار هنا إلى الإظهار بقوله "بَنِي إِسْرَائِيلَ" لزيادة النداء على فضيحة حالهم ويكون الاستدلال عليهم حينئذ أشد: أي هم قد رأوا آيات كثيرة فكان المناسب لهم أن يبادروا بالإيمان بالرسول محمد ﷺ، لأنهم أعلم الناس بأحوال الرسل.» (4).

9- إظهار لطائف نظم القرآن ونكته :

القرآن محكم البناء اختياراً وترتيباً وعداً كل ذلك جاء قصداً لمعنى وتأدية لوظيفة تواصلية معينة والمتبع لتفسير التحرير والتنوير يجد أن الشيخ ابن عاشور قد تعرض لنكت ولطائف لم نجد لها عند غيره، والقرآن لم تحصر معانيه بل يُتوصل إليها وتستنبط حسب تفكير وثقافة المستمع وإلا كُشفت أسرارها وقُتل جانب

(1) المصدر السابق، 111/2.

(2) نفسه، 125/2.

(3) نفسه، 280/2.

(4) نفسه، 288/2.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

التجديد فيه وبهذا لا يصلح للزمن القادم،» ومن بلاغة القرآن صلوحية آياته لمعان كثيرة يفرضها السامع.⁽¹⁾، ومن لطائف نظم القرآن ونكته عند ابن عاشور ما وجدناه في تفسير الآيات الآتية:

* ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ (البقرة: 88) «ففيه التفات من الخطاب إلى الغيبة وإبعاد لهم عن مقام الحضور فهو من الالتفات الذي نكته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه.»⁽²⁾.

* ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِعَٰلِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقرة: 173) «...ولما كان القصر هنا حقيقيا لأنّ المخاطب به هم المؤمنون وهم لا يعتقدون خلاف ما يشرع لهم لم يكن في هذا القصر قلب اعتقاد أحد وإنما حصل الرد به على المشركين بطريقة التعريض...»⁽³⁾.

* ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ أَلِفٌ مِّنْ ءَمَنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ (البقرة: من الآية 177) «وتعريف (وَالْمَلٰٓئِكَةِ وَالنَّبِيِّنَ) تعريف الجنس المفيد للاستغراق أي آمن بكتب الله مثل التوراة والإنجيل والقرآن، ووجه التعبير بصيغة المفرد أنها أخف مع عدم التباس التعريف بأن يكون للعهد؛ لأن عطف النبيين على الكتاب قرينة على أن اللام في الكتاب للاستغراق فأوثر صيغة المفرد طلبا لخفة اللفظ.»⁽⁴⁾.

* ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبَاعُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ﴾ (البقرة: من الآية 178) «(واتباع) (وأداء) مصدران وقعا عوضا عن فعلين والتقدير: فليتبع اتباعا وليؤدّ أداءً فعديل عن أن ينصب على المفعولية المطلقة إلى الرفع لإفادة معنى الثبات والتحقيق الحاصل بالجملة الاسمية... فنظم الكلام: فاتباع

(1) المصدر السابق، 112/2.

(2) نفسه، 599/1.

(3) نفسه، 115/2.

(4) نفسه، 129/2، 130.

حاصل ممن عفي له من أخيه شيء، وأداء حاصل من أخيه إليه.»⁽¹⁾.

*﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ (البقرة: من الآية 228) «عطف على الجملة قبلها، لشدة

المناسبة، وللاتحاد في الحكم وهو التربص، إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة، ولذلك لم يقدم قوله ﴿الطَّلُوقُ

مَرَّتَانٍ﴾ (البقرة: من الآية 229) على قوله "وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ" لأن هذه الآي جاءت متناسقة، منتظمة على

حسب مناسبات الانتقال على عادة القرآن في إبداع الأحكام، وإلقائها، بأسلوب سهل لا تسأم له النفس،

ولا يجيء على صورة التعليم والدرس.»⁽²⁾.

*﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ (البقرة: من الآية 246) «وقوله: (هَلْ عَسَيْتُمْ

إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) الآية، استفهام تقريرى وتحذير، فقوله: (أَلَّا تُقَاتِلُوا)، مستفهم عنه بـهل

وخبر لعسى متوقع، ودليل على جواب الشرط (إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ) وهذا من أبداع الإيجاز ...

فجملة: (أَلَّا تُقَاتِلُوا) يتنازع معناها كل من هل وعسى وإن، وأعطيت لعسى، فلذلك قرنت بأن»⁽³⁾.

*﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 282) «ولإظهار اسم الجلالة

نكتة أخرى وهي التهويل. وللتكرير مواقع يحسن فيها، ومواقع لا يحسن فيها»⁽⁴⁾.

10- اهتمامه بالجانب التداولي للتراكيب:

نقصد بالتداول كما ذكرنا سابقا التفاعل الذي تحدّثه العبارة أو الجملة تجاه منتجها، ويهتم الشيخ ابن

عاشور بإبراز هذا التفاعل كثيرا وفي أغلب تحليلاته في تفسيره، فهو يربط العبارات بمقام إنتاجها ووضع

المنتج والمتلقي أثناء الإنتاج، يقول المتوكل: «ومما يؤكد تداولية معرفية المبتدأ أن إحالته مرتبطة بالمقام، أو

على وجه التحديد بما سمّيناه بـ"الوضع التخابري" بين المتكلم والمخاطب، أي بالقدرة من "المعرفة

المشاركة" الذي يتقاسمناه. فنفس العبارة تكون كافية إحاليا في وضع تخابري وتكون غير كافية إحاليا في

(1) المصدر السابق، 141/2، 142.

(2) نفسه، 388/2.

(3) نفسه، 485/2.

(4) نفسه، 118/3.

الفصل الثالث السّمات الوظيفية عند ابن عاشور

وضع تخابري آخر.⁽¹⁾ ومما يحقق الكفاية التداولية أيضا فصاحة اللسان، وذلك لما تحقّقه من تأثير على المستمعين، وتبليغ للمراد، ولهذا عُدّ الذي لا يقدر على النطق الجيد والأداء السليم ليس بفصيح كل هذا كان دافعا لسيدنا موسى عليه السلام -وقد أُمر بتبليغ رسالته إلى قومه- إلى أن يدعو الله تعالى بقوله: ﴿وَاحْلُلْ

عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾ (طه: 27، 28).

والقرآن الكريم ذاته ذو طابع تداولي، وتتجلى تداوليته في ⁽²⁾:

1- تنوع تراكيبه وأساليبه بحسب أحوال المخاطبين: بين مؤمن به، وبين شاك متردد، وبين كافر لا يرجى منه إيمان، ومعاند يرجى رجوعه عن عناده...

2- انفتاحه على الوقائع الحياتية؛ لأنّه نزل في معترك الأحداث... ولهذا أثر على جماعة من السلف وجوب معرفة أسباب النزول على المفسر.

3- نزوله في بيئة عربية، ذات نظام قبلي له أنماط اجتماعية خاصة ومستوى معيّن من التفكير، فلا بدّ لدارس القرآن الكريم من الاطلاع على واقع العرب ونظام تفكيرهم.

ومن الأمثلة التي تبدي اهتمام الشيخ ابن عاشور بالجانب التداولي في القرآن الكريم سجلنا ما يأتي:

* ﴿وَوَهَبْنَا لَكُمْ أَلْغَمًا وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّانَ وَالسَّلَوى كُلُّوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ

وَمَا ظَلَمُونَا﴾ (البقرة: من الآية 57) «وقوله (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) مقول قول محذوف لأنّ المخاطبين حين نزول القرآن لم يؤمروا بذلك فدل على أنه من بقية الخبر عن أسلافهم» ⁽³⁾.

* ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا

لِلَّهِ﴾ (البقرة: من الآية 165) «فالفاعل المحذوف حذف هنا لقصد التعميم أي كيفما قدرت حب محب لله فحب هؤلاء أندادهم مساو لذلك الحب، ووجه هذا التعميم أن أحوال المشركين مختلفة، فمنهم من يعبد الأنداد من الأصنام أو الجن أو الكواكب ويعترف بوجود الله ويسوي بين الأنداد وبينه، ويسميهم شركاء أو أبناء لله تعالى، ومنهم من يجعل لله تعالى الإلهية الكبرى ويجعل الأنداد شفعاء

(1) أحمد المتوكل: المبتدأ في اللغة العربية نحو وصف وظيفي - تداولي، ص 101.

(2) انظر: مسعود صحراوي: "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي، ص 39 وما بعدها.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 510/1.

إليه، ومنهم من يقتصر على عبادة الأنداد وينسى الله تعالى قال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر: من الآية 19)، ومن هؤلاء صابئة العرب الذين عبدوا الكواكب»⁽¹⁾.

* ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ (البقرة: 170) «وقوله: أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاؤَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ» كلام من جانب آخر للرد على قولهم نتبع ما ألفتنا عليه آباءنا، فإن المتكلم لما حكاه عنهم رد قولهم هذا باستفهام يقصد منه الرد ثم التعجيب، فالهمزة مستعملة في الإنكار كناية وفي التعجيب إيماء، والمراد بالإنكار الرد والتخطئة لا الإنكار بمعنى النفي»⁽²⁾.

* ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ (البقرة: 175) «... وإن جعلته مبتدأ مستقلاً مع جملة فالحملة مستأنفة استئنافاً بيانياً لبيان سبب انغماسهم في عذاب النار، لأنه وعيد عظيم جداً يستوجب أن يسأل عنه السائل فيبين بأنهم أخذوا الضلال ونبذوا الهدى واختاروا العذاب ونبذوا المغفرة، ومجيء المسند إليه حينئذ اسم إشارة لتفطيع حالهم؛ لأنه يشير لهم بوصفهم السابق وهو كتمان ما أنزل الله من الكتاب»⁽³⁾.

* ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة: من الآية 209) «وجيء في الشرط بأن لندرة حصول هذا الزلل من الذين آمنوا أو لعدم رغبة المتكلم في حصوله إن كان الخطاب لمن آمن بظاهره دون قلبه... وذكر الطيبي عن الأصمعي قال كنت أقرأ: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم، بجني أعرابي فقال كلام من هذا؟ فقلت كلام الله.. قال: ليس هذا كلام الله فانتبهت فقرأت ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (المائدة: من الآية 38) فقال أصبت هذا كلام الله فقلت أتقرأ القرآن؟ قال لا. قلت من أين علمت؟ قال يا هذا عز فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع»⁽⁴⁾.

(1) المصدر السابق، 91/2.

(2) نفسه، 106/2.

(3) نفسه، 125/2.

(4) نفسه، 280/2، 281.

11- اعتناؤه بالواقع النفسي للخطاب:

راعى الشيخ ابن عاشور في تحليله اللغوي آيات القرآن الكريم كوامن النفس وانطباعاتها سواء بالنسبة للقارئ لكتاب الله أو بالنسبة لمستمعه لحظة تلقيه له، وفهمه إياه أو تأثره النفسي به. وهو يرى أن اللغة ظاهرة إنسانية ترتقي بالارتقاء الحضاري لأهلها وتتماشى مع مستوى عقولهم وفكرهم النفساني⁽¹⁾. ونجد الجرجاني يحدثنا عن تأثير التمثيل النفسي في المتلقي ويوضح علل وأسباب هذا التأثير بقوله: « فأول ذلك وأظهره أن أنس النفوس موقوف على أن تخرجها من خفي إلى جلي، وتأتيها بصريح بعد مكنى، وأن تردها في الشيء تعلمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يعلم بالفكر إلى ما يعلم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفاد من طرق الحواس أو المركز فيها من جهة الطبع وعلى حد الضرورة يفضل المستفاد من جهة النظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام.»⁽²⁾، فالكلام البليغ عنده ما كان له وقع في أنفس وأذهان الآخرين. ومما يُرى فيه اهتمام ابن عاشور بالواقع النفسي^(*) للبلاغ اللغوي ما لمسناه في تفسيره للآيات التالية:

* ﴿وَإِذَا حُلُوا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤْنَ ۗ﴾ ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ (البقرة: من)

الآيتين 14، 15) «...ولأجل اعتبار الاستئناف قدم اسم الله تعالى على الخبر الفعلي، ولم يقل (يستَهْزِئُ الله بهم) لأنّ مما يجول في خاطر السائل أن يقول: من الذي يتولى مقابلة سوء صنيعهم؟ فاعلم أنّ الذي يتولى ذلك ربّ العزة تعالى، وفي ذلك تنويه بشأن المنتصر لهم وهم المؤمنون، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ (الحج: من الآية 38)»⁽³⁾.

* ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾ (البقرة: من الآية 22) « وابتدأ بالأرض لأنّها أوّل ما يخطر

(1) انظر: محمد الطاهر ابن عاشور: مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر ميساوي، دار النفائس، الأردن، ط2، 2001، ص72، 73.

(2) أسرار البلاغة، ص102.

(*) نشير هنا إلى أننا نجد بعض التداخل بين واقعي الخطاب النفسي والتداولي لكون كل منهما ينطلق من مقام الخطاب وملايساته.

(3) ابن عاشور: التحرير والتنوير، 293/1.

ببال المعبر...»⁽¹⁾.

*﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ (البقرة: من الآية 35) «... ونداء آدم قبل تخويله سكنى الجنة نداء تنويه بذكر اسمه بين الملاء الأعلى، وضمير أنت واقع لأجل عطف وزوجك على الضمير المستتر في اسكن يقصدون بذلك زيادة إيضاح المعطوف فتحصل فائدة تقرير مدلول المعطوف لثلا يكون تابعه المعطوف عليه أبرز منه في الكلام»⁽²⁾.

*﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَمُوسَىٰ لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ

بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾ (البقرة: من الآية 61) «والتعبير بلن المفيدة لتأييد النفي في اللغة العربية لأداء معنى كلامهم المحكي هنا في شدة الضجر وبلوغ الكراهية منهم حدها الذي لا طاقة عنده»⁽³⁾.

*﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ

الْقِيَمَةِ﴾ (البقرة: من الآية 212) «وجيء في فعل التزيين بصيغة الماضي وفي فعل السخرية بصيغة المضارع قضاء لحق الدلالة على أن معنى فعل التزيين أمر مستقر فيهم؛ لأن الماضي يدل على التحقق، وأن معنى يسخرون متكرر متجدد منهم؛ لأن المضارع يفيد التجدد، ويعلم السامع أن ما هو محقق بين الفعلين هو أيضا مستمر؛ لأن الشيء الراسخ في النفس لا تفتقر عن تكريره، ويعلم أن ما كان مستمرا هو أيضا محقق؛ لأن الفعل لا يستمر إلا وقد تمكن من نفس فاعله وسكنت إليه.»⁽⁴⁾.

*﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾

(البقرة: من الآية 247) «وتأكيد الخبر بإن: إيدان بأن من شأن هذا الخبر أن يتلقى بالاستغراب والشك، كما أنبأ

عنه قولهم (أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا).»⁽⁵⁾.

(1) المصدر السابق، 333/1.

(2) نفسه، 428/1.

(3) نفسه، 522/1.

(4) نفسه، 296/2.

(5) نفسه، 489/2.

* ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يَحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة: من الآية 284) «وعطف قوله (وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ) بالواو دون الفاء للدلالة على أن الحكم الذي تضمنه مقصود بالذات، وأن ما قبله كالتمهيد له»⁽¹⁾.

(1) المصدر السابق، 130/3.

الخاتمة

لكل جهد ثمرة، وثمره جهدي هذا أن استفدت معرفة مبادئ ومنطلقات الاتجاه الوظيفي عامة ومبادئ النحو الوظيفي خاصة، ومما زاد من ترسيخ إقرارى بأهم هذه المبادئ أن رأيتها حية مطبقة في تفسير الشيخ ابن عاشور، وفي كل التراث العربي وخصوصا من أخذ عنهم وتأثر بهم من الخذاق من علماء هذه اللغة، كما أني بواسطة هذا العمل العلمي المتواضع اطلعت على كثير من كنوز اللغة العربية، في كل علومها (النحو، البلاغة، التفسير، علم الأصول، المعجم، علم الأصوات...) ووصلت إلى حقيقة مفادها أن ما احتوته لا يزال مغيبا يناشد من هجره من أبناء هذه اللغة الإحياء والبعث من جديد ومن هذه الكنوز السّفر العظيم "تفسير التحرير والتنوير" ذو المنحى الوظيفي العربي الذي لا يفصل الخطاب عن مقامه ويرى البنية انعكاسا لوظيفتها في تحقيق التواصل، كما يهتم بطرفي الخطاب وما يقوم بينهما من علاقات، هذا المنحى الذي كان قد أسّس بنيانه الإمام الجرجاني وتلاه السكاكي، ثم من تبعهم على نهجهم من علماء البلاغة والأصول. ولست مبالغا إن نصحت لطلبة العلم وباحثي اللغة بقراءة هذا التفسير والاستفادة منه واقتناء جواهره، ففيه الأسلوب السهل، والعبارة الموجزة، والفكرة النادرة.

ومن النتائج التي توصلت إليها كذلك من خلال بحثي هذا ما أوجزه فيما يأتي:

- 1- معرفة أكثر المنطلقات والمبادئ المنهجية للتيارين اللغويين الغربيين المعاصرين الشكلي والوظيفي.
- 2- الوقوف على كثير من خلفيات المنهج الوظيفي العربي وأبعاده.
- 3- الاستفادة من المنحى الوظيفي "النحو الوظيفي" في دراسة تراكيب اللغة، ووصف نظامها.
- 4- الوصول إلى نظرة توضح الدور المنوط بالنحو العربي، والذي لا يجعل منه آلة تقف عند العلم بقوانين وقواعد صارمة لا يجوز تخطئها، بل تجعل منه ميدانا رحبا لدراسة اللغة وتحليل ظواهرها انطلاقا من واقعها وسياقها الحالي.
- 5- تحديد المنهج الأليق بدراسة تراكيب اللغة العربية، والذي نزع أنه المنهج الوظيفي كما وصفناه في كل مراحل بحثنا والذي يرفض التعقيد والتجريد والرسوم والحدود.
- 6- التفريق بين المنهج الوظيفي والمنهج الشكلي من حيث تطبيقهما على تراكيب اللغة (في الوصف والتفسير).
- 7- الوقوف على المنهج اللغوي للشيخ ابن عاشور في تفسيره، وهو منهج يطبق أكثر المبادئ الوظيفية (مبادئ النحو الوظيفي) وأهمها لا كلها، فلا نجده يسعى إلى تحقيق الكفاية النمطية، ولا نلمس عنده تجريدا وصورنة كاستعمال الرموز الرياضية وقواعد المنطق مثلما هو عند أصحاب نظرية النحو الوظيفي، ويظل عائقا تواصليا، يعتبره بعضهم عيبا في هذا المنهج.

8- ضبط بعض السمات الوظيفية عند ابن عاشور.

9- استنتاج بعض سمات وملامح من ينحو المنحى الوظيفي في وصف اللغة وتحليل تراكيبها وكشف أسرارها وتفسير ظواهرها.

10- التأكيد على الصلة والتكامل بين النحو والبلاغة، وتخطئة من يفصل بينهما.

11- محاولة اكتشاف وكشف التكامل بين فروع المعرفة اللغوية العربية (النحو، البلاغة، علم أصول الفقه، التفسير...).

12- استثمار ما وصل إليه البحث اللساني العربي عامة في مجال تحليل تراكيب اللغة.

هذا ولا نبغي ببحثنا تعصير التراث انبهارا بأفكار غيرنا أو انسلاخا من جلدتنا وذلك بخروجنا عن أصالتنا، بل نريد به بعثا وإحياء يقرّ انتماءه الحضاري ويقدر خصوصياته الابستمولوجية والمنهجية، كما نريد تيسيرا وتحديدًا يستجيب لمتطلبات التطور الحضاري والتواصل الفكري لكي لا نبقي على هامش الطريق، ولا نساير ركب الأمم.

وفي الأخير أرجو أن أكون قد قدمت ولو قليلا، وأن تكون عثراتي سبيلا لنهوضي، وأن ألقى مباركة والتشجيع لأواصل هذا المشروع وأحقق ما يرضي أساتذتي ويفيد مُحيي لغتي، ويُفحم المستحقين باللسان العربي.

وأسأل الله العليّ القدير أن يوفقني لإصابة الحق في القول والعمل وأن يجعل أعمالي خالصة لوجهه الكريم.

مصادر البحث ومن أجعه (*)

أولا : القرآن الكريم ، برواية حفص.

ثانيا : المصادر و المراجع :

أ/ الكتب العربية:

- 1- أيوب (عبد الرحمن): دراسات نقدية في النحو العربي، مطبعة مخيمر، القاهرة، 1957.
 - 2- الأمدي (سيف الدين محمد بن علي): الإحكام في أصول الأحكام، تحقيق عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت، المجلد 1، ط 1، 1981.
 - 3- الأندلسي (أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف ، ت 754): تفسير البحر المحيط، وبهامشه النهر الماد من البحر لأبي حيان ، وكتاب الدر اللقيط من البحر المحيط لتلميذه تاج الدين بن مكتوم القيسي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، المجلد 1، ط 2 ، 1992.
 - 4- الأشقر (محمد سليمان عبد الله): زبدة التفسير من فتح القدير للشوكاني، دار الفيحاء، دمشق، دار السلام، الرياض، ط 5، 1994.
 - 5- بنت الشاطئ(عائشة عبد الرحمن): التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، الجزء 2، ط 4، 1982.
 - 6- بعيطيش (يحيى): النحو العربي بين التعصير والتيسير، (مقال)، ضمن: أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001.
 - 7- ابن جني (أبو الفتح عثمان، ت 392 هـ) : الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، المكتبة العلمية، دار الكتب المصرية، المجلد 1، 2000.
 - 8- الجرجاني (عبد القاهر ، ت 471 هـ) : أسرار البلاغة في علم البيان، تصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، لبنان، (د.ت).
 - 9- _____ : دلائل الإعجاز في علم المعاني، شكله وشرح غامضه وخرج شواهد ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2000.
 - 10- دبة (طيب) : مبادئ اللسانيات البنوية، دار القصبة، الجزائر، 2001.
 - 11- دي بوجراند(روبرت): النص والخطاب والإجراء، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1998/1418.
- (*) اعتمدت الترتيب الأبجدي لأول الأسماء دون مراعاة (ال التعريف) وألفاظ الأب والابن.

- 2- دك الباب (جعفر): الموجز في شرح دلائل الإعجاز في علم المعاني، مطبعة الجليل، دمشق، سوريا، ط1، 1980.
- 13- _____: النظرية اللغوية العربية الحديثة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ط1، 1996.
- 14- دلاش (الجيلالي): مدخل إلى اللسانيات التداولية، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- 15- هيا ثامر مفتاح العلي: الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور ومنهجه في تفسيره "التحرير والتنوير"، دار الثقافة، الدوحة، قطر، 1994.
- 16- ابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف، 761هـ): أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد 1، ط1، 1997.
- 17- _____: مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السيد، دار السلام، القاهرة، مصر، المجلد 2، ط1، 2004.
- 18- _____: شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، ضبطه وحققه محمد محمد تامر، وآخرا، الزهراء للإعلام العربي، 2004.
- 19- الوعر (مازن): دراسات لسانية تطبيقية، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، سوريا، 1989.
- 20- زكريا (ميشال): بحوث ألسنية عربية، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1992.
- 21- _____: الألسنية (علم اللغة الحديث)، قراءات تمهيدية، المؤسسة الجامعية، بيروت، لبنان، ط2، 1985.
- 22- الزمخشري (محمود بن علي الزمخشري الخوارزمي، ت 538): تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المصحف، القاهرة، ط2، 1977.
- 23- الحاج صالح (عبد الرحمن): المدرسة الخليلية الحديثة والدراسات اللسانية الحالية في العالم المعاصر، ضمن: تقدم اللسانيات في الأفطار العربية، وقائع ندوة جهوية، الرباط، أفريل، 1987.
- 24- حمودة (طاهر سليمان): ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية، الإسكندرية، 1999.
- 25- حمودة (عبد العزيز): المرايا المقعرة، نحو نظرية نقدية عربية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أغسطس، 2001.

- 26- الحمصي (محمد طاهر): مباحث في علم المعاني، منشورات جامعة البعث، سوريا، ط2، 1995/1996.
- 27- الحناش (محمد): البنيوية في اللسانيات، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1401/1980.
- 28 - حساني (أحمد): مباحث في اللسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- 29 - حسين (عبد القادر) : أثر النحاة في البحث البلاغي، دار النهضة، القاهرة، مصر، (د ت) .
- 30- طبانة(بدوي): البيان العربي، المكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1962.
- 31 - ابن يعيش (موفق الدين بن علي بن يعيش النحوي، ت643): شرح المفصل للزمخشري، وضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422 / 2001.
- 32- (لاشين) عبد الفتاح: التراكيب النحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ، الرياض، السعودية، (د ت) .
- 33 - مجدوب (عز الدين): المنوال النحوي العربي، قراءة لسانية جديدة، كلية الآداب، سوسة، دار محمد علي الحامي، تونس، ط1، 1998.
- 33- المهيري (عبد القادر): أعلام وآثار من التراث اللغوي، دار الجنوب، تونس، 1993 .
- 34- _____ وآخرون: اللسانيات الوظيفية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط2، 1990 .
- 35- مهيل (عمر): البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991.
- 36 - ابن منظور (جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي ، ت711 هـ) : لسان العرب، دار صادر، بيروت، المجلدان: 1، 6، ط1، 1997.
- 37- الموسى(نهاد): نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث، بيروت، 1980.
- 38- المسدي (عبد السلام): اللسانيات وأسسها المعرفية، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط1، 1986.
- 39- مصطفى(إبراهيم): إحياء النحو، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003/1423.
- 40- المخزومي(مهدي) : في النحو العربي، نقد وتوجيه ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406.
- 41- _____ : في النحو العربي، قواعد وتطبيق ، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1986/1406.

- 42- المتوكل (أحمد): آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، كلية الآداب، الرباط، المغرب، ط1، 1993.
- 43- _____: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، (د ت)
- 44- _____: الوظيفة والبنية، منشورات عكاظ، الرباط، 1993 .
- 45- _____: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985.
- 46- _____: اللسانيات الوظيفية، مدخل نظري، منشورات عكاظ، 1989.
- 47- _____: قضايا اللغة العربية في اللسانيات الوظيفية، البنية التحتية، أو التمثيل الدلالي التداولي، دار الأمان، الرباط، المغرب، 1995.
- 48 - نخلة (محمود أحمد) : لغة القرآن في جزء عمّ، دار النهضة العربية، بيروت، 1981 .
- 49- _____: نظام الجملة في شعر المعلقات، دار المعرفة الجامعية، مصر، 1991.
- 50 - سامبسون (جيفري): المدارس اللغوية، التطور والصراع، ترجمة أحمد نعيم الكراعين، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، لبنان، ط1، 1993/1413.
- 51 - الساقى (فاضل مصطفى): أقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1977.
- 52- السيد (شفيع): البحث البلاغي عند العرب، تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط1، 1996، 2.
- 53- السيوطي (أبو الفضل عبد الرحمن ابن الكمال أبو بكر جلال الدين، ت 911هـ): الأشباه والنظائر في النحو، وضع حواشيه غريد الشيخ، دار الكتب العلمية، بيروت، المجلد 2، ط1، 2001.
- 54 - _____: الإتقان في علوم القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1، 2003.
- 55 - سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان، ت 180 هـ) : الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجليل، بيروت، المجلدان 1، 2، ط1، 1991.
- 56- السكاكي (أبو يعقوب يوسف): مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
- 57 - سلطان (منير): الفصل والوصل في القرآن الكريم، دار المعارف، القاهرة، 1983 .
- 58 - السمرائي (فاضل صالح) : الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2000.
- 59- ابن عاشور (محمد الطاهر): مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر ميساوي، دار النفائس، الأردن، المجلد 1، ط2، 2001.
- 60 - _____: تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، و المؤسسة الوطنية

للكتاب، ج 1، 2، 3، 13، الجزائر، 1984.

61 - عبد اللطيف (محمد حماسة): النحو والدلالة، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 1، 2000.

62 - العكبري (محب الدين عبد الله بن الحسين، ت 616 هـ) : التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، المجلد 1، ط 2، 1987 .

63 - عمايرة (خليل): في نحو اللغة وتراكيبها، منهج وتطبيق، عالم المعرفة، جدة، السعودية، ط 1، 1984 .

64- فاطمة الطبال بركة: النظرية الألسنية عند رومان جاكوبسون، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1993.

65- الفهري (عبد القادر الفاسي): اللسانيات و اللغة العربية، نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، 1985 .

66- صاحب أبو جناح: دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر، عمان، الأردن، ط 1، 1998/1419.

67 - محمد قدور (أحمد): مبادئ اللسانيات، دار الفكر، دمشق، ط 2، 1999.

68 - القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت 671 هـ): الجامع لأحكام القرآن، مكتبة رحاب، الجزائر، الجزء 1، ط 4، 1990 / 1410.

69 - القرطبي (ابن مضاء): كتاب الرد على النحاة، دار المعارف بمصر، ط 3، (د ت) .

70 - القزويني (جلال الدين محمد بن عبد الرحمان ، ت 739) : الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق عبد الحميد هندراوي، مؤسسة المختار، القاهرة، ط 2، 2004 / 1425.

71 - الراجحي (عبد): النحو العربي والدرس الحديث ،دار النهضة العربية، بيروت، 1986.

72- _____ : النظريات اللغوية المعاصرة وموقفها من العربية، ضمن: تمام حسان رائدا لغويا، إعداد وإشراف: عبد الرحمن حسن العارف، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2002/1423.

73- الشاوش (محمد) وآخرون: سو سير والألسنية، ضمن: أهم المدارس اللسانية، المعهد القومي لعلوم التربية، تونس، ط 2، 1990 .

74- توأمة (عبد الجبار): زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

75- _____ : المنهج الوظيفي العربي الجديد لتجديد النحو العربي، (مقال)، ضمن: أعمال ندوة تيسير النحو، تنظيم المجلس الأعلى للغة العربية، المكتبة الوطنية بالحامة، الجزائر، 2001 .

76- تمام (حسان): البيان في روائع القرآن، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1993.

77- _____: اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب، القاهرة، ط 3، 1998 .

78- التفّازاني(سعد الدين): مختصر السعد شرح تلخيص كتاب مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط 1، 2003.

79- ابن الخوجة(محمد الحبيب): محمد الطاهر ابن عاشور وكتابه مقاصد الشريعة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر، 2004/1425.

80- خطّابي (محمد) :لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1991 .

81- ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون ، دار الجيل، بيروت، (د ت).

82- خليل (حلمي): العربية وعلم اللغة البنيوي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 1996.

83- ضيف (شوقي) : البلاغة العربية تطور وتاريخ، دار المعارف بمصر ، ط 6 ، 1983 .

ب/ الكتب الأجنبية :

84 -Dik (Simon):**Functional grammar**, North Holland, Amsterdam,1978.

85 - jakobson (Roman): **Essais de linguistique general**, Paris, minuit, 1973.

86-Martinet(andret):**Eléments de linguistique générale**,Paris,armand,Colin 1970.

87- Martinet(andret):**La linguistique synchronique**,P.U.F, Paris, 1970.

ج/ الأطروحات و الرسائل الجامعية :

88- بري(حواس): المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور(مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر، إشراف: عبد القادر هني(1995-1996).

89- سعدي الزبير: العلاقات التركيبية في القرآن الكريم، دراسة وظيفية(مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية و آدابها، جامعة الجزائر ، إشراف : محمد بلقايد (1989/1410).

90- قادري (كمال): التركيب النحوي في الآيات المدنية في القرآن الكريم(مخطوط رسالة ماجستير)، قسم اللغة العربية، جامعة حلب، سوريا، إشراف: فخر الدين قباوة، (1409/1988).

91- توامة(عبد الجبار) :القرائن المعنوية في النحو العربي، (مخطوط رسالة دكتوراه)، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، إشراف: فرحات عياش، (1994-1995).

د/المجلات:

- 92- أحمد (يحيى): الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة، مجلة عالم الفكر "الألسنية"، تصدرها وزارة الإعلام، الكويت، المجلد 20، العدد 3، (أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر)، 1989.
- 93- الوعر (مازن): النظريات النحوية والدلالية في اللسانيات التحويلية والتوليدية، محاولة لسرها وتطبيقها على النحو العربي، مجلة اللسانيات، يصدرها معهد العلوم اللسانية والصوتية، الجزائر، العدد 6، 1982.
- 94 - الحاج صالح (عبد الرحمن): الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، المجلة العربية للتربية - تصدرها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، العدد 2، 1985.
- 95 - المهيري (عبد القادر): كتاب سيويه بين التقعيد والوصف، مجلة حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية العدد 11، 1974.
- 96- _____: مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجاني في اللغة والبلاغة، مجلة حوليات الجامعة التونسية، المطبعة الرسمية للجامعة التونسية، العدد 11، 1974.
- 97- المتوكل (أحمد): المبتدأ في اللغة العربية نحو وصف وظيفي - تداولي، مجلة في اللسانيات واللسانيات العربية، جمعية الفلسفة بالمغرب، 1988.
- 98 - صحراوي (مسعود): "المنحى الوظيفي" في التراث اللغوي العربي"، مجلة الدراسات اللغوية، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المجلد 5، العدد 1، أبريل/ يونيه 2003.
- 99- رتيمة (محمد العيد): النظرية البنوية الوظيفية العربية وتطبيقاتها في الدرس اللغوي، مجلة اللغة والأدب، جامعة الجزائر، معهد اللغة العربية وآدابها، الجزائر، العدد 9، 1996/1416.

هـ/المحاضرات:

- 100- عبد الرحمن الحاج صالح: مفهوم البنية والوظيفة عند البنويين والوظيفيين الأوربيين، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2003/2004.
- 101- عبد الرحمن الحاج صالح: مقارنة بين التحليل البنوي الأوربي، و التحليل البنوي الأمريكي، مقياس: المدارس اللسانية، محاضرة على طلبة الماجستير، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية، بوزريعة، الجزائر، 2003/2004.

فهرس المحتويات

أ.....	مقدمة
01.....	مدخل
01.....	التيار الأول: نظريات لسانية شكلية "صورية"
02.....	البنوية الأوروبية
03.....	البنوية الأمريكية
05.....	التيار الثاني: نظريات لسانية وظيفية
09.....	المدارس الوظيفية
09.....	1- مدرسة براغ
11.....	2- مدرسة لندن
11.....	أ- المعنى وسياق الحال عند فيرث
11.....	ب- النحو النسقي النظامي لهاليداي
12.....	3- الوظيفية عند هايمز
13.....	4- النحو الوظيفي التداولي (سيمون ديك/أحمد المتوكل)
15.....	الشكلية والوظيفية في النحو العربي
17.....	خطر رفض المناهج الحديثة
18.....	الفصل الأول: "الوظيفية" في الفكر اللساني المعاصر
20.....	1- الوظيفية البنوية
20.....	1-1- الوظيفية عند أندري مارتيني
21.....	أ- مفهوم الوظيفة عند مارتيني
21.....	ب- مبدأ التقطيع المزدوج
21.....	ج- علاقة البنية بالوظيفة عند مارتيني
23.....	1-2- النموذج الوظيفي عند رومان جاكسون
23.....	أ- المبادئ الوظيفية عند جاكسون
23.....	1- العلاقة بين البنية والوظيفة
24.....	2- ثنائية التفكير الألسني

24	3- التفريق بين النحو والدلالة.....
24	ب- نظرية التواصل والوظائف اللغوية.....
27	1-3 الوظيفة عند البنويين العرب "تمام حسان نموذجاً".....
27	1-3-1 مبدأ تضافر القرائن.....
31	1-3-2 مبدأ التعليق.....
32	1-3-3 ملخص الأفكار الأساسية لنموذج تمام حسان.....
34	1-4 نقد الوظيفة البنوية.....
34	2- الوظيفة التداولية (سيمون ديك/أحمد المتوكل).....
36	المبادئ الوظيفية في نظرية النحو الوظيفي.....
36	1- الوظيفة الأساسية للغات الطبيعية هي وظيفة التواصل.....
37	2- تبعية البنية للوظيفية.....
38	3- موضوع الدرس اللساني هو وصف "القدرة التواصلية" (للمتكلم/المخاطب).....
40	4- السعي إلى تحقيق ثلاثة أنواع من الكفايات.....
43	3- ملامح المنحى الوظيفي في التراث العربي.....
43	أ- أصالة التراث اللغوي العربي واستقلاليته.....
45	ب- المقام والمعنى في التراث.....
46	ج- التركيب الإسنادي عند العرب.....
47	1-3 ملامح المنحى الوظيفي عند "سيبويه".....
47	1-1-1 سيبويه: منهجه وكتابه.....
48	1-3-2 ظواهر وظيفية تداولية في نحو سيبويه.....
50	1-3-2 ملامح المنحى الوظيفي عند "ابن جني".....
50	1-3-2-1 وظيفة اللغة التواصل.....
51	1-3-2-2 تبعية البنية للوظيفية.....
51	1-3-2-3 تبعية الإعراب للمعنى المقصود من الكلام.....
52	1-3-3 ملامح المنحى الوظيفي عند "عبد القاهر الجرجاني".....
52	1-3-3-1 عبد القاهر ومنهجه اللغوي.....

53	3-2-3 المبادئ الوظيفية عند الجرجاني
53	أ- وظيفة اللغة التواصل
53	ب- تبعية البنية للوظيفة
58	ج- السعي إلى تحقيق الواقعية النفسية
61	3-3-3 أثر وظيفة الجرجاني
63	3-4 ملامح المنحى الوظيفي عند "السكاكي"
63	علاقة البنية بالوظيفة
63	أ- دور المقام في توجيه بنية الخطاب
64	ب- ظواهر وظيفية تداولية
67	الفصل الثاني: نماذج من التحليل الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير
	(التحليل في ضوء المبادئ المنهجية لنظرية النحو الوظيفي)
68	المبدأ الأول: الوظيفة الأساسية للغة هي التواصل
68	المبدأ الثاني: تبعية البنية للوظيفة
69	1- تغير أشكال الرتب ودلالاته الوظيفية
75	2- الحذف والذكر في الكلام ودلالاتهما الوظيفية
84	3- الفصل والوصل في الكلام ودلالاتهما الوظيفية
92	4- التعريف والتكثير ودلالاتهما الوظيفية
99	5- القصر ودلالاته الوظيفية
101	6- وسائل التوكيد ودلالاتهما الوظيفية
104	7- اختيار الصيغ "بناء وزمنا" ودلالاته الوظيفية
111	8- نوع الجملة ودلالاته الوظيفية
112	9- الدلالات الوظيفية لبعض الأدوات
116	10- خروج الأساليب والأدوات عن معناها الأصلي لغرض تواصلية
117	المبدأ الثالث: السعي إلى تحقيق الكفايتين التداولية والنفسية
117	1- الكفاية التداولية
121	2- الكفاية النفسية

127	الفصل الثالث: السّمات الوظيفية عند ابن عاشور.....
	(ملاحح المنحى الوظيفي في تفسير التحرير والتنوير)
128	1- الربط بين البنية والوظيفة
129	2- الانطلاق من الواقع الاستعمالي (المقام وسياق الحال)
134	3- المزج بين النحو والبلاغة -علم المعاني خصوصا- في التحليل الوظيفي.....
136	4- مشاهمة الدرس الوظيفي المعاصر في أكثر مبادئه
138	5- تحليل الظواهر المبنوية.....
141	6 - الإفادة من العلوم اللغوية في التحليل والتفسير.....
144	7- إبراز مغازي التراكيب وأسرار الأساليب.....
146	8- إجلاء الحقيقة الكامنة أمام المشككين
148	9- إظهار لطائف نظم القرآن ونكته.....
150	10- اهتمامه بالجانب التداولي للتراكيب.....
153	11- اعتناؤه بالواقع النفسي للخطاب.....
156	خاتمة.....
158	مصادر البحث ومراجعته.....
165	فهرس المحتويات